دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

سفر

إرميا ومراثي إرميا

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

إرميا والمراثي

بقلم

ر. ك. هاريسون

نقله إلى العربية

إدوارد وديع عبد المسيح

المحرر المسئول

جوزيف صابر



An Introduction and Commentary
By: R. K. Harison
This book was first Published by Inter-Varsity Press

Translated by Permission and published in Arabic 1992

طبعـة أولـى

صدر عن دار الثقافة - ص . ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠/٥٤٣ ط١/٣ - ٣/ ١٩٩٢
رقم الايداع بدار الكتب : ٧٨٥٨ / ١٩٩٢
جمـع فـى سـيوبـرس
طبـع بمطبعـة نـوبـار

مجلس التحرير

مقدمة الدار

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله مشروحة للقاريء العربي . فإن العالم العربي لا يوجد فيه تفسير واحد حتى الآن للكتاب المقدس كله . إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة . وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقاريء العربي مرجعاً كاملاً للكلمة المقدسة .

وقد اختارت دار الثقافة المسيحية Tyndale Commentaries وهي تشمل العهد القديم والجديد . ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالاتفاق مع الناشر الأصلي وهو Inter - Varsity Press وكان سبب الاختيار إنها مختصرة ومركزة ، محافظة لاهوتياً ، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة ، تهتم بالنص الذي يعاون الدارس على الدراسة ، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية .

قد جاء هذا التفسير ، رغم اهتمامه بتفسير النص ، والرجوع إلى اللغات الأصلية التي صدر فيها الكتاب المقدس ، لكنه تفادى كثيراً من التعقيدات الدراسية . وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعاني ، ليكتشف القاريء ما هو المقصود بالمعنى .

قد اهتم هذا التفسير ، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات . ليوضح المعاني العامة المقصودة ، ثم شرح الآيات ، آية آية ، وفي حالة وجود مشكلات معينة حاول الاسهاب في شرحها .

كما اهتم التفسير ، بكتابة مقدمة كل سفر ، توضح الكاتب ، وتاريخ الكتابة ، وظروفها . إن مقدمة السفر ، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر ، والموضوعات الرئيسية فيه .

اشترك في كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين ، الذين قدموا الدراسة، بعمق وبأمانة. كما أشرف على تحرير العهد القديم. D. J. Wiseman والعهد الجديد R. V. G. Tasker & Leon Morris

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارىء في هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً ، يعاونه على التعمق في كلمة الله ، وإدراك المعاني العظيمة من خلالها ، فيعاونهم في التعمق في المعرفة والفهم الروحي

دار الثقافة

مقدمة عامة

إن الهدف من هذه السلسلة من تعليقات (تيندل) للعهد القديم كما كان الهدف من تعليقات تيندل للعهد الجديد تزويد دارس الكتاب المقدس بتعليق عصري موجز على كل سفر مع التنبير على الشرح والتفسير .

أما المشكلات الكبرى الحساسة فيتم مناقشتها في المقدمة والهوامش الإضافية مع تجنب النقاط الفنية الغامضة ، وللمؤلفين في هذه السلسلة ، بالطبع ، الحرية في تقديم آرائهم الخاصة بهم والتعبير عن وجهة نظرهم في المسائل الجدلية ، وهم يقومون ، في بعض الأحيان ، وفي نطاق المساحة المتاحة بلفت الأنظار إلى التفسيرات التي لا يؤمنون بها أنفسهم ، ولكنها تمثل ما توصل إليه نفر من المسيحيين المخلصين .

وإن اختبار النبي إرميا وتعليمه وتأكيده على الإيمان الجريء والعملي بالله في وقت الشدة يصلح لعصرنا تماماً كما كان مناسباً عندما أعلن نبوته ودونها منذ ألفين وخمسمائة عام .

وفي العهد القديم بنوع خاص ، لا توجد ترجمة معينة تصلح لتقديم النص الأصلي ، ولذا فمؤلفو شرح تيندل يقتبسون بحرية من عدة طبعات مختلفة أو يقدمون ترجمتهم الخاصة في محاولة لجعل الفقرات أو الكلمات الأكثر صعوبة ذات معنى في عالم اليوم ، وحيثما يكون ضرورياً يتم نقل ترجمة كلمات من النص العبري أو (الآرامي) لأن ذلك سوف يساعد القاريء الذي قد يكون غير معتاد على اللغات السامية للتعرف على الكلمة التي يجري بشأنها الحوار ويتتبع المناقشة .

وإنه لمن المفترض أنه سوف يكون بإمكان القاريء الحصول على ترجمة أو أكثر للكتاب المقدس . هذا والاهتمام بمعنى ورسالة العهد القديم سوف يظل متزايداً ويرجى أن تؤدي هذه السلسلة إلى المزيد من الدراسة المنتظمة للإعلان الإلهي ولإرادته وطرقه كما تبدو في هذه السجلات .

وإن صلاة المحرر والناشر والمؤلفين أن تكون هذه السلسلة خير عون للكثيرين لفهم كلمة الله والاستجابة إليها في عالم اليوم .

د. ج. وايزمان

المحتويات

مقدمة المؤلف

إن السفرين اللذين يشملهما هذا التعليق يتعاملان مع أكثر الأحداث مأساوية في تاريخ الشعب المختار . فالسفر الأول يعطي القاريء صورة عن التصرف الغير مسئول الذي أبداه أهل اليهودية في فترة ما قبل السبي ، حيث انغمسوا بلا خجل في أحط أشكال الوثنية ، وتجاهلوا الكثير من التحذيرات بالهلاك والدمار المقبل من واحد من بني وطنهم ألا وهو النبي إرميا ، وأخيراً حل الدمار ، الذي طالما توعدهم به ، فوق رؤوسهم . والسفر الثاني يظهر شيئاً من الدمار الشامل والآلام المصاحبة للعقاب الإلهي على خطية الأمة عندما سقطت أورشليم سنة ٥٨٧ قبل الميلاد . وكلا السفرين يبرزان الرأي اللاهوتي المتعلق بالدمار الذي يتزامن مع طبيعة الكارثة ، ولكن بإصرار السفرين على روح مباديء العهد في سيناء فإنهما يشيران إلى طريق الخروج من الألم نحو النهضة الروحية. وقد تمت مناقشة ما كتب في السفرين على ضوء الاكتشافات والحفريات الحديثة وتمت كذلك مواجهة مشاكل النص المتعلقة بأماكن معينة في أجزاء مختلفة من التعليق وقد كتبت التواريخ على هيئة ٤/٦٠٥ ق.م. لأن السنة العبرية لم تتفق مع السنة الميلادية من يناير إلى ديسمبر .

وأود هنا أن أعبر عن امتناني للقس نورمان جرين مساعد المدير لمرصد (ماك لولين Mc Laughlin) بتورنتو لأجل رعايته الفائقة ومحبته وحنكته في تصويب البراهين المقدمة في هذا الكتاب ، وأقدم شكري أيضاً للأستاذ د. ج. وايزمان لإشرافه العام على هذا الكتاب .

ر. ك. هاريسون

سفر إرميا

المقدمة

١ ـ اسم السفر ومكانه بين الأسفار القانونية

استمد سفر إرميا اسمه من نسبته لكاتبه ، نبي يهوذا الشهير في القرن السابع قبل الميلاد ، وقد احتل مكاناً مرموقاً بين إشعياء وحزقيال في الأسفار القانونية العبرية بالرغم من أن تقليداً لمعلمي اليهود محفوظ في (Baba Bathra ١٤ب) قد ذكرت الأسفار الثلاثة بهذا الترتيب : إرميا ، فحزقيال ، فإشعياء . والكثير من المخطوطات الأوروبية وخاصة تلك التي ذات أصل فرنسي وألماني ، قد تبنت هذا التقليد ووضعت إرميا على قائمة الأنبياء المتأخرين. وقد احتل السفر في الترجمة السبعينية المكانة التي جاء ترتيبه فيها في الطبعات الانجليزية. وفي الطبعة السورية (البيشيتو) ورد السفر بعد الأنبياء الصغار الاثنى عشر مباشرة . وقد ظهر اسم (إرميا) في العبرية إما على هذه الهيئة (Yirmᵉya) (إرميا) أو على هذا الشكل (Yirmᵉyahu) (أرمياهو) ، وقد ورد بالترجمة السبعينية باسم (Ieremias) (إرمياس)، وفي الطبعات اللاتينية باسم (Jeremias) (جرمياس) .

أما المعنى الدقيق للاسم فغير معروف ،ولكن توجد عدة تأويلات مقترحة مثل (الرب يؤسس) أو (الرب يتمجد) و(الرب يرمي) .

٢ ــ الخلفية التاريخية والحفريات

في الأوقات المصيرية في تاريخ شعب الله لوحظ أن الله قد استدعى أناساً ذوي مركز روحي بارز لقيادة الأمة طبقاً للإرادة الإلهية ، ولتوضيح الرؤية للشعب بتسليط الضوء على مصيره كشعب مختار . ويعد إرميا واحداً من أولئك المدعوين للقيام بهذا العمل الهام . ومما زاد من صعوبة مهمته استمرار الأزمة السياسية والدينية في المملكة الجنوبية أثناء خدمته . وقد تكلم النبي في وقت كانت فيه منطقة الشرق الأدنى القديم في حالة لا نظير لها من الإثارة والقلق والاضطراب . وقد شهد النبي في حياته انهيار الإمبراطورية الأشورية القوية وقيام حكم بابل القوي الذي اكتسح الشرق الأدنى وحارب الجيوش المصرية القوية وشل حركتها . وقد شهد في بلده تعاقب الأزمات السياسية تتخللها فترات قصيرة جداً ترنو فيها النفوس نحو شيء من الاستقرار القومي .

وعندما أرخت الإمبراطورية الأشورية الزائلة قبضتها عن المناطق التي كانت تخضع قبلاً لنفوذها السياسي ، تمتعت المملكة الجنوبية بفترة محببة من الاستقلال والتحرر من السيطرة الأجنبية ، وبرغم ذلك فهذه الفترة سرعان ما انتهت عندما حاولت مصر جاهدة أن تؤكد نفوذها السابق في فلسطين وسوريا . وكما لو كان هذا القهر غير كاف ، فقد اضطرت يهوذا أن تستبدل سيداً قاسياً بمن هو أشد قسوة، عندما قامت الجيوش البابلية والكلدانية بالقضاء على المملكة الجنوبية بتفريغ الأرض من سكانها بلا هوادة . وتتضح الأزمات العديدة الخانقة التي اجتازت فيها الأمة من أقوال واحد من أخلص أبناء يهوذا .[١] فمن كلماته الحزينة التي تجيش بالعواطف المتأججة نستشف عمق المأساة التي تتعلق بدمار الأمة والقضاء عليها .

ولكي نقدر أهمية المركز الذي تبوأه إرميا في يهوذا ، والأسى الشخصي الذي اختبره عندما أعلن عن مصير الأمة العنيدة الغير مبالية ، يجب علينا أن نتعرف على الأحداث التي أدت في النهاية إلى انهيار مملكة الجنوب .

---

(١) ألا وهو إرميا النبي (المترجم) .

ففي عام ٦٣٩ ق.م. في الوقت الذي ولد فيه إرميا جاء يوشيا إلى عرش يهوذا وهو في نعومة أظافره عن عمر يناهز الثامنة نتيجة لحركة شهيرة قامت أيضاً بتصفية أولئك الذين اغتالوا والده آمون (ملوك الثاني ٢١:٢٤، أخبار الأيام الثاني ٣٣:٢٥).

والفقرات التي تصف حكم يوشيا (ملوك الثاني ٢٢:١ــ٢٣:٣٠، أخبار الأيام الثاني ٣٤:١ــ٣٥:٢٧) كانت مهتمة أصلاً بالإصلاح الديني العظيم الذي بدأه . والمرحلة الأولى من هذا البرنامج الإصلاحي حدثت في السنة الثامنة من حكمه (٦٣١ ق.م.) قبل موت (أشور بانيبال) بوقت قصير (٦٢٦ ق.م.) وهو آخر حاكم أشوري عظيم .

ويبدو أن إرميا قد تأثر تأثراً بالغاً بالطريقة التي نبذ بها يوشيا الفساد الوثني الذي أيده أبوه آمون وجده منسى .

وبعد موت (أشور بانيبال) غلب الضعف الداخلي على الأشوريين إلى درجة لم تمكنهم من منع يوشيا من التحرك صوب الاستقلال برفضه القاطع لبسط النفوذ الأشوري . وقام آخرون باقتطاع أجزاء من تلك الإمبراطوزية الممتدة من الأشوريين ، كأهل سميرنا المتبربرين والسكيثيين ، من منطقة القوقاز. أما (الماديون Medes) الذين يقطنون غرب إيران والذين حاربهم الأشوريون قبلاً بنجاح، فقد بدأوا يشكلون تهديداً خطيراً على كيان الإمبراطورية ذاته . وقد تطور الأمر بشكل حاد عندما أكدت بابل استقلالها تحت زعامة (نبو بولاسار Nabopolassar) (٦٢٦ ــ ٦٠٥ ق.م.). ومع أن أشور قد حققت بعض النجاح العسكري ضد مصر تحت قيادة أشور بانيبال ٦٦٣ ق.م. إلا إن هذا النجاح قد انقلب إلى النقيض عند تعاظم قوة مصر بعد تبوء الفرعون بسماتيك للعرش (٦٦٤ــ٦١٠ ق.م.). وبعد خمس سنوات من إرساء يوشيا لقواعد الإصلاح في أورشليم ، تلقى إرميا دعوة إلهية للتنبؤ لأهل يهوذا . وفي خلال تلك الفترة ما بين ٦٢٦ ق.م. والإصلاح الديني ٦٢١ ق.م. ركز إرميا على تحذير الأمة من خطر الغزو القادم من الشمال (١:١٣) ومهاجمة مختلف أنواع الفساد التي كانت سائدة في ذلك العصر .

وعند اكتشاف سفر الشريعة في الهيكل أثناء إعادة بنائه أتوا به إلى الملك . والإصلاح التالي الذي قاده يوشيا قد جاء بإرميا إلى دائرة الضوء كالمفسر الرسمي لعلاقة العهد بين الله وإسرائيل (١١:١ـــ٨) .

أما في أشور ، فقد كانت الأحداث تقترب من الذروة ، ففي حوالي عام ٦١٧ ق.م. تحالف البابليون تحت زعامة (نبو بولاسار) مع أهل مادي وبدأوا في شن الهجمات على كل المدن الأشورية الرئيسية، وتم فتح العاصمة أشور عام ٦١٤ ق.م. وبعد ذلك بعامين استسلمت نينوى القوية للغزاة الفاتحين وفر الأشوريون بعد تفكك شملهم إلى حاران ووجدوا في (بسماتيك) حليفاً لهم والذي كان يرغب ، بلا شك ، في الاحتفاظ بمملكة أشور كدولة عازلة بينه وبين مملكة بابل الفتية ، ولكن حاران سقطت أمام البابليين والماديين عام ٦١٠ ق.م. في السنة التي مات فيها بسماتيك ، وبذلك انتهت المقاومة الأشورية لبابل فجأة .

وقد قام الفرعون (نخو Necho) (٦١٠ـــ٥٩٤ ق.م.) خليفة بسماتيك بمحاولة لبسط نفوذه على سوريا وفلسطين فزحف نحو السهل الساحلي لفلسطين بهدف (يتضح من قراءة أخبار بابل) مساعدة الأشوريين الذين كانوا يقومون بمحاولة مستميتة للصمود في وجه البابليين في حاران . وقد لفتت هذه الحركة انتباه يوشيا في يهوذا حيث أنه لم يكن يرغب أن يرى الجيوش المصرية تساند الأعداء التقليديين لمملكة الجنوب وبالتالي فقد سار نحو مجدو عام ٦٠٩ ق.م. في محاولة لوقف تقدم القوات المصرية ولكنه قتل في المعارك التالية .

وإذ فقدت مملكة يهوذا ملكها واستقلالها في ضربة واحدة . فقد واجهت أول كارثة كبرى ، وقد قوبلت تلك الكارثة بأعظم تعبير عن الحزن عندما نقل جثمان يوشيا إلى أورشليم في عربته الملوكية (ملوك الثاني ٢٩:٢٣، أخبار الأيام الثاني ٢٠:٣٥ـــ٢٥). وقد خلف يهوآحاز الثاني ، ابن يوشيا ، أبيه في جو من التأييد الشعبي ، ولكن الفرعون نخو أحس بشيء من التهديد من جراء هذا الترتيب ، فافتعل حدثاً سبب أزمة أخرى في يهوذا بعد ثلاثة شهور من حكم يهوآحاز وذلك باقصائه عن العرش واستبداله بيهوياقيم أخيه الأكبر عوضاً

عنه ، وأُخِذ يهوآحاز إلى مصر (ملوك الثاني ٢٣ : ٣١ـــ٣٥) فيما يبدو كرهينة لضمان بقاء يهوذا خاضعة له ، وكان عليها تقديم جزية باهظة لمصر ، وبذلك فقدت استقلالها السياسي .

وخلال السنوات الثلاث التالية ازداد نفوذ نخو ازدياداً ملحوظاً في فلسطين وسوريا ، ومما ساعده على ذلك أن البابليين كانوا مشغولين بإعادة تنظيم قواتهم وتأمين الفيلق الشمالي ضد هجمات القبائل الجبلية . وكنتيجة لذلك ، وباستثناء الغارات المتفرقة هنا وهناك ، لم تكن هناك هجمات عسكرية خطيرة من البابليين ضد المصريين .

وفي خلال تلك الفترة لم يكن حظ النبي إرميا شخصياً بأوفر من حظ شعب يهوذا ، وقد بدأت مواجهته للمتاعب بما سمي خطاب الهيكل أو خطاب بيت الرب (٧ : ١ـــ٨ : ٣) الذي ألقى في أورشليم حوالي عام ٦٠٩ ق.م. ، فبشجاعة نادرة سخف النبي الفكرة الشائعة القائلة بأن الثقة البسيطة في بيت الرب كهيكل الله تضمن تلقائياً خلاص الشعب في وقت الكارثة ، وهذا الموقف في حد ذاته لم يكن مقبولاً لديهم ، ولكنه عندما مضى قدماً في التنبؤ بأن الهيكل المُقدس سوف يلقى نفس المصير الذي لقيه هيكل شيلوه قبل عدة قرون ، لم يستطع الشعب تقبل اتهاماته ، وقد كلفته عاصفة الاحتجاج التي نتجت عن ذلك حياته .

ولو كان إرميا أقل إدراكاً للموقف وللرسالة الملقاة على عاتقه كنبي معين من السماء لجيل غير مؤمن ومرتد يسير وفق أهوائه ، لترك الميدان برمته عند هذا الحد باعتباره أمراً ميئوساً منه، ولكن إرميا لم يكن سوى مواطن غيور ومخلص ووطني ، ولذلك شعر أن من واجبه أن يخبر بني وطنه بالأخطار المحدقة في الموقف الدولي وقتئذ .

فمع انهيار الإمبراطورية الأشورية ، بزغ حكم بابل القوى متحدياً أية قوة أخرى في المجال العسكري، وقد تجددت أيضاً أطماع المصريين الدولية تحت قيادة قوية بعد ما يزيد على قرن من الهدوء ، وكان الصراع مع بابل نتيجة متوقعة . لقد تحولت يهوذا إلى مجرد دولة عازلة ، كما أن المعارك التي اختبرتها من قبل عام ٦٠٩ ق.م. لم تكن توحي بمستقبل يبشر بالأمل ، بل إنه في

واقع الأمر فقد بدا لإرميا أنه مهما يحدث سياسياً على مسرح الأحداث فإن دولة يهوذا كان محتماً عليها أن تتحول إلى أرض للمعارك ، وبتصوره لهذا الموقف المحزن أعلن النبي لكل من يسمعه أن مملكة الجنوب سوف تسقط فريسة لقوة نبوخذنصر (٢٥:٩) . وقد كان مصراً على خطورة هذه الكارثة لدرجة أنه بدافع الولاء العميق لبلده ، بذل محاولات مستميتة لإقناع مواطنيه أن يستسلموا فوراً لبابل حتى تتم لهم النجاة من المذبحة المزمع أن تحدث إذ هم رفضوا نصيحته وانصاعوا لنصيحة أخرى (٢٧:٦ــ٢٢) . ولسوء الحظ ، فبالرغم من وطنيته واقتناعه بذلك إلا أن الشعور العام كان ضده ، وهذا الموقف من الشعب هو الذي قضى على مصير الأمة في النهاية .

ومع إدراك يهوياقيم التام للأزمات السياسية المحيطة بيهوذا ، إلا أنه أظهر قليلاً من الاهتمام بنذر الخطر الدالة على أن المبادىء المبنية على إصلاح يوشيا الديني كانت تشرف على الانهيار بالفعل ، ومع أنه لا يوجد دليل على عودة الممارسات الوثنية المتطرفة لحكم منسى من جديد في يهوذا إلا أن بعض الممارسات الدينية الكنعانية السارية قد أصبحت شائعة في ذلك الوقت (١٦:٧ــ١٨، ١١:٩ــ١٣) .

وقد أصبح هذا الاتجاه يلقى تأييداً شبه رسمي ، ويتضح ذلك من أن أولئك الذين عارضوه ، فعلوا ذلك مخاطرين بحياتهم (٢٦:٢٠ــ٢٣) وعدم مقدرة يهوياقيم على رؤية الأمور من زاوية صحيحة قاده لإنشاء قصر أكبر وأفخم، واستخدم السخرة في تشييده (٢٢:١٣ــ١٩) ، ولم يكن إرميا يكنّ شيئاً من الود ليهوياقيم بسبب ذلك العمل . وقد أظهر ذلك العمل أيضاً أن الإحساس المتبلد واللامبالاة ــ من جانب ذلك الحاكم الدمية نحو شعبه ونحو إرميا ــ يعطي انطباعاً واضحاً عن شخصيته المتعجرفة القاسية .

وقد بدأت الأحداث الجسام ذات المغزى الدولي العميق عندما سار (نخو) إلى الفرات من مجدو عام ٦٠٥ ق.م.، ونظم قواته في كركميش وهي مدينة تشرف على الميناء الرئيسي على النهر على بعد ٦٣ ميلاً إلى الشمال الشرقي

من حلب ، وكان هدفه إعادة الاستيلاء على المدينة وجعلها قاعدة لمضايقة البابليين ، ولدهشته وجد أن البابليين قد دخلوا المدينة فجأة في أواخر ربيع عام ٦٠٥ ق.م. تحت القيادة القوية لنبوخذنصر الثاني . وقد هُزم المصريون هزيمة ساحقة في قتال شرس حول المدينة (٤٦ : ٢) وتقهقروا في فوضى شاملة إلى حماة على نهر (أورونتس Orontes) ، وهكذا أظهرت معركة كركميش التفوق العسكري للبابليين ، وأبرزت كيف دانت السيطرة لهم في منطقة الشرق الأدنى ونتيجة لذلك فقد اقتنع إرميا أكثر من ذي قبل بأن دولة يهوذا يجب أن تخضع لبابل إذا هي أرادت أن تبقى كأمة بدلاً من أن تفنى فناء ، وحيث أن كل طرق التجارة إلى مصر قد أصبحت الآن وبلا منازع تحت رحمة بابل، فقد رأى النبي بوضوح أن بابل سوف تشن هجوماً ساحقاً على مصر، وأن الأمر لم يعد سوى مسألة وقت . ولكيلا يتيح لأعدائه فرصة لالتقاط الأنفاس وتنظيم القوات ، سار نبوخذنصر نحو السهل الساحلي لفلسطين عام ٦٠٤ ق.م. ونهب مدينة أشقلون وأخذ الكثيرين من سكانها أسرى إلى بابل ، وكان إرميا قد توقع هذا الحادث المأساوي (إرميا ٤٧ : ٥ــ٧) ، وكذلك النبي صفنيا (صفنيا ٢ : ٤ــ٧) ويبدو كذلك أنه كان ذا تأثير عميق على أهل يهوذا ، فقد أحسوا بلا شك أن كوارث أخرى في طريقها إليهم على عجل ، ولذلك فقد أعلنوا صوماً في يهوذا (إرميا ٣٦ : ٩) ، ومن الأمور التي لها دلالتها أن تاريخ هذا الصوم يتزامن مع حملة نبوخذنصر ضد أشقلون . على أي حال ففي عام ٦٠٤ ق.م. قرر يهوياقيم مع بعض الحكام الآخرين الخضوع لنبوخذنصر وأن يصبحوا عبيداً له (٣٦ : ٩ــ٢٩) ، ومع أن يهوياقيم كان ملكاً ضعيفاً وكان يسعى لتعزيز غروره الشخصي وأنانيته إلا أنه كان نهازاً للفرص السياسية المتاحة ، فتخليه عن مساندة مصر والخضوع لسيطرتها كان قد سبق التخطيط له ليعطي مهلة مؤقتة ليهوذا لالتقاط الأنفاس، وكان ذلك ضرورة ملحة، وما أن تخف حدة الأزمة السياسية حتى يعود ثانية ليخطب ود مصر كما أثبتت الأحداث عام ٦٠١ ق.م. ، وفي أواخر ذلك العام شن البابليون هجمات على المواقع المتقدمة لمصر وفوجئوا بمقاومة باسلة . وتبين المصادر الخطية أن نبوخذنصر قفل راجعاً لمدة عام ليعيد تنظيم صفوفه. وقد كان ذلك ضرورياً بسبب المقاومة الصامدة للمصريين .

وقد أثرت تلك الأحداث على يهوياقيم ، فارتكب ذلك الخطأ المصيري بالقاء قرعته إلى جانب مصر مرة أخرى ورفضه سيطرة بابل (ملوك الثاني ٢٤:١) برغم تحذيرات إرميا العاجلة (إرميا ٢٢:١٣ــ١٩) .

وحيث أن الجيوش البابلية الرئيسية لم تكن بعد جاهزة للقتال، قام نبوخذنصر بتنظيم الحاميات المحلية جنباً إلى جنب مع السوريين والموآبيين وبني عمون للإغارة على المملكة الجنوبية (ملوك الثاني ٢٤:٢) .

وفي ديسمبر من عام ٥٩٨ ق.م. قام الجيش البابلي الذي أعيد تنظيم قواته بالهجوم على فلسطين ، وعند ذلك الوقت مات يهوياقيم قبل ثلاثة شهور من سقوط أورشليم ، أما كيف فاجأته المنية ، فهذا غير معروف ، ولا يمكن أن يقال عن يقين إنه قد اغتيل حتى يكون البابليون أكثر هوادة في تعاملهم مع أهل يهوذا .

ومع ذلك فباستثناء نهب الهيكل فنبوخذنصر لم يخرب المدينة عندما سقطت في اليوم الثاني من شهر آذار (مارس ١٥ــ١٦) عام ٥٩٧ ق.م.، مكتفياً بنفي الملك يهوياكين الذي خلف والده (ملوك الثاني ٢٤:٨) وأم الملك والحاشية الملكية وقادة الشعب . وقد سمح أيضاً ليهوذا أن تبقى كدولة تحت حكم صدقيا أصغر أبناء الملك يوشيا (إرميا ١:٣) وعم يهوياكين (ملوك الثاني ٢٤:١٧) . ولسوء الحظ فإن هذا العمل قد ختم على مصير مملكة الجنوب لأن صدقيا قد ثبت أنه إنسان ضعيف لم يستطع أن يسيطر على رعيته (إرميا ٣٨:٥و١٩) ، وقد وجد أنه من المستحيل تعويض غياب القيادة السياسية الناتج عن إقصاء أفراد الحاشية إلى بابل ، ومع أن صدقيا كان قد حلف يمين الولاء للسادة الجدد إلا أن رجال دولته الحاليين قد فضلوا الالتجاء إلى مصر لطلب العون السياسي والعسكري . وفي عام ٥٩٥/٥٩٤ ق.م. حدثت انتفاضة في بابل ضمت بعض الناس المبعدين من يهوذا لأن نبوخذنصر كان قد أعدم بعض الأنبياء من يهوذا (إرميا ٢٩:٢١) ، وقد كان لهذا الحدث أبعاد أخرى حيث أن بعض الأنبياء الكذبة كانوا قد تنبأوا بأن السبي سوف يدوم لمدة عامين فقط وكانوا يسعون للقضاء على إرميا النبي، سواء عن طريق بابل أو عن طريق أورشليم، أما إرميا

فكان على النقيض من ذلك قد تنبأ بأن السبي سوف يدوم لمدة سبعين عاماً

أما في خارج يهوذا ، فقد قامت ثورة في بابل وبالرغم من أنها قد أخمدت سريعاً إلا أنها قد أحيت الآمال في انهيار قوة بابل . وقد دفع الأمل في انهيار بابل بوفود من أدوم وبني عمون وموآب ليأتوا إلى أورشليم في عام ٥٩٤/٩٣ ق.م. ليناقشوا مع مبعوثين من صور وصيدون إمكانة التمرد ضد بابل (٣:٢٧) .

وقد تأثر الرأي العام بلا جدال بأقوال الأنبياء الكذبة ، والذي كان يبشر بعودة المسبيين سريعاً (٢:٢٨ـالخ) ولكن إرميا ، مع ذلك ، كان يعترض بشدة على أي رفض لسيطرة بابل ، وكنتيجة لأقواله ، قام صدقيا بزيارة بابل في نفس السنة (٥٩:٥١) ليزيل الشكوك من قلب نبوخذنصر .

وعندما اعتلى الفرعون (خفرع Hophra) عرش مصر عام ٥٨٩ ق.م أثار فترة جديدة من القلق السياسي في يهوذا بالتدخل في شئون فلسطين كأبيه بسماتيك الثاني (٥٩٤ ــ ٥٨٩ ق.م.) الذي فعل نفس الشيء من قبل

وقد استسلم صدقيا لضغوط معاونيه قليلي الخبرة ، ودخل في مفاوضات مع خفرع ملك مصر على غير هواه ، وبالطبع فقد رأى البابليون أن ذلك يعد نوعاً من العصيان يتطلب أقسى أنواع العقاب .

وفي عام ٥٨٧ ق.م. اكتسح الجيشان البابلي والكلداني ولايات سوريا الصغرى (٩:٢٥) وقهرت مدن يهوذا الحصينة واحدة وراء الأخرى، وفي مدى ثلاثة شهور لم يتبق سوى مدينتي لخيش (تل الدوير) في الجنوب الغربي ليهوذا ، وعزيقة (تل الزكريا) في الطريق قبل وقوع مذبحة في أورشليم . وقد اكتشفت بيانات كافية عن الموقف السياسي والعسكري في ذلك الوقت باكتشاف بعض الأواني الفخارية المنقوشة في لخيش ، وهي تبين ضمن أشياء أخرى المدى الذي وصلت إليه الروح المعنوية في أورشليم من انحطاط بسبب الكارثة ، ومع عدم وجود أي بارقة أمل ، تواردت الأنباء للعاصمة بأن المصريين في طريقهم لنجدة المدينة . فقام البابليون في الحال بتوزيع قواتهم التي تحاصر أورشليم لمواجهة هذا

التهديد الذي يرخي قبضتهم على جنوب فلسطين (٣:٣٧و٥) . وبعد وقت قصير ، طردوا المصريين إلى حدودهم . واستمرت أورشليم تقاوم الحصار البابلي لعدة أشهرومع أن إرميا حث صدقيا على الاستسلام (٣:٣٧ـــ١٠، ٣٨: ١٤ـــ٢٣) فإنه لم يكن على استعداد أن يفعل ذلك أو بالأحرى لم يكن يقدر على ذلك .

وعند نبذ نصيحة إرميا ، حاول صدقيا أن يترك المدينة ، ولكنه اتهم بأنه هاجر إلى العدو وألقي به في السجن بازدراء (١١:٣٧ـــ٢١) ، حيث ظل به حتى سقطت المدينة .

وعندما حلت المجاعة عام ٥٨٧ ق.م. استولى البابليون على أورشليم وبذلك انتهى وجود مملكة يهوذا . وقد نُهبت المدينة ، وقُلعت عينا صدقيا نفسه وأُخذ أسيراً إلى بابل مع كثيرين من رجاله ، واحتلت القوات الكلدانية المغيرة أورشليم وما جاورها ، وعلى النقيض من ذلك فبعد إخراج إرميا من السجن عومل باحترام بناء على أوامر من نبوخذنصر. وعندما عُين جدليا حاكماً على يهوذا كولاية من ولايات إمبراطورية بابل ، انضم إليه إرميا في المصفاة (٦:٤٠) وأيده في مساعيه لاستعادة الانضباط إلى المجتمع . ولكن المؤامرة التي حيكت بين المطالبين بالبيت الملكي القديم أدت إلى مقتل جدليا ، بينما فر بقية من كان في المصفاة إلى مصر آخذين معهم إرميا (١:٤٢ـــ٢٢) ، وفي عام ٥٨١ ق.م. حدث استبعاد ثالث للسكان من يهوذا بناء على أوامر نبوخذنصر ، ربما عقاباً على مقتل جدليا ، وهكذا انتهت مملكة يهوذا التي كانت مزدهرة يوماً ما ، لتبتلع في نطاق إقليم السامرة المجاور .

وقد ألقت الحفريات الكثير من الضوء على الأيام الأخيرة لمملكة الجنوب وأيدت صدق رواية الكتاب المقدس في الكثير من المواضع .

وقد ألقي الضوء أيضاً على تاريخ الفترة ما بين عامي ٦٢٦ و ٥٩٤ ق.م. من منطلق آخر غير الكتاب المقدس عندما أماط د. ج وايزمان اللثام في عام ١٩٥٦ عن أربعة ألواح أخرى من أخبار أيام بابل في محفوظات المتحف البريطاني . وتعتبر هذه أول قصة علمانية عن سقوط أورشليم ، وقد قدمت

معلومات عامة عن حملات الجيوش البابلية بدءاً من عام ٦٢٦ ق.م. وقد سجلت تلك الأخبار هزيمة المصريين المروعة في كركميش عام ٦٠٥ ق.م. والاحتلال البابلي التالي لكل منطقة حَتّي Hatti وهناك معركة لم يسبق تسجيلها بين مصر وبابل حدثت عام ٦٠١ ق.م. والتي تحمل فيها الطرفان طبقاً لرواية «الأخبار» خسائر ثقيلة . ونتيجة لذلك ، فقد أجبر نبوخذنصر على الانسحاب إلى بابل لمدة عام ليعيد تنظيم صفوفه ، وفي الاثنى عشر شهراً التالية أخذ يختبر قوة التحصينات في سوريا . ومن الدليل المستمد من (الأخبار) يمكن الآن أن نحدد موعد سقوط أورشليم في سنة ٥٩٧ ق.م. بدقة تامة. وتعد هذه المعلومات ومعلومات أخرى مستمدة من ذلك المصدر العلماني البالغ الأهمية ، خير معين لتأكيد صحة رواية الكتاب المقدس . كما أنه قد أمدنا بمعلومات جديدة عن الموقف الدولي في القرن السابع قبل الميلاد.

وقد أُلقي الضوء أيضاً على الأيام الأخيرة ليهوذا، سنة ١٩٣٥ عندما اكتشفت ثماني عشرة قطعة فخارية من الجرار ومحفور عليها بنفس طريقة المخطوطات العبرية القديمة ، كتلك التي وجدت على حجر موآب ، وقد وجدت هذه القطع الثماني عشر في منطقة بمدينة لخيش القديمة، وقام بالاكتشاف (ج. ل. ستاركي J. L. Starkey) الذي وجد قطع الفخار المكسورة في حطام حجرة بمخفر صغير يقع خارج باب المدينة . وبعد ذلك بثلاث سنوات استعيدت ثلاث قطع أخرى من نفس المنطقة ، وهذه القطع معاً تحوي رسائل وقوائم أسماء من الفترة السابقة لسنة ٥٨٧ ق.م. مباشرة ، ويمكن إرجاع معظم النصوص لسنة ٥٨٩ ق.م. ومع أنها لم تكن في حالة جيدة إلا أنه واضح أن عدداً منها عبارة عن رسائل عاجلة ذات صبغة عسكرية ، وفي إحدى هذه القطع (القطعة رقم ٤) كان يشكو فيها الكاتب أن لخيش وعزيقا فقط تقفان حائلاً بين العدو وأورشليم ، بينما في رسالة أخرى (القطعة رقم ٦) ينتقد الكاتب وجهاء القوم في أورشليم لإضعاف الروح المعنوية للسكان، ومن باب السخرية فيما يختص بتلك الشكوى ، أن نفس هؤلاء الوجهاء قد اتهموا إرميا بإضعاف الروح المعنوية للسكان في أيام صدقيا (٤:٣٨) والقطعة رقم ٣ التي كتبها هوشعيا وهو نفس الشخص الذي كتب القطعة رقم ٤ ، قد أشار لنبي معين لم يحدده بالضبط، وقد قال بعض الدارسين إن في ذلك إشارة لما فعله

النبي إرميا ، بينما قال آخرون إن في ذلك إشارة لنبي معاصر مجهول . ومثل تلك الطريقة لم تكن غير مألوفة في الشرق الأدنى قديماً حيث كانوا يبحثون عن التكهنات النبوية التي كانت تقدم لإدارة المعارك الحربية .

ويقول (هـ . توركزنر H. Torczner) إن قطع الفخار كانت تشكل جزءاً من مجموعة قطع تتحدث عن مصير نبي يعرف باسم (أوريا Uriah) من (كيريات جريم) . وكان هذا الرجل قد تنبأ بسقوط أورشليم ثم هرب بعد ذلك إلى مصر ليتجنب القتل ، ومع ذلك قد سُلِّم لبلده بعد ذلك بوقت قصير بناء على أوامر يهوياقيم ، وأحضر إلى أورشليم حيث نُفذ فيه حكم الإعدام (٢٦:٢٠ــ٢٣) .

ومع ذلك فالأكثر احتمالاً أن الرسائل تتكلم عن المحنة العسكرية التي أحاقت بيهوذا نتيجة للغزو البابلي . وحيث أن النبي لم يذكر اسمه ، فمن المشكوك فيه إمكان التوصل لتحديد قاطع لشخصيته .

ومع ذلك ، يتضح مما سبق ، أن هذه الرسائل تشكل تأييداً علمانياً قوياً لنبوءة إرميا . وقد أظهرت الاكتشافات التي وجدت بالقرب من باب عشتار في بابل القديمة عدداً من الألواح مذكور فيها قوائم بكميات الحبوب والزيت المخصصة للأسرة في بابل بين عامي ٥٩٥ و٥٧٠ ق.م.

ومن بين من ذُكر في القوائم «يوكين[١] ملك أرض اليهود» والمذكور في (ملوك الثاني ٢٧:٢٥) كالمتلقي لهبات الملك.[٢]

وهناك دليل مستمد من مركز يهوياكين في بابل ، حيث تم اكتشاف ثلاثة مقابض لجرار مختومة في (دبير وبيت شمش) وقد حفرت عليها هذه الكلمات : «خاص بإلياقيم وكيل يوكين» وكل الأختام التي عليها متماثلة . وهذا يبين أن البابليين كانوا لا يزالون يعتبرون التاج ملكاً خاصاً له،[٣] وأن وكيلاً قد عين

(١) يهوياكين
(٢) الملك أويل مردوخ ملك بابل (المترجم) .
(٣) أي ليهوياكين ..... المترجم

للإشراف عليه فيما بين عامي ٥٩٨ و ٥٨٧ ق.م.

وهناك ختم آخر قد اكتشف ١٩٣٥ بين أطلال مدينة لخيش محفور عليه هذه الكلمات «إلى جدليا رئيس أهل البيت» وعلى الجانب الآخر من الختم توجد آثار لوثيقة من ورق البردي كان الختم ملتصقاً بها أصلاً ، وصاحب الختم هو بلا شك جدليا ، الذي كان قد عين من قِبل نبوخذنصر كحاكم ليهوذا (ملوك الثاني ٢٥:٢٢). وأما لقب «رئيس أهل البيت» كان يطلق على المسئول التنفيذي الكبير التالي للملك في الرتبة .

يتضح من ذلك ومن أدلة أخرى أن سفر إرميا يمكن إقامة الدليل على صحته بتقديم الأمثلة والإيضاحات المستمدة من علماء الحفريات والاكتشافات الحديثة .

٣ ــ أشكال العهد في الشرق الأدنى القديم

إن نبوة إرميا لديها الكثير لتقوله عن العهد مع إسرائيل ، وهي ذات أهمية خاصة في تحديد النقاط التي تم فيها الاخلال بشروط المعاهدات التاريخية، وكانت على وشك أن تستبدل بمعاهدات جديدة . والعهد المنوه عنه هو ذلك العهد الذي أقيم بين الله والإسرائيليين في سيناء ، والذي كان من نتيجته ، أن أصبح إسرائيل هو الشعب المختار والوارث لأرض الميعاد . وقد أملت شروط الاتفاق بأن يكون الله هو المسدد لجميع احتياجات شعبه إذا أطاعوا بدورهم وصاياه ولم يعبدوا إلهاً آخر (خروج٢٠:٣) ونتيجة لذلك تم تأسيس إسرائيل كأداة الإعلان الإلهي في العالم وأن تكون شاهدة لمجتمع وثني معاصر عن طبيعة ومقاصد الإله الحي الحقيقي . وبينما كانت هناك عهود من أنواع مختلفة يرجع تاريخها للألف الثالث قبل الميلاد في الشرق الأدنى متمثلة في العهد القديم كتلك الاتفاقيات بين الله ونوح (تكوين ٩:٩) وبين الله وإبراهيم (تكوين: ١٥:١٨، ٧:١٧)، إلا أن تركيب وصياغة العهود الموسوية وما بعدها قد سُلط عليها الضوء بنوع خاص مؤخراً نتيجة لاكتشاف الألواح في (بوجازكوي Boghazkoy، وتلك المصادر تبين أنه في الألف الثانية والأولى قبل الميلاد كان هناك نوعان مختلفان من المواثيق الدولية بين أطراف تربطهم التزامات مماثلة (وتعرف باسم معاهدة المساواة) ، ونوع آخر بين ملك عظيم وعبد أو خادم له (وتعرف باسم معاهدة السيادة) إن مثل تلك الأشكال المعقدة من الاتفاقيات كان ضرورياً لاستقرار امبراطورية الحيثيين القديمة ، وبنوع خاص معاهدات السيادة ، ومعاهدات الألف الثاني قبل الميلاد المبرمة في وقت متأخر من هذا النوع كانت تتبع نمطاً محدداً يحتوي على لقب مخصص لصاحب العهد ثم مقدمة تاريخية كانت تستعرض العلاقات الماضية بين طرفي العهد ، السيد والعبد ، مبينة أن الاحسانات الماضية التي قدمها الأول هي أساس الشكر والامتنان والطاعة المستقبلية من الطرف الثاني ، ثم الشروط التفصيلية التي يفرضها الملك العظيم على العبد التابع ، ثم شرط ينص على وجوب قراءة العهد علناً بين حين وآخر من جانب العبيد ، ثم قائمة بأسماء الآلهة كشهود على الاتفاق ثم ذكر للبركات واللعنات الناجمة عن مراعاة العهد أو الاخلال بشروطه .

وكل معاهدات القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد المعروفة حتى وقتنا الحاضر كانت تسير وفق هذا النمط ، والاختلاف الوحيد كان يكمن في حذف عناصر معينة . وبالاضافة للشكل المتقدم كان يتم التصديق على بعض المعاهدات في احتفال يتلى فيه قسم الطاعة وكان يعد طقساً مهيباً وكان هناك اجراء يتخذ عندما يشق العبيد أو الاتباع عصا الطاعة على أسيادهم . وقد اكتشف اختلاف هام بين معاهدات الألف الثانية والأولى قبل الميلاد ، وهو اختلاف ذو طبيعة دولية ، حيث تم حذف المقدمة التاريخية في الألف الأولى .

ولقد توصل بعض الدارسين بعد دراسة الدليل المستمد من هذه الصيغ المختلفة ، أن هناك تغييراً جوهرياً بسيطاً في المعاهدات في الألف الثانية عن الألف الأولى قبل الميلاد . وبينما كانت هناك عناصر ثابتة في كلا الفترتين إلا أنه من الواضح أنه في المعاهدات المؤرخة ، فإن ترتيب العناصر في معاهدات الألف الأولى ق.م. أقل ثباتاً ودواماً عنه في نظيرتها في أواخر الألف الثانية ق.م. وحتى «الوحدة الجوهرية» التي يتكلم عنها (مكارثي)[1] تنفصم عراها فيما يتعلق بالمقدمة التاريخية التي كانت سمة تميز معاهدات الألف الثانية ق.م. والتي كانت بحاجة إلى برهان قاطع في العديد من المعاهدات المنشورة في الألف الأولى ق.م.

وعهد سيناء يتجاوب بوضوح مع نمط المعاهدات المتأخرة في الألف الثاني ق.م. فقد كانت تحتوي على لقب محدد (خروج ٢٠:١) ومقدمة تاريخية (خروج ٢٠:٢) وشروط ذات طبيعة خاصة (خروج ٢٠:٣ــ١٧و ٢٢ــ٢٦، ٢١ــ ٢٣، ٢٥ــ٣١) ، ثم نص خاص باقرار العهد وقراءته (خروج ٢٥:١٦، ٣٤: ١و٢٨و٢٩) ثم الإشارة إلى حضور شهود (خروج ٢٤:٤) ثم القسم واحتفال طقسي مهيب (خروج ٢٤:١ــ١١) .

إن مثل هذ النمط يضع عهد سيناء في موضعه الصحيح من العصر الموسوى، ويوحي أيضاً بحقبة متأخرة من الألف الثانية ق.م. لحدوث تجديد في العهد

---

(١) د. ج. مكارثي في كتابه «الاتفاقية والمعاهدة» ونقد د. ج. وايزمان لموقف مكارثي في كتابه «علم الحفريات ودراسة العهد القديم» .

كما يرى في سفر تثنية وفي سفر يشوع أصحاح ٢٤ . فقد كان القصد من عهد سيناء أن تعامله إسرائيل بطريقة مشابهة لنظيره من العهود الأخرى المبرمة في المجتمع المعاصر . وبينما كان العهد مع إسرائيل فريداً من حيث أنه أقدم عهد يربط بين أمة وإله حي ، إلا أنه كان ملزماً كالأنواع الأخرى من العهود فيما يتعلق بوجوب مراعاة شروط العهد . والاخلال بشروط العهود سواء كانت من النوع الأول (عهود المساواة) أو النوع الثاني (عهود السيادة) كان يحمل في طياته عقوبات معينة كما ذكر من قبل ، وهذا أيضاً ينطبق على عهد سيناء . وبسبب الارتداد الذي بدأ أثناء فترة البرية ، والذي جلب تهديداً خطيراً على روحانية الأمة قبل عصر القضاة ، فإن الإسرائيليين قضوا فترة طويلة تحت تهديد العقاب ، ورسالة أنبياء ما قبل السبي كانت في الحقيقة تشكل مجهوداً مضاعفاً لاسترجاع إسرائيل العاصي حتى يراعي التعهدات التي قدمها أسلافه في سيناء في محاولة لتلافي كل مضاعفات الارتداد . وبما أن كل تلك المجهودات قد ذهب أدراج الرياح ، فما من شك في ضرورة العقاب الإلهي . وهذا هو الموقف الحرج الذي أحاط بإرميا طوال مدة خدمته . فمع أنه كان يدرك جيداً أن التهديد بالعقاب كان مشروطاً باستمرار الارتداد القومي إلا أنه كان أيضاً يعرف أن الاهمال المتعمد لالتزامات العهد جعل وقوع الكارثة ليس سوى مسألة وقت فقط . فذلك اليهودي الشديد الحساسية والوطني لم يكن أمامه سوى ذلك العمل الذي لا مهرب منه لإعلان رسالة الدمار لاخوانه المواطنين الذين وصلوا لحالة من اللامبالاة ، وكان إخلاصه العميق لشروط عهد سيناء باعثاً على توصيل رسالته النبوية بهذه الأمانة الفريدة .

٤ ــ تركيب السفر ــ كاتبه وتاريخه

من المعلوم الآن أن كتابات الأنبياء الباقية حتى الآن تحتوي فعلاً على مختارات أدبية من أقوالهم . وسفر إرميا ليس استثناء من هذه القاعدة العامة .

فالسفر يستعرض مجموعة كبيرة من الأشكال والأنماط الأدبية كبعض أسفار النبوات الأخرى ، ويظهر الشعر فيه متخفياً تحت أقنعة عديدة كملاحم الحرب البطولية (٤:٥ــ٨و١٣ــ١٦، ١٩ــ٢٢) وفي أنماط عديدة من التنديد بالأمم الوثنية (٤٦:٣ــ١٢، ٥٠:٣٥ــ٣٨). وفي أشجان الحزن الطاغي (١٣:١٥ــ ١٧)، بينما يستعرض النثر أشكالاً عديدة كضرب الأمثال (١٣:١ــ١١، ١٨: ١ــ٦) وخبرة الرؤى (٢٤:١ــ١٠)، ووقائع حية من الحياة (٢٦:١ــ٢٤، ٢٧:١ــ٢٨:١٦)، ومادة وعظية (٧:١ــ١٥، ٣٤:١٢ــ٢٢) ، وقد جاء الكثير من التكهنات النبوية في صيغة شعرية كما في أسفار العهد القديم الأخرى ، والسمة العامة لهذا النوع من الأدب سوف يتم بحثه في مقدمة المراثي عند نهاية هذا الكتاب .

ومع أن الوحدات الأدبية للنثر والشعر تختلف كثيراً في الطول والشكل والمضمون إلا أن أجزاءً مختلفة من السفر تحوي تطابقاً نسبياً في الأسلوب . وهذه الظاهرة قد استخدمت كأساس للنقد الأدبي لسفر إرميا . ومع ذلك فقد كانت نتائجها غير موحدة نظراً للطبيعة الموضوعية للبحث . وقد قام (دوم Duhm) بأول إسهام له ، وذلك بأن تعرف على ثلاثة أنواع رئيسية من المادة المكتوبة في النبوة وهي بالتحديد : الأقوال الشعرية والسرد النثري لتاريخ الحياة ، والأحاديث النثرية . وقد تم شرح هذه الفكرة وتطبيقها على النص في ضوء آراء مبنية على التقليد الشفاهي لبعض الدارسين وبخاصة (موينكيل Mowinckel) الذي اعتبر نبوة إرميا مكونة من ثلاث مجموعات رئيسية من المادة المكتوبة ، وقد اعتبر بعض الدارسين أن نبوة إرميا عبارة عن مجموعة من عدة كتب قصيرة ، واعتبروا أن ما ورد في (٢٥:١٣) دليل على نهاية إحدى هذه الكتب ، وبناء على ذلك قالوا إن التاريخ المذكور في (٢٥:١) يحدد المدى الزمني لهذا الكتاب إذ أنه يحوي الأقوال المعلنة من حوالي ٦٢٦

ق.م. إلى ٦٠٥ ق.م.، حيث أن الأصحاح الأول من المفترض أنه مماثل لما جاء في (٢٥: ١—١٣) . ولأن هذه الفترة هي تقريباً تلك التي يغطيها درج السفر المذكور في أصحاح ٣٦ ، فقد اقترح أن (٢٥: ١—١٣) يحوي إما بداية أو نهاية مثل هذه الوثيقة ، ومع ذلك فحيث أن الأصحاحات الأربعة والعشرون الأولى من النبوة تحوي مادة متأخرة عن ٦٠٥ ق.م. فليس من السهولة بمكان أن نعرف كيف وجدت هذه القصص مكاناً لها في درج يرجع لذلك التاريخ .

ومع ذلك فقد زعم أن (كتاباً) آخر يحوي الأصحاحات من ٤٦ إلى ٥١ وهو الجزء المحتوي على نبوات قيلت ضد عدة أمم وثنية ، ووجود هذه المجموعة في شكل مستقل قد تأسس على بداية النص الماسوري (MT) لأصحاح ٤٦: ١ . ولأن هذه المادة تظهر في الترجمة السبعينية بنظام وموقع مختلف عما جاء في الـ (MT) فقد قيل إن النبوات في الأغلب ليست لإرميا وان لها تاريخاً مستقلاً من حيث نقل النصوص . وكل ما قد يعنيه ذلك أن من قاموا بالترجمة السبعينية قرروا إعادة ترتيب وضع النبوات في ترجمتهم الخاصة لأسباب لم تعد ظاهرة للدارس العصري اليوم عما كانت عليه حين استند عليها واضعو النص الماسوري في ترتيبهم لأجزاء السفر .

ومما تجب ملاحظته في هذا الصدد ، مع ذلك ، أن النبوة تحوي أجزاء كثيرة من الأدب من النوع الذي يمكن أن نلمسه بوضوح في نبوات أخرى . (قارن إشعياء ٢٣:١٣، عاموس ٣:١—٣:٢، حزقيال ٣٢:٢٥) ، ولذا فالمشكلة أمامنا هنا ليست فريدة في نوعها .

وقد أُعتقد أنه يوجد «كتاب» ثالث يحوي الأصحاحين ٣٠و٣١ وقد يضم أيضاً أصحاحي ٣٢و٣٣، وهذا الجزء يتكون من مجموعة أخرى من المادة الأدبية ذات طبيعة متميزة، وحيث أنها تحوي الكثير من الأقوال عن الرجاء في المستقبل، فقد أطلق عليه (سفر التعزية) في بعض الأوساط .

وسواء كان بعض مما سبق كان يشكل النمط الحقيقي الذي سار عليه تطور السفر ككل أم لا ، فمن المهم للقارىء أن يفهم أن لفظ (كتاب) كما استخدم من قبل ليس له علاقة بالاستخدام الحديث لتلك الكلمة . ففكرة (الكتاب)

في هذا الصدد قد تكون مضللة ، ولهذا السبب وحده فإننا يجب أن نتعرف على صيغ المادة المكتوبة ، على أنها بالتحديد مجموعة من القصص والأقوال المتصلة بموضوعات معينة ونبوات مختلفة الأنواع لا تمثل أي خطة منطقية في الترتيب ، وليس بينها على الأقل ما يوحي بخطة زمنية .

وكما قيل من قبل فإن سفر إرميا يحوي عدداً من الأشكال الأدبية المختلفة منها النثر ومنها الشعر المتناثر في صُلب السفر بنسب متقاربة إلى حد كبير، ومع ذلك فإن كلا العنصرين الرئيسيين يظهران بأشكال مختلفة ، والنتيجة أن أنواعاً مختلفة من الشعر تبدو واضحة المعالم بينما النبوات النثرية معلنة أحياناً بضمير المتكلم وأحياناً أخرى بضمير الغائب .

وبرغم الاختلافات هناك ترابط ملحوظ في اللغة والأنماط الفكرية، حتى أنه بقراءة النص العبري ، نادراً ما يوجد أدنى شك أننا نقرأ سفر إرميا حتى وإن كان الفكر وراء الكلمات يعكس أفكار الأنبياء الآخرين ، وهذا يثبت ترابط ووحدة السفر وأنه لكاتب واحد . وقد اتبع كثير من الدارسين العصريين ما فعله (مونيكل) بدرجات متفاوتة في تمييز ثلاثة أنماط أدبية رئيسية في النبوة وهي أجزاء نثرية لسرد تاريخ الحياة ، وأحاديث نثرية ثم أقوال شعرية ، وعلى أساس نقدي من إعادة صياغة التاريخ العبري فقد اقترحوا أن النبوة قد برزت إلى الوجود عندما حررت أقوال إرميا وقصص تاريخ الحياة لباروخ ثم نشرت على أيدي مؤيدي حركة الاصلاح بقيادة يوشيا أثناء السبي وفيما بعد السبي ، وإعادة الصياغة النقدية للتاريخ لها تأثيرها على وضع تاريخ متأخر للصورة النهائية للنبوة ، كما حدث ذلك أيضاً ، بالنسبة لسفر التثنية . ولا حاجة بنا للقول بأن مثل ذلك الاتجاه في البحث لا يتعب نفسه ليفسر لنا علاقة إصلاحات يوشيا بالموقف أثناء السبي، أو فيما بعد السبي في حين كانت الوثنية الكنعانية في خبر كان إذ قضى عليها نهائياً . ومع ذلك فالكثير من الأنماط الأدبية في السفر يمكن تمييزها وفصلها عن متن النبوة ، وهذا يدل على الحقيقة البسيطه بأنها لا تشكل أساساً لفهم مطلق لأية مبادىء تم بها ترتيب المادة المكتوبة . وعلى عكس الدليل المستمد من النبوة ذاتها . والذي يشير لتاريخ قصير الأمد وإن كان معقداً في نقل النص ، فإن بعض الدارسين وبخاصة في

شبه جزيرة اسكندنافيا ، قد استغلوا فكرة النقل الشفاهي للإيحاء بأن النبوة قد اتخذت شكلها النهائي فقط بعد القرن السابع ق.م. بمدة طويلة ، وقالوا إنه بسبب ندرة مواد الكتابة آنذاك فإن أقوال النبي قد انتقلت من جيل إلى آخر عن طريق الأقوال الشفوية أساساً ، وعند نهاية تلك العملية المعقدة كانت هناك النبوات العديدة التي كتبت مؤخراً .

وناهيك عن الزعم الذي لا مبرر له بأن مواد الكتابة كانت نادرة في ذلك العصر ، وهو رأي ليس له دليل واقعي إطلاقاً ، فإن مثل تلك الحجج يشوبها عدم الفهم المزدوج لطبيعة النقل الشفاهي في الشرق الأدنى القديم ، وافتراض أن الوسائل الفنية التي استخدمها مؤلفو أغاني (نورس Norse) في تخليد أغانيهم كانت تصلح أيضاً للشعوب الشرقية .

ووجود العديد من المصادر الأدبية المختلفة المتوفرة حالياً ، يوضح تماماً أنه في الشرق الأدنى القديم ، كان أي شيء يحظى بأهمية خاصة يدون بعد وقت قصير جداً من حدوثه . وكان النقل الشفاهي يستخدم أساساً لإعلان المادة جهراً للناس في جيل معين وعندما كانوا يريدون نقل معلوماتهم لذريتهم فقط كان النقل الشفاهي يتخذ طبيعة خطّية .

وفي الشرق الأدنى القديم كانت توجد الأشكال الشفوية والخطيّة لنفس الحدث جنباً إلى جنب ، وكان ذلك ممكناً بسبب الدرجة العالية من التعلم في المجتمع المعاصر . وعلى النقيض من ذلك ففي اليونان وأوروبا حيث كانت أغلبية السكان من الأميين ، فإن الحكم والأساطير وقصص التاريخ والمواد الأخرى كانت تعتمد في بقائها على أذواق وعادات المدّاحين المتجولين ومؤلفي الأغاني الشعبية الذين لم يمانعوا عند تنويع محتوى تقاليدهم إلى حد ما بحسبما تتاح لهم الفرصة . وكنتيجة لذلك ، فلم يتم وضع المواد في صيغة مكتوبة إلا بعد وقت متأخر من تاريخ نقلها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في دراسات العهد القديم ، كما في الفروع الأخرى من المعرفة ، فإنه من بالغ الأهمية تطبيق الوسائل والاجراءات الصحيحة على المشاكل التي تصادفنا .

وفيما يتعلق بجمع ونقل سفر إرميا ، فسوف يتضح للقارىء أن الصعوبات ذات طبيعة معقدة لدرجة مذهلة . ومن ثم فإذا اتبعنا طريقة ذاتية تعسفية تهدف لتزاوج الوحدات الأدبية مع نظرية نقل النصوص والتي لا تتفق مع الممارسات الشائعة للكتبة في الشرق الأدنى القديم ، وطبقناها على موضوع مثل نقل سفر إرميا ، فإن المصاعب التي تصادفنا للتوصل إلى أي رأي منطقي معقول ، سوف تتضاعف بدرجة هائلة . واستخدام التعليم الشفهي في هذه القرينة العامة يجب أن يفهم فهماً صحيحاً ، إذا أردنا التوصل لطريقة سليمة لشرح المشاكل المتعلقة بالطريقة التي اتخذ بها السفر شكله النهائي ، ونتيجة لذلك فمن الأفيد للقارىء أن يلاحظ ما ذكره (برايت **Bright**) من أن تدوين أقوال إرميا بدأ في وقت مبكر بغض النظر عن طبيعة النقل الشفهي .

وهناك دليل مستمد من داخل السفر ، إذ يتضح أن الأقوال النبوية قد كتبت أولاً في السنة الرابعة ليهوياقيم (٦٠٤ ق.م.) وذلك طبقاً لقول باروخ «عندما كان إرميا يقرأ لي كل هذا الكلام وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر» (١٨:٣٦) .

هذه المادة المكتوبة قد غطت الأحداث للفترة المبتدئة من حوالي ٦٢٦ ق.م. والمنتهية عندما ظهرت القصص في شكلها المكتوب ٦٠٤/٦٠٥ ق.م. وتلك هي التي دمرها يهوياقيم في السنة الرابعة لملكه (٦٠٤/٦٠٥ ق.م.) . أما ما كان يحتويه درج السفر بالضبط ، فقد كان غير معروف بالطبع ، غير أن ما جاء في (٢:٣٦) يوحي أنه كان يضم «كل الكلام الذي كلمتك به على إسرائيل وعلى يهوذا وعلى كل الشعوب» ، ولذا فإن محتوياته لا بد أنها كانت تشبه العديد من التحذيرات والأحكام الواردة في الأصحاحات العشرين الأولى من السفر القانوني ، وقد أملى إرميا بالرغم من ذلك درجاً آخر على باروخ كاتبه ، وفيه «كل كلام السفر» لتلك المتضمن في الدرج الأول (٣٢:٣٦) .

وتلك الوثيقة الثانية، هي نواة النبوة الأصلية ، مع أن أي محاولة لتحديد المحتوى بدقة يعد ضرباً من ضروب المستحيل . وقد اقترح بعض الدارسين ، أن باروخ قد جمع مذكراته الخاصة عن إرميا ، وهذه قد أدخلت فيما بعد

إلى متن النبوة . ومع ذلك فهذا الاحتمال مشكوك فيه ، ويتضح ذلك من أنه في السفر الأصلي يوصف باروخ على الدوام بأنه كاتب إرميا ، وليس المحرر لأي جزء من أجزائه ، ولكن كيف نشأ الشكل النهائي للنبوة ، فهذا غير معروف .

وقد يشير أصحاح(٥٠و٥١) إلى نشاط إرميا وباروخ في مصر بعد سقوط الهيكل (٥٠:٤و١٧، ٥١:٣٤و٤٥) وأصحاح ٥٢ والذي يعد صورة مطابقة تقريباً لما جاء في سفر ملوك الثاني (٢٤و٢٥) قد يكون مستمداً من مصدر تاريخي أكبر ، واضح أن إرميا لم يلعب فيه دور المؤلف ، ويبدو هناك قليل من الشك أنه قد أضيف إلى النبوة في خلال سبعين عاماً بعد وقوع الأحداث التي سجلت فيه .

وبينما يحق أن يقال إن النبوة في شكلها النهائي ، عبارة عن مختارات أدبية من أقوال إرميا ، إلا أنه من الواضح أنها جاءت بطريقة غير منتظمة دون اتباع أي ترتيب زمني معين ، ويصعب أحياناً أن نرى لماذا جاءت بعض النبوات في موضعها الحالي ، ولربما يعكس الترتيب غير الدقيق للمادة المكتوبة فيه الصراع والشك والقلق الذي كان يسود تلك الفترة ، وقد يوحي بأن شكل السفر النهائي لم يكن قد تحدد حتى ٥٢٠ ق.م.

وبالرغم مما قيل من قبل فإن ترتيب المادة المكتوبة لم يكن جزافاً كما يتوهم البعض .

فباستثناء الخاتمة التاريخية (٥٢:١ـــ٣٤) ، فإن النبوة إما أنها تتحدث عن تواريخ حياة شخصية (٢١ـــ٢٩) ، (٣٠ـــ٣٩، ٤٠ـــ٥١) أو عن سيرة ذاتية (١ـــ١٠، ١١ـــ٢٠) في طبيعتها ، وترتيب المادة ككل قد جعل في الإمكان تأكيد الخطايا القومية وتأكيد الدينونة مراراً وتكراراً في شكل أشعار وغنائيات وخلجات ، وإيقاعات شعرية ، وبغض النظر عن هذا الترتيب الواضح للمادة، فإن تحليل النبوة يبدو موضوعياً ، ويندر أن تجد اثنين من المعلقين يتفقان على الإطار الخارجي للمحتويات فقد قسم كل من (كولي F. Cawley) و(ميلارد A. R. Millard) النبوة واعتبراها كما لو كانت في الأصل مكونة من قسمين،

وقد كانت هذه الطريقة تتبع قديما بالنسبة للكتابات المطولة إلى حد كبير ، والهدف من ذلك هو توزيع المادة على نصفين متساويين تقريباً حتى أن كل من يقرأ أي قسم منها فإن أفكار الكاتب تحمل إليه على وجه الدقة ، والكاتب الذي نحن بصدده ، يفضل أن يتعامل مع النبوة ، فيما يختص بتواريخ النبوات على أساس الخلفية التاريخية التالية :

أ ــ **تحت حكم يوشيا** : ١:١ــ١٩، ١:٢ــ٥:٣، ٦:٣ــ٣٠:٦، ١:٧ــ ٢٥:١٠، ١:١٨ــ١٨:٢٠ .

ب ــ **تحت حكم يهوياقيم** : ١:١١ــ١٣:١٤، ١:١٤ــ٢١:١٥، ١:١٦ــ١٧: ٢٧، ١:٢٢ــ٣٠، ٢٣: ١ــ٨و٩ــ٤٠، ١:٢٥ــ ١٤و١٥ــ٣٨، ١:٢٦ــ٢٤، ٣٥: ١ــ١٩، ٣٦: ١ــ٣٢، ١:٤٥ــ٥، ١:٤٦ــ ١٢و١٣ــ٢٨: ١:٤٧ــ٧، ١:٤٨ــ٤٧ .

جـ ــ **تحت حكم يهوياكين** : ١٣:١٥ــ٢٧ .

د ــ **تحت حكم صدقيا** : ١:٢١ــ٣٠:٢٢، ١:٢٤ــ١٠، ١:٢٧ــ٢٢، ١:٢٨ــ١٧، ١:٢٩ــ٣٢، ١:٣٠ــ٤٠:٣١، ٣٢ ١ــ٤٤، ١:٣٣ــ٢٦، ١:٣٤ــ٧و٨ــ١١و١٢ــ ٢٢، ١:٣٧ــ٢١، ١:٣٨ــ٢٨، ١:٣٩ــ١٨، ٤٩ ١ــ٢٢و٢٣ــ٣٣و٣٤ــ٣٩، ١:٥٠ــ٦٤:٥١ .

هـ ــ **تحت حكم جدليا** : ١:٤٠ــ٢٢:٤٢، ١:٤٣ــ٣٠:٤٤

و ــ **الخاتمة التاريخية** : ١:٥٢ــ٣٤ .

وتوجد صعوبات واضحة فيما يختص بتاريخ بعض الأقسام السابقة ، مع أنه يبدو أنه من المحتمل ألا تكون هناك أية نبوات قد أعطيت خلال حكم يهوآحاز (الذي جاء باسم شلوم في ٢٢ :١١) والذي احتل عرش يهوذا لمدة ثلاثة شهور فقط .

٥ ـــ الرجل ورسالته

يعد إرميا فريداً وسط أنبياء بني إسرائيل بسبب المدى الذي وصل إليه لإظهار مشاعره الشخصية ، فبينما قدم الآخرون إعلاناتهم دون أن يكشفوا كثيراً عن دخيلة نفوسهم ، كشف إرميا عن خبيئة عواطفه المتأججة ، وهو الرجل المختار رغماً عنه ليكون مبعوثاً إلهياً ومتحدثاً باسم الله لبني جيله ، ولا يُعرَف سوى النذر اليسير عن حياته المبكرة وهو ما جاء في (١:١) ، ومن المحتمل أن يكون قد ولد حوالي سنة ٦٤٠ ق.م. في بلدة (عناثوث Anathoth) على بعد ثلاثة أميال إلى الشمال الشرقي من مدينة أورشليم ، وقد انحدر من سلالة كهنوتية . وقد يكون والده وإن كان ذلك يعوزه الدليل قد انحدر من سلالة أبياثار كاهن داود الذي غضب عليه سليمان (ملوك الأول ٢٦:٢)، وإن كان الأمر كذلك ، يكون إرميا منتسباً لبيت إيل ، ومن ثم يكون هناك عنصر شخصيٌ في ذكرياته عن شيلوه (١٢:٧، ٦:٢٦) ، حيث أن ابني عالي الكاهن كانا في خدمة التابوت هناك (صموئيل الأول ٣:١و٩) . وليس هناك من دليل على أن إرميا قد تدرب على الكهنوت أو قام بالخدمة الكهنوتية في تلك المنطقة ، ومع ذلك فليس هناك أدنى شك ، أنه كان يدرك الطقوس التي كان يمارسها الكهنة تقليدياً فيما يتعلق بالناموس ، والطريقة الفاضحة التي كانوا يتجاهلون بها تلك المسئولية (٨:٨) ، فبدلاً من توجيه الشعب إلى الالتزام بالعهد الإلهي ومطالبه ، توجه الكهنة إلى تدعيم العبادة الوثنية التي كانت قد ازدهرت تحت حكم منسى وآمون (ملوك الثاني ٢١:١ــ٢٢) ، فلا عجب إذن أن اعتبرهم إرميا فيما بعد مسئولين بدرجة كبيرة عن الانحطاط الروحي ليهوذا . ويبدو أنه قد تربى على تقاليد التوراة وخاصة فيما يتعلق بإدراك عهد سيناء واللعنات الناجمة عن إهماله أو عدم التقيد به (تثنية ١٥:٢٨ــ٦٨) وكعاموس وهوشع، اعتقد أن الإرتداد يجلب العقاب المريع على الأمة، ولكن حتى في حالة حدوث تلك المأساة فإن النعمة الإلهية تستطيع أن تفدي وتسترد الشعب التائب (١٨:٥)، ومهما تكن البيئة التي ترعرع فيها ، فإنه كان يبدو هياباً للخدمة النبوية عندما دعي لذلك (١:٦ــ٨) إلا أنه كان واثقاً من العون الإلهي ، وقد يكون مبعث تردده وتراجعه الشعور بالعجز في مواجهة الحالة

الميئوس منها لدعوة يهوذا المرتد للتوبة الحقيقية ، ومما زاد الطين بلة في مبكرة من خدمته ، أنه قد مُنِع من الزواج (١٦: ١-٤) وقد أوضحت الأسباب المشئومة بكل جلاء حقيقة أن يهوذا كان واقعاً تحت العقاب الإلهي .

والنبوة نفسها تُقيم الدليل على الصراع العاطفي الذي تحمله إرميا ، فبينما هو عازف بطبعه أن يكون نبي الكارثة ، من حيث أنه مواطن غيور على وطنه ، إلا أنه لم يكن أمامه خيار سوى أن يعلن لأمة وثنية عاصية عن قرب وقوع الكارثة ، ونتيجة لذلك فإن صراعه الفكري الحبيس وجد متنفساً له في اندفاعه العاطفي ضد نصيبه في الحياة (١٥: ١٠، ٢٠: ٨و١٤و١٨) ، وقد جاءت عليه أوقات تمنى فيها أن يتخلص من التبعات القهرية الملقاة عليه بسبب خدمته النبوية .

وتحت ضغط التوتر الناجم عن رفضه اجتماعياً والاستهزاء به (٢٠: ٧) والمعارضة النشطة لخدمته (٢٦: ٩-١٩، ٢٨: ٥-١٧) واتهامه بالفتنة والتخاذل (٣٨: ٤) ، واضطهاده الدائم من جانب من كان يسعى لراحتهم ، ذهب إرميا إلى حد أنه قال إنه سوف لا ينطق مرة أخرى باسم الرب (٢٠: ٩). ومع ذلك فمجرد إدراكه أنه قد اختير ليكون الناطق السامي باسم الله إلى جيله المتحجر القلب الشديد العناد ، دفعه بشدة نحو إتمام رسالته النبوية .

ومن أهم ما خلده للبشرية مقدرته على جعل حياته الدينية أمراً يتعلق أساساً بعلاقته الشخصية مع الله ، وهو موقف فرض عليه أصلاً بسبب طبيعة الاضطهاد الذي كان عليه أن يتحمله . ووطنيته الصادقة تظهر في الطريقة الحماسية التي كان يرغب بها أن يكون هناك اتحاد روحي دائم بين مملكة يهوذا وإلهها بناء على شروط العهد بينهما ، ولكن الارتداد العنيد للأمة جعل مثل هذه الرؤية شيئاً بعيد المنال ، ونتيجة لذلك فقد عاش إرميا لمدة أربعين سنة أليمة في انتظار العقاب الإلهي المؤكد وقوعه على يهوذا .

ويرجع الكثير من صراعه العاطفي إلى حقيقة أنه كشخص أحب الشمال والجنوب من بلاده على حد سواء ، كان متردداً في إعلان المصير الذي سيحل عاجلاً بأمة غاصت حتى أذنيها في مستنقع الوثنية والارتداد ، ومع ذلك فهكذا

كانت أمانته لرسالته النبوية حتى أنه أعلن عن قرب وقوع الكارثة دون خوف أو وجل ، برغم الصرخات الغاضبة ، والهجاء ، والعداوة المستمرة التي واجهه بها النبلاء وعامة الشعب على السواء .

وفي إعلانه القضاء الموجه ضد أورشليم والهيكل ، فإن إرميا يشبه ميخا من قبله (٧: ١ـــ١٥، ٢٦: ١ـــ١٥، ميخا ٣: ٩ـــ١٢) . وقد أدى أخذ أقواله إلى القبض عليه ومحاكمته لإثارة الفتنة ولم ينقذه سوى الالتجاء لنبوة ميخا في القرن السابق (٢٦: ١٦) .

وكشخص محب للطبيعة ، استمد إرميا تشبيها من الزراعة ليجعل رسالته قوية واضحة كما فعل عاموس (٢٤: ١ـــ١٠، عاموس ٨: ١ـــ٣) ، ومثل ذلك النبي اليهودي الشهير أعلن إرميا أيضاً ربوبية الله المطلقة على الطبيعة والأمم سواء بسواء (٣٢: ١٦ـــ٢٥، عاموس ٤: ١٣)، ورؤيته الروحية الواسعة جمعت بين شجاعة عاموس ، وقلب هوشع المحب ، وجلال وحزم إشعياء . وباعتباره وارثاً لذلك التراث العظيم من الروحانية كان إرميا قاطعاً في إعلان رسالته كيوحنا المعمدان في دعوته لشعبه بأن يحملوا أثماراً تليق بالتوبة (لوقا ٣: ٨) . والعبارات التي تتحدث عن الغضب الإلهي من إرميا ويوحنا كانت لاسعة كنار محرقة (قارن إرميا ٥: ١٤، ١١: ١٦ بما جاء في متى ٣: ٧ـــ١٢، لوقا ٣: ١٥ـــ١٧)، بينما موقفهما تجاه حاكم غير جدير بالثقة أثارت رد فعل عنيف من قبل السلطات[1] (إرميا ٣٦: ٢٠ـــ٣١، ٣٨: ١ـــ١٣، متى ١٤: ١ـــ١٢، مرقس ٦: ١٤ـــ٢٩). إن الصورة المأساوية لإرميا كرجل الله وهو ينعي بحزن قلبي عظيم تلك الويلات التي ستلحق بأمة غير تائبة ، تلقي بظلها على الأجيال المتعاقبة وتحفر نفسها بعمق في ذاكرة كُتَّاب العهد الجديد ، فهناك ما يقرب من أربعين اقتباساً مباشراً من نبوته ، نصفها يظهر في سفر الرؤيا خاصة فيما يتعلق بسقوط بابل (إرميا ٥٠: ٨، رؤيا ١٨: ٤)، (إرميا ٥٠: ٣٢، رؤيا ١٨: ٨)، (إرميا ٥١: ٤٩، رؤيا ١٨: ٢٤)، واتهام إرميا الصريح لشعبه بأنهم غير مختوني القلوب والآذان (٦: ١٠، ٩: ٢٦) قد تكرر بنفس القوة على لسان

(١) في حالة يوحنا المعمدان بقطع رأسه في السجن وفي حالة إرميا بالقاء الدرج في النار والقبض عليه (المترجم)

اسطفانوس (أعمال ٥١:٧) في الخطاب الذي دفع حياته ثمناً له .

والدروس المستمدة من الزيارة لبيت الفخاري (١٨ : ١ــ١٠) قد طبقها بولس على دعوة الله للأمم (رومية ٩ : ٢٠ــ٢٤) .

ومع ذلك ، فأكثر الصور إثارة هي تلك التي ارتبط بها يسوع المسيح في عقل عامة الناس بأنه إرميا ، ففي إحدى المرات عندما استفسر يسوع من تلاميذه عن رأي عامة الناس فيه (متى ١٦ : ١٣) قال بعض الناس عنه إنه ذلك النبي البارز الذي ظهر في القرن السابع قبل الميلاد ، وليس بغريب أن يخلط بعضهم بين يسوع كرجل الأوجاع ، وبين النبي صاحب القلب المكسور لأن كلاً من إرميا والمسيح رثى لحال الشعب وبكى عليه (٩ : ١، لوقا ١٩ : ٤١) .

وإدانة إرميا الصريحة للاثم بلا هوادة جلبت عليه الرفض والألم كما فعلت مع المسيح ، وقد شبه إرميا نفسه فعلاً بحمل أو ثور يقاد للذبح (١١ : ١٩) ، وكلاهما جعل هيكل أورشليم مركزاً لتعليمهما ، وفي إحدى المناسبات الشهيرة عندما طهر يسوع هيكل هيرودس اقتبس جزءاً من الأحكام الصادرة في (٧ : ١١) على أنها قد تمت أخيراً (متى ٢١ : ١٣) .

ومع ذلك فهناك بعض الاختلافات بين هاتين الشخصيتين الفذتين . فبينما ظل يسوع ثابتاً في دعوته إلى حد تسليم حياته على الصليب، نرى إرميا يظهر تصميماً أقل في طلبه اخلاء سبيله عندما هُدد بالسجن وعواقبه (٣٧ : ٢٠) . ومقارنة بالمسيح الذي صلى لأجل أعدائه طالباً لهم الغفران وهو على الصليب (لوقا ٢٣ : ٣٤) كان إرمياً مصراً على رغبته في عقاب الأشرار (إرميا ١٢ : ٣، ١٨ : ٢٣) .

ومع ذلك فأثناء خدمة كل منهما كان كل منهما نموذجا لخدمة العهد في علاقة وثيقة الصلة بالله ، مبنية على قداسة الحياة ومتميزة بجلائل الأعمال ، حتى أن أسمى أمنية لهما كانت إتمام إرادة الله على عاتقيهما .

وفي تعاليمه كان إرميا مثال الشخصية السامية المنفذة للعهد القديم في سيناء ،

وكان يتطلع إلى وقت لاحق يستبدل فيه ذلك العهد بعهد آخر فيه اقتراب فردي أكثر في العلاقة مع الله .. ويتضح من النبوة أنه عن طريق اختباراته الحية فإن إرميا توقع ذلك الحدث ، ومن أعماق آلامه وأحزانه قد أشار إلى الطريق الذي أصبح منذ ذلك الحين واحداً من أهم وأفضل البركات الروحية للبشر .

لقد اضطر إرميا أن يجد في الله ملجأ شخصياً له ، بسبب اضطراره للانعزال عن المجتمع ، بالاضافة إلى الضغوط النفسية التي تعرض لها معظم أيام خدمته . فالنصر والهزيمة والألم والفرح ، والمجد والهوان ، والتهيب والإقدام كل تلك كانت صفات تلازمه دوماً ، ومع ذلك وبرغم كل عقبة في طريقه ظل راسخاً أميناً لدعوته ورسالته النبوية . وفي النهاية فحقيقة دعوته كنبي الله قد أيدتها حوادث التاريخ .

العهد القديم :

إن مباديء العهد التي دافع عنها إرميا بيقين كانت تعكس بثبات المُثل التي جاءت في سفر التثنية ، والذي يعد في حد ذاته وثيقة العهد المتجددة . ولكن إلى أي مدى صار الأمر هكذا ، فهذا موضوع جدل بين الدارسين ، ولكن برغم ذلك فلا مجال للشك أن إرميا قد فهم محتوى سفر التثنية بطريقة مشابهة للأنبياء الآخرين ، وفي بعض الأحيان بطريقة أدق منهم (١١ : ١ــ ٥) .

ومن أهم العلامات البارزة في تعاليم إرميا التركيز على حقيقة وجود نوع خاص من علاقة العهد بين الله وإسرائيل ، فقد نادى بأن إسرائيل قد اختيرت عن قصد (تثنية ٣٧:٤، ٦:٧ــ ٨). وقد تبناها الله لاتمام العهد مع إبراهيم لتصبح علاقة بنوية خاصة (تثنية ٥:٨، ١:١٤، ٦:٣٢). ويشتمل العهد على عمل من أعمال النعمة السامية (تثنية ١٣:٤، ١٣:٢٩) وأنه مبرم مع شعب قد افتدى (تثنية ٢٦:٩، ٥:١٣، ٨:٢١) . وبموجب شروطه قد أصبح إسرائيل هو الشعب الذي تبناه الله وكان عليهم افراز أنفسهم لضرورة مراعاة شروط العهد (خروج ٧:٢٤) .

ومثل تلك الطاعة كانت تتضمن قداسة حياة الإسرائيلي كسمة منظمة للعلاقة بين الأمة وإلهها (تثنية ٤:٦ــ ١٥، لاويين ٢:١٩) . فإذا كانت القداسة

متمثلة في تنفيذ شروط الطاعة ، فبركات العهد سوف تستمر (تثنية ٤: ٤٠، ١٦:٦). وكون المشتركون في العهد القديم ، كنظرائهم من مؤمني العهد الجديد مفديين بالنعمة الإلهية ، فهذا لا يعني أنهم لا يتعرضون للعقاب الإلهي إذا أخطأوا ، ونتائج العصيان وعدم الأمانة التي تلحق بهم تنطبق أيضاً على العصور التالية لهم .

الارتداد والعبادة المظهرية :

اتبع إرميا طريقة هوشع بالتركيز على الاخلال بشروط العهد بالتشبيه بالزواج ومقارنة الزوج المخلص بالزوجة الخائنة (إرميا ٢:١، ٣:١ــ١٣، ٣١: ٣٢، هوشع ١:٢ــ٥:٢) .

وقد أعلن إرميا رسالة السماء إلى أبناء جيله وسط أزمة سياسية وأخلاقية في يهوذا ، وقد أوضح مراراً وتكراراً قناعته الكاملة بأن ارتداد الأمة كان هو السبب الحقيقي للخراب الوشيك . فبدلاً من أن يتمسك بنو إسرائيل باللوائح الأخلاقية والروحية السامية لعهد سيناء ، نراهم يقيدون أنفسهم بشدة بديانة الكنعانيين الوثنية الزائفة . وقد كان لهذه الديانة تأثير كبير حتى أصبحت الأصنام متواجدة فعلاً في أرجاء الهيكل (٣٤:٣٢) ، بينما في أماكن كثيرة بالقرب من أورشليم كان الأطفال يُقدَّمون قرباناً دورياً للبعل (ولمولك) (٧: ٣١، ١٩:٥، ٣٥:٣٢) في تحدٍ لنواهي الناموس (لاويين ١٨:٢١، ٢:٢٠) . ومع أن هذه الممارسات الوثنية كانت تجد من يصدها في أيام يوشيا ، إلا أنها استشرت مرة أخرى بعد موته . ولأن الارتداد كان يمثل رفضاً جوهرياً لشروط العهد فقد رأى إرميا أن مجيء العقاب على يهوذا أمر حتمي لا مفر منه (تثنية ١٥:٢٨و٥٨، ١٧:٣٠ــ١٩) .

إن السيد الرب ، رب الكون (إرميا ٢٣:٢٣) والذي يتحكم في كل شيء حسب إرادته (٥:١٨ــ١٠، ٦:٢٧ــ٨) أحب شعبه محبة أبدية (١:٣١ــ٣) ولكن طبقاً لشروط العهد التي قبلها آباؤهم ، كانوا مطالبين بالولاء التام والطاعة الفورية من جانبهم (١:٧ــ١٥) .

وتقدماتهم التي كانوا يقدمونها لله كشعب مرتد (٦: ٢٠، ٧: ٢١) كانت مكروهة كذبائحهم للآلهة الوثنية (٧: ٣٠، ١٩: ٥). وقد أدى ذلك إلى كل ما في العهد من علاقة خاصة بينهم وبين الله كشعب مختار ، قد أصبح مصيرها معلقاً في الميزان . وما كان بنو إسرائيل عاجزين عن فهمه ، أو غير راغبين في فهمه ، هو أن تلك الطقوس الخارجية للعبادة والتي كانوا يمارسونها بحماس ، كانت غريبة تماماً عن روح سيناء وعن الناموس ، فالكهنة وأنبياء الممارسات الطقسية للعبادة قد شملهم الفساد الذي لا يبشر ببارقة أمل (٥: ٣١، ٦: ١٣ــ ١٥، ١٤: ١٤)، وبدلاً من أن يكونوا حماة وأوصياء على الناموس الأخلاقي والشرائع الدينية ، نراهم يعملون بالفعل على التستر على الفساد والعبادة الصنمية بعكس متطلبات العهد الإلهي الواضحة (تثنية ١٢: ١ــ٥و٣٠و٣١، ١٨: ٩ــ١٢، ٢٢: ٢٢ــ٣٠، ٢٧: ٢٠ــ٢٣) .

وأثناء الغزو البابلي ، فإن الإحساس بالكارثة من داخل الحياة الدينية في إسرائيل كانت تلقي بظلالها الكئيبة على النبي ، وفي تحليله لأسباب تدهور الموقف كان إرميا يلقي بالتبعة على الكهنة ، بأن سمحوا للناس بالغواية ، فاقتنعوا بأن ممارسات العبادة المظهرية بديل مقبول للعبادة الروحية القلبية السليمة وكان من رأي إرميا أن الكهنة سهّلوا بل قد تواطأوا فعلاً على المواءمة بين العبادة التقليدية العبرية للإله الواحد وبين الممارسات الوثنية المتطرفة للعبادة الكنعانية . وأخيراً فقد أوضحوا أنهم مهتمين أساساً بالحصول على أرباحهم الثابتة بتأكيدهم بأن بابل لن تستولى على الهيكل (٦: ١٣، ١٨: ١٨، ٢٩: ٢٥ــ٣٢) بالرغم مما قاله إرميا على النقيض من ذلك القول . وقد أيد الكهنة في تصوراتهم عدد من الأنبياء الكذبة الذين ارتبطوا بممارسات العبادات الطقسية (٨: ١٠ــ ١٧، ٢٣: ٩ــ٤٠) .

وكنتيجة لذلك فإن إرميا يمكن أن يقال عنه بحق إنه كان المنادي الوحيد بالويل والثبور وعظائم الأمور وبالعقاب الإلهي .

القضاء :

في ضوء اللعنات التي أقرها العهد على مثل هذا السلوك ، لا يمكن لإسرائيل

أن تتوقع سوى الأوبئة والكوارث والدمار الماحق .

وأول عقاب قد اتخذ شكل المجاعة (تثنية ٢٨ : ٢٠ــ٢٢و٣٨ــ٤٠، إرميا ٣:٣، ١٤ : ١ــ٦). ولكن التهديد الحقيقي لأهل يهوذا كان سيطل برأسه عندما تتكتل جيوش بابل على الحدود استعداداً للهجوم المرتقب والذي سبق أن تنبأ به إرميا (٢٥:٩، ٥٢ : ١ــ٣٠) وسرعان ما تم قضاء الله على شعبه العاصي المتجه لعبادة الأوثان كما سبق التنبؤ به ، وقد تمت أقوال إرميا حرفياً فيما يختص بدمار الهيكل وانتهاء ملك داود فجأة، والإطاحة بكل الآمال المعلقة عليه وإذلال الأمة على يد البابليين . لقد أعلن إرميا رسالته النبوية بغض النظر عن المعارضة التي لقيها من الكهنة دون أدنى تنازل من جانبه ودون أدنى وجل . فيهوذا سوف تستعبد لبابل حتى وإن كانت تلك الكارثة سوف تتوقف في النهاية (٢٥ : ١١، ٢٩ : ١٠) وبابل نفسها سوف تهزم بواسطة قوة عالمية أخرى . وبرغم كل تلك الأخبار الكئيبة كانت هناك بارقة أمل تلمع في رسالته دائماً (٣ : ١٤ــ٢٥، ١٢ : ١٤ــ١٧ الخ) ، ومن الطريف أن نلاحظ أنه كلما كانت الأحداث منذرة بالشؤم والخطر فإن ثقته في مستقبل مجيد لأمة تائبة وأمينة تتزايد شيئاً فشيئاً بيقين أكثر حتى تتوج بقمة اليقين ، بالرغم من أن الوقت ينذر بالخطر والكارثة (٣٢ : ١ــ١٥) وأقواله أيضاً ذات أهمية عظمى بسبب التغييرات العميقة في الحياة الإسرائيلية ، والتي كانت أقواله تنذر بها ... ومن بين أسباب الألم الذي كان يعاني منه النبي ذلك الإيمان الشائع والذي وصل إلى مرتبة التقديس منذ عصر إشعياء بأن هيكل أورشليم ، والذي كان يمثل الحضور الإلهي وسط الأمة ، لا يمكن تدميره أو تدنيسه والقضاء عليه (إشعياء ٣١ : ١٥، ٣٣ : ٢٠)، ونتيجة لذلك فقد نما ذلك الإحساس الخاطيء بالأمان لدى الشعب في يهوذا (٧ : ١٠) وقد قادهم ذلك الإحساس للاعتقاد بأن الله سوف يخلصهم من العدو بأي حال من الأحوال ، وذلك الاعتقاد تجاهل التوبة الشاملة التي حدثت في زمن إشعياء (إشعياء ٣٧ : ١ــ٢٠)، والتي لم تتكرر في القرن التالي برغم النداءات المستميتة لإرميا النبي وتحذيراته المخيفة بأن مصير شيلوه سوف يتكرر في أورشليم ما لم تتب يهوذا (٧ : ١٢ــ١٥). وعند تدمير المدينة مع الشعب فإن سلسلة نسب داود بما تعنيه من وعود سامية سوف تنتهي أيضاً نهاية مؤلمة ، والقضاء على النسل الممسوح يصاحبه أيضا

تغييرات غير مسبوقة في الأنماط المألوفة للعبادة ، فقد تنبأ إرميا بأنه يأتي وقت يتوقف فيه نظام تقديم الذبائح مع الخدمة الكهنوتية التي يمارسها كهنة أورشليم . ومن وجهة نظره فإن التحديات المستمرة لعهد النعمة من جانب إسرائيل قد جعل عهد سيناء خاوياً من أي معنى (عدد ١٥ : ٣٠) وبالتالي فإن ذلك قد أبطل نظام الذبائح إلى حد كبير . والمظاهر الخارجية للديانة الإسرائيلية التقليدية كانت بلا معنى بدون تلك الاتجاهات الروحية التي كانت متضامنة مع روح سيناء . وهكذا كان قول إرميا . فإن طقس الختان كان مجرد شكل ما لم يصاحبه ختان حقيقي في القلب (٤:٤، ٩:٢٦)، فالولاء والطاعة لازمان لأي علاقة روحية مع الله . وإذا لم يكن ذلك متوفراً في الحياة والعبادة فلا رجاء في أي بركة حقيقية للأمة .

العهد الجديد :

بحثاً عن وقت يستطيع فيه الشعب أن يقترب من الله على أساس فردي وليس على أساس أنهم أعضاء في جماعة يجمعها ميثاق تاريخي ، فإن إرميا كان يتوقع فعلاً تجديد العهد التقليدي ليكون على صورة أمجد (١٤:٣٣—٢٦) .

وعندئذ فلن يكون ضرورياً أن يعبر الفرد عن نفسه روحياً من خلال شخصية الجماعة، وبدلاًمن ذلك سوف يمنح الله تلك العطية التي لا تقدر بثمن ، ألا وهي إنشاء «علاقة شخصية» مع الله تكون أسمى قيمة من أي شكل من أشكال العبادة . وبناء على ذلك العهد الجديد يكون ناموس الله مكتوباً ليس على ألواح حجرية كما في عهد سيناء ، بل على قلب المؤمن . وهذا يعني عملياً أن الفرد عندما يواجه بفيض المحبة الإلهية بناء على العهد الجديد ، فسوف يستجيب له بدافع من إرادته الحرة الواعية ، فيطاع ناموس الله حينئذ ليس لأنه معروف فقط ، بل لأنه يعامل بالاحترام ، والقوة الدافعة نابعة من الداخل وليست شيئاً مفروضاً من الخارج . وقد تم هذا التوقع في عمل المسيح على الجلجثة ، ذلك العمل الذي حقق عهد النعمة للمواثيق القديمة بأجلى بيان .

وقد أشار المسيح إلى الفاعلية الشاملة لذبيحته على الصليب (يوحنا ٦ :٣٣— ٣٥ الخ) وتكلم بنوع خاص عن الكأس التي شربها في العشاء الأخير كالعهد

الجديد بدمه (متى ٢٦:٢٨، مرقس ١٤:٢٤، لوقا ٢٢:٢٠، كورنثوس الأولى ١١:٢٥) لوصف فاعلية تلك العلاقة الأعمق التي نشأت بسبب العهد الجديد وبركاته الكثيرة المبنية على كفارة المسيح النيابية عن خطية البشر .

الرجاء في المسيا :

إن فكرة المسيا عند إرميا ربطت (غصن البر) من نسل بيت داود (٣٣:١٤ــ١٨) بالسلام والرجاء الذي سيهبه الله للأمة التائبة المطهرة (٣٣:٨) وهكذا استطاع إرميا أن يتجه ببصره عبر الموقف الراهن لفترة السبي إلى الفترة المقبلة ويتأمل في مجتمع إسرائيلي جديد وتائب في فلسطين مرة أخرى (٣٠: ١٧ــ٢٢، ٣٣:٩ــ١٣) . وفي ذلك الوجود المستقبلي سوف تكون هناك وفرة في البركات المادية من الله (٣١:١٢ــ١٤) بينما تكون مدينة أورشليم، مركز الطموحات الوطنية والروحية ، مدينة مقدسة للرب ، ولها اسمها الخاص ، «الرب برنا» (٣٣:١٦) . وبعد أن يكون الشعب قد استوعب تماماً دروس السبي المريرة، فإن الشعب العائد سوف يعبد الله من كل القلب تائباً نادماً (٣١:١٨ــ٢٠، ٢٤:٧) ، ولذلك فسوف تمحى معاصيهم الماضية وسوف يعيشون تحت حكم ملك البر (٢٣:٥) ، وسوف يكون ذلك العهد مجيداً حتى أن كل شعوب الأمم سوف تطمح في أن تنال قسطاً من البركة الممنوحة للشعب المسترد وستنالها (١٦:١٩، ٣٠:٩، زكريا ٨:٢٢) .

هذا هو الأمل العظيم في أمة متجددة ومملوءة بالقوة (الرجاء المعبر عنه في تثنية ٢٨ــ٣٠) فيه إجابة كافية على اعتراضات أولئك الذين نادوا بأن إرميا هو نبي الكآبة والحزن .

٦ ـــ النص العبري والترجمة السبعينية

يظهر في سفر إرميا ، كسفر أيوب ودانيال ، تباين واضح بين النص الماسوري (العبري) والطبعة السبعينية . فطبقاً لإحدى التقديرات فإن ما يقرب من سبعة أصحاحات في الطبعة العبرية قد حذفها مترجمو الطبعة السبعينية ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الطبعة السبعينية قد حوت حوالي مائة كلمة غير موجودة في النص العبري، بغض النظر عن أنها ليست بذي أهمية كبرى . وترجع الأصحاحات المحذوفة في الطبعة السبعينية أساساً إلى التركيز الواضح للعبرية كما في أصحاح ٢٧ وأصحاح ٢٨ أو للحذف المتعمد للحروف المشددة العبرية (إدغام الحروف) (٨:١٠ـــ١٢، ٣٠:١٠و١١) .

ولكن أهم التباينات الملحوظة نجدها في ترتيب النبوات ضد القوى الأجنبية (أصحاحات من ٤٥ إلى ٥١) والتي ظهرت في السبعينية بعد (١٣:٢٥) وهذه الاختلافات تعود على الأقل لعصر أوريجانوس ، ومن المستحيل صراحة التأكد من الترتيب الأصلي للنبوات في السفر وكما ذكرنا آنفاً فإنه من الصعب أيضاً معرفة الأسس التي جمعت بموجبها تلك النبوات ورتبت . فبينما تظهر النسخة المختصرة من الترجمة السبعينية تناسقاً في النظم والتفعيل غير موجود في الطبعة العبرية إلا أنها ليست بالضرورة أفضل منها لهذا السبب . وقد ورد من قمران أجزاء من مخطوطة عبرية (٤ قمران إرميا) وقد انتهجت النص المختصر للنبوة الموجود في الطبعة السبعينية ، ومع ذلك فالنسخ المطولة لإرميا وجدت أيضاً في قمران ، وهذا قد يوحي بأن للسفر أكثر من نسخة منقحة .

تحليل السفر

أ ــ نبوات تتعلق بالتاريخ المعاصر وأمور خاصة بيهوذا (١ : ١ ــ ٤٥ : ٥)

١ ــ النبوات الواردة بين ٦٢٥ ق.م. والسنة الرابعة من حكم يهوياقيم (١ : ١ ــ ٢٠ : ١٨)
٢ ــ أقوال تتعلق بملوك يهوذا والأنبياء الكذبة (٢١ : ١ ــ ٢٥ : ١٤)
٣ ــ ملخص للنبوات ضد الأمم الأجنبية (٢٥ : ١٥ ــ ٣٨)
٤ ــ النبوة بسقوط أورشليم (٢٦ : ١ ــ ٢٨ : ١٧)
٥ ــ رسائل إلى المسبيين في بابل (٢٩ : ١ ــ ٣٢)
٦ ــ رسائل تعزية (٣٠ : ١ ــ ٣١ : ٤٠)
٧ ــ نبوات منذ عصر صدقيا (٣٢ : ١ ــ ٤٤ : ٣٠)
٨ ــ رسالة إلى باروخ (٤٥ : ١ ــ ٥)

ب ــ نبوات ضد الأمم الأجنبية (٤٦ : ١ ــ ٥١ : ٦٤)

١ ــ ضد مصر (٤٦ : ١ ــ ٢٨)
٢ ــ ضد فلسطين (٤٧ : ١ ــ ٧)
٣ ــ ضد موآب (٤٨ : ١ ــ ٤٧)
٤ ــ ضد عمون (٤٩ : ١ ــ ٦)
٥ ــ ضد أدوم (٤٩ : ٧ ــ ٢٢)
٦ ــ ضد دمشق (٤٩ : ٢٣ ــ ٢٧)
٧ ــ ضد قيدار وحاصور (٤٩ : ٢٨ ــ ٣٣)
٨ ــ ضد عيلام (٤٩ : ٣٤ ــ ٣٩).
٩ ــ ضد بابل (٥٠ : ١ ــ ٥١ : ٤٦)

جـ ــ خاتمة تاريخية (٥٢ : ١ ــ ٣٤)

الشرح

أ ـ نبوات تتعلق بالتاريخ المعاصر وأمور خاصة بيهوذا (١:١ـ٤٥:٥)

١ ـ النبوات الواردة بين ٦٢٥ ق.م. والسنة الرابعة من حكم يهوياقيم (١:١ـ٢٠:١٨)

يعد إرميا من أهم الأنبياء العبرانيين بسبب المهمة الصعبة التي ألقاها الله على عاتقه . وقد كانت مهمته أن يذكر سكان يهوذا بمراعاة واتباعَ الناموس الإلهي في وقت كانوا فيه على شفا كارثة قومية وأخلاقية . فمنذ عدة سنوات خلت ، والعبادة الكنعانية الوثنية كان لها أسوأ الأثر على أهل يهوذا كما كان لها من قبل على المملكة الشمالية . فقد تلا الارتداد الفساد الاجتماعي والأخلاقي ، وكان على إرميا أن يبرز مضمون العهد في سيناء بلا وجل ، في محاولة يائسة لاقتلاع جذور الفساد الذي يجلب وراءه الدمار ، ولكن لأن الأمة وصلت إلى حالة من اللامبالاة والعصيان عبر عدة مراحل ، فسرعان ما اكتسب إرميا السمعة بأنه متشائم وكئيب .

وبسبب أمانته للدعوة ، فقد رفضه الناس ، وكرهوه واضطهدوه ، وخاف منه أولئك الذين كان حريصاً على دعوتهم للرجوع لروح العهد .

إن مثل تلك الرسالة النبوية كانت تتطلب إحساساً قوياً دائماً بثقل كاهل الدعوة ، وكان يعمق ذلك الإحساس فيه شجاعته وإيمانه وتصميمه . ويصف الأصحاح الأول الظروف المتعلقة بدعوته كنبي .

اللقب : تبدأ النبوات عادة بذكر السلطان الإلهي للنبي وتاريخ النبوة كوسيلة لوضع رسالة الله في الرؤية التاريخية الصحيحة .

: النبوات التالية توصف بأنها (كلام) ولكن هذا اللفظ يمكن أيضاً

ترجمته (أمور) أو (أحداث) أو (شئون) كما توصف أيضاً بأنها (كلمات) أو (أقوال) . والعبارة الافتتاحية هكذا تشير لكل من نبوات إرميا والأحداث العديدة في مجرى حياته . والاسم (إرميا) قد يعني (الرب يتمجد) أو (الرب يؤسس) وقد تسمى به شخصيات كتابية أخرى (ملوك الثاني ٣١:٢٣، نحميا ٢:١٠، أخبار الأيام الأولى ٢٤:٥).[1]

ووالد إرميا (حلقيا) كان عضواً في عائلة كهنوتية ، والتي قد تكون خدمت في الهيكل بعد الإصلاح الذي قام به يوشيا عام ٦٢١ ق.م، وحلقيا هذا ليس هو الكاهن العظيم الذي كان يكهن في عصر يوشيا (ملوك الثاني ٤:٢٢) ، و(عناثوث) موطن إرميا كانت تقع بالقرب من (عناتا) الحديثة العهد وهي قرية تقع على بعد ثلاثة أميال إلى الشمال الشرقي من أورشليم . لقد كانت تقع في أرض بنيامين ومخصصة للاويين (يشوع ١٨:٢١) ، وقد أعيدت للسكنى بعد السبي .

٢ : هذا العدد يصف النقطة التي أصبحت عندها كلمة الرب تمثل أهمية شخصية قصوى عند إرميا . فهو كصبي قد يكون من المألوف لديه الممارسات الكهنوتية ، ولكن على أي حال ليس هناك دليل على أنه قد قام بالخدمة ككاهن ، ومع ذلك فيجوز أن مراعاته للشعائر الدينية كشاب قد أثر على اتجاهاته نحو الكهنوت فيما تلي من أيام ، وحياته المستقبلية وفكره قد تشكلت إلى حد كبير نتيجة معرفة سابقة بأقوال أنبياء القرن الثامن ق.م. كعاموس وهوشع وإشعياء وميخا وربما أيضاً بحياة وأقوال إيليا وأليشع . ويبدو أن لهوشع بنوع خاص تأثير كبير على خيال إرميا الصغير بأمثاله الملفتة للأنظار عن المحبة الإلهية لإسرائيل المبتعد بعيداً . وفي نبوات لاحقة استخدم إرميا تشبيه هوشع الذي وصف فيه ارتداد إسرائيل بالزنا أو النجاسة . والتاريخ التقريبي لدعوة إرميا للخدمة النبوية كان ٦٢٧ ق.م. في السنة الثالثة عشرة لملك يوشيا .

---

(١) كلمة (يرميا) التي ذكرت في هذه الشواهد هي نفسها (إرميا) وJeremiah بالانجليزية . (المترجم) .

٣ : حكم يوشيا لمدة ست عشرة سنة أخرى بعد دعوة إرميا حيث خلفه يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين وصدقيا . وربما حذف يهوآحاز ويهوياكين من هذا العدد لقصر مدتهما والتي تمثل ثلاثة شهور فقط لكلٍ . وحدث سبي أورشليم عام ٥٨٧ ق.م. ولكن إرميا استمر في خدمته النبوية لبعض الوقت بعد ذلك الحدث .

٤ ــ ١٠ : دعوة إرميا :

لقد أكد الله للنبي أنه كان معيناً لهذا العمل وهذا عنصر كان يمثل الأساس لقناعته الراسخة أن رسالته كانت حقاً ذات أصل إلهي . ومع ذلك وبالرغم من هذا التأكيد فإن إرميا كان لا يزال بحاجة إلى عون روحي دائم لتمكينه من إعلان كلمة الله لأمة عاصية سادرة في غيها . وكما تكشف النبوة فإن الطريقة التي وجد فيها إرميا القوة كانت بالاتصال الدائم بالله كما سوف يتضح فيما بعد . وإذ تقترب كارثة السبي فإن خوف إرميا المبدئي يستبدل بدرجة كبيرة من الجسارة والصراحة في إعلان كلمة الرب ، تبين أنه كإنسان قد نما في الحكمة والفهم .

إن إرميا يمثل خادماً أميناً (كورنثوس الأولى ٤:٢) ، وقد تبرهنت أمانته في النهاية (متى ١٠:٢٢) ، كما أن حياته تمثل الثبات والمثابرة والتي يجب على الفرد المسيحي أن يظهرهما في حياته (أفسس ٦:١٣) . فمن خلال الاختبار ينمو الإيمان .

٤و٥ : كان إرميا «معروفاً سابقاً» بالمعنى الذي يقصده بولس (لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم) (رومية ٨:٢٩و٣٠)، بينما تشبيه التقديس يقابل الوعد المعطى لزكريا أو يوحنا المعمدان (لوقا ١:١٥) ليس هناك شيء من الصدفة في اختيار إرميا كرسول إلهي إلى إسرائيل . فالحقيقة أن الله قد رتب كل خطوة في عملية الاختيار بنفسه من الحبل به إلى التكريس مع إدراك دقيق بالحاجة إليه ، وبالشخص الذي يصلح لذلك . وما على إرميا تحت هذه الظروف إلا أن يسلم نفسه لتلك الدعوة العليا . إن الآنية التي يختارها الله تأخذ غالباً وقتاً طويلاً في الإعداد كما في حالة موسى على سبيل المثال ، ثم أن

هؤلاء الأشخاص يظهرون في اللحظة الاستراتيجية الحاسمة . وأهم مثال لذلك يسوع المسيح نفسه (غلاطية ٤:٤) .

وعبارة (إلى الشعوب) تبين عالمية النبوة العبرانية (٢٥:١٥—٢٩) .

٦و٧ : ويحتج إرميا الصغير بخجله وقلة خبرته ، ولكن دون جدوى. وصراعاته النفسية يبدو أنها تبدأ مع دعوته ، وهذا العدد يوضح التوتر الناجم عن تردده في القيام بالمهمة الملقاة عليه وتأكيد الله له بأنه قد أعده بالقوة الأخلاقية والروحية اللازمة لمهمته . والكلمة العبرية (لأني ولد) (RSV) قد تعني أيضاً (ابن) أو (صبي) كما تعني أيضاً (غلام) (تكوين ٢٤:١٤، ١٩:٣٤) ، وهي بمعنى (شاب) إذ هو المعنى المقصود هنا .

٨ : والأمر (لا تخف) قد أعطى مرات عديدة في الكتاب المقدس لعبيد الرب بما فيهم إبراهيم (تكوين ١:١٥) وموسى (عدد ٣٤:٢١، تثنية ٢:٣) ودانيال (دانيال ١٢:١٠و١٩) ومريم (لوقا ٣٠:١)، وسمعان (لوقا ١٠:٥) وبولس (أعمال ٢٤:٢٧). إن الخوف من أكثر المشاعر الإنسانية التي تشل إرادة الإنسان ويمكن القضاء عليه فقط بمحبة المسيح (رسالة يوحنا الأولى ١٨:٤) ، وهذا العدد يبين أن الله دائماً يساند عبيده في المهام الموكلة إليهم (خروج ١٢:٣) ، وبينما لا ينجو إرميا من مواجهة المعارضة والأخطار الجسدية إلا أنه سوف يواجه كل الصعاب لأن الله سوف يكون معه لمساعدته وتأييده .

٩و١٠ : إن الله بلمسه لفم النبي الصغير يرمز لإبلاغ رسالة السماء ، وهذه الحادثة تذكرنا بتقديس إشعياء (إشعياء ٧:٦)، وبعد أن شعر إرميا بلمسة يد السيد كان على استعداد لبدء خدمته النبوية . لاحظ هنا أنه لا يوجد اختلاف بين كلمات الله وكلمات إرميا الإنسان . لقد كانت «كلمة الإيمان» قريبة منه ، في فمه وفي قلبه (رومية ٨:١٠) . والله الآن يستطيع أن يعلن إرادته السامية إلى الأمم عن طريق إرميا المتحدث باسمه . ونرى هنا تأكيداً سلبياً يمثل النغمة السائدة في مسار النبوة ، فما هو فاسد في الأمة يجب أن يقلع وينتزع لأنه بذلك فقط يستطيع الله أن يتعهد بالبناء والغرس من جديد . ولذلك كانت الكارثة حدث لابد منه طالما أن الأمة كانت تسير في طرقها

لشريرة . ومع ذلك فما دام الله قد تحدث عن التجديد فذلك يمهد الطريق للأمل في الشفاء والإصلاح في وقت معين في المستقبل .

وهذا مثال للحياة الروحية، فالله يقتلع أولاً الخطية قبل أن يتمكن الخاطيء من أن ينمو في النعمة، وفي معرفة يسوع المسيح (أفسس ٤:١٥، بطرس الثانية ١٨:٣) .

وهذا الجزء يصور بطريقة جذابة وحساسة ، الصلة القائمة بين الله وعبده المختار ، فهنا ، كما في مواضع أخرى من الكتاب المقدس ، نرى الله يتصل بالبشر مقدراً الإنسان كإنسان ، ويتحدث مع الناس على مقدار مستوى فهمهم . ويستخدم لغة لا يمكن لأحد أن يخطيء فهمها ، وهو مستعد أيضاً للاستجابة الذكية ، وسوف يستمع لما نريد أن نوضحه من آراء سواء صغناها بلسان متلعثم كموسى أو في شكل عتاب مطول كأيوب . ومع ذلك فالاستجابة هي العنصر الهام عندما يكلم الله الإنسان ، وبالرغم من أن إرميا كان بطيئاً ومترددا إلا أنه لم يكن عاجزاً في هذا الصدد .

والفكرة بأن وجوده جزء من الإرادة الإلهية وليس حدثاً بيولوجياً عابراً قد أعطت إرميا إحساساً خاصاً بالهدف والمصير . وهذا بدوره قد وهبه الإصرار ، بلا شك ، على إتمام رسالته النبوية بغض النظر عن أية اعتبارات شخصية .

١١ــ١٦ رؤيتان :

هاتان الرؤيتان قد حدثتا في أوائل خدمة إرميا على الرغم من أنه يصعب معرفة متى وأين حدثتا ، ولربما كانتا منفصلتين عن الدعوة ، ولكن وضعهما معاً (الرؤيتان والدعوة) ساعدا إرميا في الشهادة على صحة تفويضه بسواء بالنسبة لنفسه أو للآخرين .

فبإقراره أن «يرى» ما قاله له الله ، فإن النبي كعاموس (عاموس ١:١، ١:٨) وإشعياء (إشعياء ٢:١) استطاع أن يوضح كيف اختبر كلمة الله إليه في تلك المرحلة (١١و١٢)، وللرؤيا الأولى صفة إيجابية ، فموضوعها قضيب

اللوز أول شجرة تثمر في الربيع . وهناك مقابلة لفظية بين قضيب اللوز (Sáqéd) والتي تعني (المستيقظ من النوم) وكلمة (Sóqéd) التي تعني (الساهر)، وهي تبين أن الله مستعد لحفظ مواعيده . وكما أن الإثمار المبكر للوز كان يبشر بمقدم الربيع فكذلك الكلمة المقولة تشير لاتمامها السريع . وكعاموس فإن إرميا كان يقدر الطبيعة حق قدرها (٢:١٠، ٨:٧، ١٢:٨، ٤:١٤—٦... الخ) . وكان يدرك أنها يمكن أن تعمل كوسيلة معبرة عن الله .

١٣ : والرؤيا الثانية تحمل في ثناياها نفحة منذرة بالشر ، وقد يكون هناك فاصل بينها وبين الأولى قدر عدة أسابيع أو شهور . و«يرى» النبي ثانية شيئاً محدداً يحمل معنى معيناً تتضح تفاصيله فيما بعد تباعاً . «فالقدر» الموصوفة بأنها تغلي (كتاب الحياة) كانت وعاءاً كبيراً يستخدم للطهي أو الغسيل موضوعاً على جمر متوهج تنفخ فيه الريح ، وكانت القدر متجهة من الشمال وحرفياً «وجهها من جهة الشمال» موحياً بأن محتوياتها سوف تنقلب ناحية الجنوب من سوريا إلى فلسطين .

١٤و١٥ : ويقدم إرميا هنا أول إشارة نبوية له تحمل نذر الخطر المحدق ، وتحذيره الذي تقشعر له الأبدان يوحي بأن ذلك الخطر سوف ينطلق على الأرض من اتجاه الشمال يجعل سامعيه يدركون على الفور الموقف السياسي في أشور . «فأشور بانيبال» آخر الحكام الأشوريين العظام مات تقريباً وقت دعوة إرميا (انظر المقدمة، القسم الثاني). وخلال عقد من الزمان فإن الامبراطورية التي أرهبت الشرق الأدنى كانت على حافة الانهيار . وبالنسبة ليهوذا — التي كانت بين مصر وقوى الشمال — كان الموقف منذراً بالسوء . وفي النبوة قال الله إنه سوف يستدعي الشماليين لتنفيذ قضاءه ، وباستثناء الغزوات المصرية كان العبرانيون معتادين على فكرة الخراب الذي يأتي عليهم من الشمال . وفي نبوته يصور إرميا أن كل ملك من الملوك سوف يجلس على عرشه في مدخل أبواب أورشليم والمدن الحصينة الأخرى في يهوذا ، وبينما يمكن أن يشير ذلك إلى الغزو السكيثي ، إلا أن الأكثر احتمالاً هو الإشارة إلى أورشليم تحت الحصار أي إلى الهجمات البابلية المتعاقبة .[1]

---

(١) ما دام الغزو السكيثي حقيقياً كما افترض كثيرون ، فليس هناك داع للنظرية القائلة بأن هذا العدد قد أضيف للنبوة على يد أحد الكتاب بعد سقوط أورشليم حيث أن الإشارة يقصد بها غزوات تلك الجحافل الأجنبية .

١٦ : هؤلاء الغزاة هم أدوات تنفيذ قضاء الله على أهل يهوذا على جريمتهم باتباع الآلهة الوثنية بدلاً من اتباع مبادىء العهد في سيناء .

والفعل (qtr) أي «يحرق البخور» مستخدم في موضع آخر عن حرق الشحم في ذبائح التقدمة (صموئيل الأول ٢:١٦، مزمور ١٥:٦٦) وفي «تقدمة الشكر» (عاموس ٥:٤) أو حرق البخور . إن التوتر الناجم عن المصالحة بين عبادة البعل والعقيدة الإسرائيلية في التوحيد قد وصل إلى الذروة ، ويتفق إرميا هنا مع أنبياء ما قبل السبي في الهجوم على أولئك الذين يسجدون لعمل أيديهم (إشعياء ٦:٤٦) . إن عبادة الأوثان إحدى نتائج مشاكلة أهل هذا الدهر (رومية ٢:١٢) ، ويقول إرميا بأجلى بيان كما فاه المسيح أيضاً أنه لا يمكن أن نخدم الله والمال (متى ٢٤:٦، لوقا ١٣:١٦) .

١٧ـــ١٩ : حث ووعد :

إن الخوف الذي انتاب النبي يقابله أمر صريح ألا يخاف كما قيل ليشوع (تثنية ٦:٣١ـــ٨، يشوع ٦:١ـــ٩) ، فإذا خانته شجاعته فإن الرب سيعصف به لعصيانه وعدم إيمانه . لأن الأمر بالنسبة له ـــ كما بالنسبة للمسيحي ـــ أن كل ما هو ليس من الإيمان فهو خطية (رومية ٢٣:١٤) ، ومع أن كل واحد سيقف ضده إلا أن الله سيكون بجانبه وسوف يجعله محصناً ضد كل سوء . والمسيحي مأمور بنفس الطريقة أن يثبت (أفسس ١٤:٦) حتى يكون خادماً أميناً يعتمد عليه في كل وقت .

١٨ : إن التشبيه بالتحصينات المعمارية ينطبق على الموقف الأخلاقي والروحي الذي يجب على إرميا أن يقفه ، فوعد الله بالحضور (٨:١) يؤكد له أنه سيكون محصناً كحصن منيع وقوى «كعمود حديد» (قضاة ٢٩:١٦) ومقاوم للهجمات «كأسوار نحاس». إن مثل هذه الصفات ضرورية للمسيحي أيضاً لكي ينجح في الوقوف ضد هجمات الشيطان . «وشعب الأرض» يحتمل أن تكون إشارة لملاك الأرض الأصليين ، بدلاً من سكان الأرض عامة كما في مواضع أخرى .

١٩ : هذا واحد من أقوى الضمانات التي يمكن أن يتمتع بها عبد الرب ،

أنه ينتسب بصدق لمصدر النصر الروحي ، لله وليس للإنسان ، وفيه تشجيع للمؤمن المقاتل أن ينظر دواماً إلى رئيس الإيمان ومكمله ، ذلك الإيمان المسلم مرة إلى القديسين (عبرانيين ١٢:٢) ، وهو يلقي أيضاً بعض الضوء على مدلولات التجديد الروحي للنفس البشرية .

فهنا كما في عدد (١٧) قد وجه التحذير لإرميا بأنه إذا تعلل بالضعفات الشخصية ، كمبرر لفشله في انجاز مهامه انجازاً صحيحاً فسيذله الله باستخدام نفس هذه الضعفات ، وكشخص مدعو ومقدس فإنه الآن يتلقى التأكيد بأن شهادته لن يعوقها أي عائق بسبب أي نقص طبيعي . عندما يقبل الإنسان المسيح بالإيمان فإنه يصبح خليقة جديدة (كورنثوس الثانية ١٧:٥) وعن طريق تقديس الروح ينمو في المسيح إلى إنسان كامل (أفسس ١٣:٤ــ١٥). فتغيير الشخصية عن طريق الميلاد الثاني روحياً ، والتجديد (رومية ٢:١٢) شيء ضروري للخلاص الأبدي والمقصود من كفارة المسيح أنها تخلص من الذات والأنانية كما تخلص من الخطية (غلاطية ٢٠:٢) .

١:٢ــ١٣ الله يتذكر محبة إسرائيل الأولى :

هذا الأصحاح عظة قوية تتحدث عن الارتداد ، وقد قيلت كلماتها بكل غيرة المبشر كما يتضح من قوة وحيوية اللغة المستخدمة . بينما ليس من السهل أن نحدد بدقة تاريخاً لها ، فالأرجح أنها قيلت في وقت مبكر من خدمة إرميا (ذكرت «مصر» في ١٦:٢و١٨و٣٦) والتشبيه المذكور هنا يشبه كثيراً تشبيه هوشع ، بينما الدعوة للتوبة محددة بوضوح طبقاً لميثاق العهد والتزاماته .

وهذا الخطاب مثال واضح على الطريقة التي كان يكلم بها الله إسرائيل قديماً عن طريق الأنبياء . إنه ليس عرضاً منظماً مستقلاً لحقيقة تاريخية كالتي يحتفظ بها الدارس أو صاحب السجلات المحفوظة ، بل دعوة حارة للأمة لتترك عبادة الأوثان وتخضع لمطالب إلهها القديم. والبلاغة الغالبة على هذا الأصحاح ، ظاهرة من تغيير الأوزان (٤:٢ــ١٣) والشخص الموجه إليه الحديث (قارن ٢:٢، ١٤ــ١٩و ١٣:٤) . وهذه المادة كانت بلا شك موجودة في النسخة الأصلية التي جمعها باروخ (٣٢:٣٦) والتي كان هدفها العام أن تبين كيف تنبأ

إرميا بثبات عن دمار أورشليم حتى في الأيام الهادئة نسبياً والتي أعقبت اصلاح يوشيا .

١ : لا نعرف بالضبط كيف صارت إليه الكلمة ولكن يفهم من كلمات إرميا أن الرسالة النبوية نابعة من العلاقة الروحية الوثيقة بينه وبين الله وتصبح الكلمات الإلهية هي الرؤية النبوية أما الشخصية المقدسة للمتكلم فليس لها أي أثر في الإقلال من قيمة الطبيعة الإلهية للخطاب أو إبطال مفعوله . وهذا جزء حيوي من خطة الله للخلاص أن تصبح كلمته جسداً سواء في المسيح الكلمة المتجسد (يوحنا ١:١٤،١) أو في المؤمن الذي يبشر بالكلمة .

٢ : بالمقارنة بحالة الارتداد الحالية فإن الأمة الإسرائيلية كانت تثق بالله تماماً عندما كانت عروساً له . وهذا التشبيه يرجع لهوشع ويتضمن تلك العبارة المتميزة (hesed) والتي يصعب ترجمتها بكلمة واحدة فهي (لطف) في بعض الترجمات أو ولاء في ترجمات أخرى (كتاب الحياة). أو غيرة في المحبة (الترجمة العربية)، إنها وصف عام للمعروف واللطف الإلهي نحو البشر أو لوصف علاقة مماثلة بين الناس في المجتمع البشري . والعلاقة التي كانت بين الله والبشر في سيناء وصفت بعبارات كالزواج حيث تتبع العروس زوجها في ثقة إلى بلد غريب (هوشع ٢:٢ــ٢٠) .

٣ : إن الناموس القديم الخاص بأول ثمار الأرض (لاويين ٢٣:١٠و١٧، تثنية ٢٦:١ــ١١) خصص لله نصيباً من باكورة المحصول . وهذه التقدمة هي اعتراف بالشكر ، وبأن انتاج الأرض جاء من عند الله ، وكان عربوناً على وفرة المحصول عند وقت الحصاد .

وإسرائيل يمثل نصيب الله من حصاد الأمم ، ولكن اهمال هذه الأمة لمسئوليات العهد قد أبطل شهادتها أمام المجتمع المعاصر ، وهكذا حرم الله من محصول أكبر ، ولأن أمة إسرائيل كانت نصيب الله المقدس تماماً مثل الباكورة (خروج ٢٣:١٩، عدد ١٨:١٢... الخ) فقد كانت محوطة بالرعاية الإلهية وكل من مسها بسوء كان يتعرض للعقاب ، وقد استخدم التعبير (باكورة) في وصف الكنيسة المسيحية (يعقوب ١:١٨) والتي كإسرائيل الله الجديد (فيلبي ٣:٣)

قد صارت وارثة للكرامة التي كانت من نصيب إسرائيل القديم.

٤و٥ : إن عدم امتنان وغباوة الأمة كلها واضح هنا . فمع أن الأمة الإسرائيلية قد نالت كرامة فريدة باعتبارها عروس الله فسرعان ما نسيت محبتها الأولى (٣٢:٢، ٢١:٣) . والسؤال «ماذا وجد فيّ أباؤكم من جور» كانت إجابته سلبية . وفي العبارة «ساروا وراء الباطل» نجد أن الاسم (hahebel) والفعل المتصل به ربما يكون كناية عن اسم (البعل) وهو إله الكنعانيين ، وفي سفر التثنية كما في معاهدات الشرق الأدنى الدولية ، فإن عبارة «سار وراء» كانت تعني «قد صار عبداً له» .

٦ : إن الله يتحدى إسرائيل أن تبين أي عهد قد كسره منذ وقت البرية فصاعداً . إنه لم يكن فقط أميناً معهم ولكنه قادهم أيضاً في القفر وفي أرض اليبوسة القاحلة ، وهو يحميهم ، وقد أخرجهم إلى أرض الميعاد . فإرميا يؤكد هنا على صدق مواعيد الله وعدم تغيرها (كورنثوس الثاني ٢٠:١) ويقول بأن عدم امتنان الأمة بأسرها لا يمكن أن يكون قد نشأ إلا نتيجة نسيان إسرائيل .

٧ : إن الجمال الطبيعي لأرض فلسطين سرعان ما تلوث نتيجة الإنغماس في العبادة الوثنية . فأرض الوفرة، حرفياً «رأس كرمل» تذكر السامعين بمدى خصب المنطقة (عاموس ٢:١، ٣:٩، ميخا ١٤:٧، ناحوم ٤:١) .

٨ : هناك أربع طبقات من القادة مسئولة عن الوثنية والارتداد . فلو لم يهمل **الكهنة** واجباتهم ما نشأت الأزمة الروحية التي تواجه الأمة الآن ، فوظيفتهم كانت مصالحة الناس مع الله من خلال طقوس الذبائح ولكن لأن ديانة كنعان كان لها مثل ذلك التأثير الفاسد على الديانة العبرانية القديمة فقد صاروا متراخين وغير مبالين ولا يتحملون المسئولية ، وهناك أيضاً **«أهل الشريعة»** أي الكهنة واللاويون والذين كانوا مسئولين عن تعليم أحكام الله للشعب قد أدينوا لأنه ليست لديهم أي معرفة مباشرة عن الرب . وفي (٣٤:٣١) يعد النبي أنه بناء على العهد الجديد فإن المعلومات عن الله سوف تستبدل بالاختبار الشخصي عنه . ومثل تلك المعرفة الواعية بإله مخلص حافظ هي قلب الإيمان المسيحي (تيموثاوس الثانية ١٢:١، أفسس ١٩:٣.. الخ) ثم

الحكام المؤقتين «الرعاة» كانوا عصاة وملومين تماماً كالكهنة الذين أخذوا منهم بلا شك تعليمهم ، بينما الأنبياء في ذلك العصر قد أخذوا وحيهم من البعل لا من الرب إله إسرائيل . وبالرغم من الإصلاح الدوري ، فإن العبادة القومية قد عدلت كثيراً لتناسب الطقوس الفاسدة للكنعانيين . وفي فترة خدمة إرميا ، كان في صراع مع الأنبياء الكذبة الذين اثبتت انتماءاتهم الوثنية جعلت نبواتهم مضادة لإرادة الله كما ثبت من مجرى الأحداث .

والتعبير (lôyoilû) (ما لا ينفع) ربما قصد به التهكم من اسم (البعل) .

٩ : هذا الموقف المحزن جعل الله يعلن شكوى رسمية ضد شعبه . والعبارة القانونية (ryb) وهي تعني (يخاصم) تطلق على شخص يختصم شخصاً مدعى عليه في قضية في المحكمة (أيوب ١٣:٣٣) والحكم بلا جدال سوف يكون ضد إسرائيل ، لأن الأمة قد نكصت بالتزامات العهد مراراً وتكراراً ، وكانت معاهدات السيادة في الشرق الأدنى القديم تقضي بعقوبات صارمة في مثل تلك الحالات حتى لا يستطيع أهل يهوذا الافلات من النتائج المترتبة على هذا الموقف . ويجب ملاحظة طريقة تضمين المستقبل في الحاضر، وذلك بالإشارة إلى سلالة جيل إرميا ، فإذا أصروا على الارتداد كآبائهم فإنهم سيعاقبون أيضاً .

١٠و١١ : يطلب إرميا من الشعب أن يتذكر أنه ما من أمة قديمة قد استبدلت آلهة أجدادها بآلهة أخرى لا تنفع . هذا القول ينطبق على الجزر الغربية التي اشتقت اسمها (كتيم) من المستعمرة الفينيقية (كيتيون (Kition)) في قبرص كما ينطبق أيضاً على الشعوب الشرقية المتمثلة هنا في (قيدار) وهي قبيلة عربية كانت تعيش في الصحراء شرق فلسطين (٢٨:٤٩) . لقد تصرفت الأمة الإسرائيلية خلافاً للشعوب الوثنية التي ظلت وفية لآلهتها القومية بالرغم من كل شيء ، وتركت إلهها الحي ومجده من أجل شيء عديم المنفعة تماماً .

والكلمة (Blóyôil) (ما لا ينفع) هي نفس حروف اسم البعل .

١٢و١٣ : عند هذا السلوك المخزي فإن السموات عندما استدعيت للشهادة اقشعرت خوفاً ورعباً لأنها مطيعة دائماً لنواميس الله . وقد استدعى الله السموات

للشهادة أيضاً في (تثنية ٣٢: ١، إشعياء ١: ٢) . وبينما نرى للشعوب الوثنية ذنباً واحداً وهو عبادة الأوثان نرى أمة العهد قد ارتكبت شرين خطيرين وهما ترك الإله الحي وسعيها وراء الأصنام .

وقد وُصف الله هنا «كينبوع المياه الحية» وهو ينبوع أو مجرى مائي يجري نحو خزان للمياه ، والمسيح يعطي (الماء الحي) لكل من يقبلونه ليصير فيهم ينبوعاً ينبع إلى حياة أبدية (يوحنا ٤: ١٠-١٤، رؤيا ٢١: ٦) .

ولكن بدلاً من أن يقبل الإسرائيليون خلاصاً مبنياً على النعمة المجانية فإنهم فضلوا خلاصاً مبنياً على أعمال بشرية ، وهكذا فقد صوروا لأنفسهم أوثاناً لا تنفع (١: ١٦) والتي لم تستطع في النهاية أن تفي باحتياجاتهم الروحية تماماً كالبئر المشقق الذي لا يضبط الماء بل يتركه ينساب بعيداً ، وبذلك لا يصبح لمثل هذا البئر فائدة ترجى في الحفاظ على الحياة .

٢: ١٤-٣٠ : عدم أمانة إسرائيل :

١٤ : إذ ينظر إرميا بعين واحدة للمصير الذي آلت إليه مملكة الشمال فإنه يقول إن الإسرائيليين المولودين أحراراً سرعان ما يصبحون عبيداً . وهو يتساءل لماذا يحدث ذلك إن كانت إسرائيل حقاً ملك لله ؟ لماذا تصبح هكذا تحت رحمة الأسد الأشوري المفترس لمدة طويلة . و«العبد مولود البيت» هو الذي رأى ضوء النهار لأول مرة في بيت سيده وبذلك صار ضمن الممتلكات الشخصية لسيده ، بخلاف العبد الذي تم الحصول عليه بالشراء .

١٥و١٦ : يفكر إرميا في التهديد الموجه للأمن القومي على يد الأشوريين (إشعياء ٥: ٢٩) والذي انتهى بسقوط مملكة الشمال في ٧٢٢ ق.م.، وحقيقة أن أمة إسرائيل قد صارت «خربة» يعد تحذيراً كافياً لما يمكن أن يحدث ليهوذا المرتد ، وبالمصادفة فبعد سقوط السامرة فإن الأسود الأسيوية في الخلاء قد ازداد عددها حتى أضحت خطراً يهدد الناس (ملوك الثاني ١٧: ٢٥) .

وبهذه الإشارة المزدوجة فإن إرميا يبين أن الله يمكن أن يعاقب شعباً متمرداً وعنيداً عن طريق أمم أخرى وعن طريق الطبيعة سواء بسواء ولا يستطيع يهوذا

بالمثل أن يتوقع مساعدة فعالة من مصر لأنه في وقت الشدة ، فإن المصريين لن يشعروا بوخز الضمير لاستغلال يهوذا ونهبها (ملوك الثاني ٢٣:٢٥) بدلاً من الاسراع لنجدتها . ونوف هي ممفيس أو (منف) وهي تقع بالقرب من القاهرة وكانت العاصمة القديمة لمصر السفلى ، وتحفنيس (تل دفنة) في الشمال الشرقي من مصر (٤٣:٧، ٤٤:١، ٤٦:١٤)، وطبقاً للنص الماسوري فإن المصريين سوف يرعوك (yiruk) أي يرعون خضرة أرض بني يهوذا . ونفس الكلمة مع اختلاف الحروف المتحركة يمكن أن تقرأ إما (Yrôuk) (لقد شجوا) الجمجمة أو (yárûk) (لقد كشفوا) الرأس بحلق الشعر .

والقراءتان الأولى والثالثة تحملان فكرة العار (ملوك الثاني ٢:٢٣، إرميا ٤٥:٤٨) أو الحزن (إشعياء ٢:١٥، ١٢:٢٢) ومرتبطتان بالصلع وإن كانت فكرة التحالف مع مصر مغرية إلا أن يهوذا سوف يعاني أشد المعاناة إذا تورط معها .

١٧ : إن سبب كل المتاعب مدون بصراحة هنا . إن آلام الأمة لا يمكن أن يكون سببها الله ؛ لأنها نتيجة عدم الطاعة المتعمد . وحتى عندما اتخذوا الإله الحي قائداً لهم في الحياة ، فإن الشعب فضل نسيانه والسعي وراء أصنام لا تنفع . ويلقي إرميا هنا بدرس ذي أهمية روحية بالغة ألا وهو أن السبب الرئيسي لكل معاناتنا في الحياة راجع للجهل أو الغباء أو لكليهما ويصر العهد الجديد، كالعهد القديم تماماً على مناشدة المؤمنين أن يتبعوا البر (تيموثاوس الأولى ١١:٦ ، تيموثاوس الثانية ٢٢:٢) .

١٨ : يردد إرميا هنا الفكرة التي عبر عنها إشعياء (إشعياء ١٥:٣٠) أنه باطلاً يلجأ يهوذا لطلب المساعدة من مصر ، فثقتها يجب أن توضع في الله وحده ولكن النبي كان يعلم جيداً أن مثل تلك النصيحة كانت غريبة تماماً على مسامع الأمة .

لقد أخرج الله شعبه مرة من مصر ، والعودة لمصر بأي شكل من الأشكال ستكون خطوة في الاتجاه الخاطيء . والارتداد فكرة تتكرر كثيراً في سفر إرميا (١٩:٢، ٣:٦ــ٨و١١، ١٤ــ٢٢، ٥:٦، ٣١:٢٢... الخ) كما في هوشع

(هوشع ٤:١٦، ١١:٧، ١٤:٤) . والارتداد مأساة المسيحي (عبرانيين ٤:٤ــ٦) الذي يُطلب منه النمو الروحي (متى ٥:٤٨، كورنثوس الثانية ١٣: ٩، أفسس ٤:١٣، عبرانيين ٦:١... الخ)، وتجنب العودة للطرق الآثمة التي سلك فيها قبلاً .

(شيحور) أي (السواد) إشارة ساخرة لنهر النيل واحد من أقدس الآلهة المصرية القديمة. (والنيل والفرات، هنا يمثلان الإمبراطوريتين المصرية والأشورية، بينما الشرب من مياههما كناية عن خضوع أهل يهوذا عن طواعية للعبادة الوثنية، إشعياء ٨:٦) .

والإشارة لأشور كقوة عالمية يدل على أن هذه النبوة يرجع تاريخها إلى ما قبل عام ٦١٢ ق.م. ولا شك أن إرميا كان يفكر في مثل تلك الأحداث التي تمت في (ملوك الثاني ١٥:١٩، ١٦:٧، ١٧:٣) وفي هجوم هوشع (هوشع ٥:١٣، ٧:١١، ٨:٩.. الخ). إن إرميا يتفوق على كل الأنبياء الآخرين في ترديده لأقوال سابقيه .

١٩ : لا مصر ولا أشور لهما دخل في الكارثة الوشيكة الوقوع حتى وإن كانا من الأدوات المستخدمة في العقاب بطرق مختلفة ، إذ أن الكارثة وقعت نتيجة حكم الله على خطية الأمة . ويبين النبي أن الاتجاهات الروحية تؤدي إلى أنماط معينة تتأكد مما يتلوها من أحداث (هوشع ٨:٧)، فشر يهوذا المعبر عنه بالتحالف السياسي مع قوى أجنبية سوف لا يجلب سوى المتاعب، وليس الأمان المتوقع ، حيث أن كلا من مصر وأشور كانا عادة مصدراً للدمار الذي يلحق بالشعوب الأخرى .

ويوضح إرميا أن الارتداد لابد وأن يكلف ثمناً باهظاً، وقد أثبتت الأحداث المتعاقبة صدق ذلك. بدء الحكمة مخافة الرب (أمثال ٩:١٠) ولكن يهوذا قد أهملت هذه النعمة المخلِّصة وفي حماقتها اعتمدت على البشر المخادعين الزائلين بدلاً من الالتجاء إلى الله الذي لا يعتريه تغيير أو ظل دوران .

٢٠ : إن غرور يهوذا وعناده معبر عنه بصراحة جارحة . «منذ القديم»

تركت الأمة المباديء الروحية للعهد لتنغمس في الطقوس الجنسية الشريرة في أماكن العبادة المحلية التي كانت تقام على المرتفعات لتكون قريبة من إله البعل والآلهة الوثنية الأخرى . وهكذا أصبح أهل يهوذا تحت إغراء الديانة الكنعانية حتى أنهم رفضوا الالتزام بطقوس العهد فيما بعد مفضلين أمور الجسد على أمور الروح ، وعلى المرء في النهاية أن يختار ، وإرميا هنا يجعل الاختيار واضحاً كما يفعل العهد الجديد (متى ٧:١٤، يعقوب ٤:٤... الخ) .

٢١ : كيف سقط الأقوياء ؟ بالتأمل في (إشعياء ٥:١-٧) فإن إرميا يبين كيف انتكست الأمة بشدة بالرغم من كل الجهود المبذولة للحيلولة دون ذلك . فالكرمة المختارة قد عادت لأصلها البري ، ولذلك ما على البستاني إلا أن يقتلعها — والكرمة السامية أو المختارة، حرفياً «كرمة سورق» وهو صنف جيد من العنب الأحمر اللون ينمو في «وادي السرار» الواقع بين أورشليم والبحر المتوسط .

٢٢ : إن السلوك يترك بصمته على الشخص، ولا يمكن انتزاع تلك البصمة بين يوم وليلة ، ودنس معصية يهوذا محفور جيداً حتى أن أي غسيل بالمنظفات لا يمكن أن يزيله . وإن أعظم امتياز لعمل المسيح على الجلجثة أنه يزيل كل أدران الخطية والإثم (رسالة يوحنا الأولى ١:٧) .

٢٣-٢٥ : ربما من باب الدفاع عن النفس كان يشير الناس إلى هيكل سليمان العظيم وطقوسه كدليل على تقواهم . ومع ذلك فقد تجنبوا بحرص الإشارة إلى انغماسهم في طقوس الاخصاب الدنسة للبعل أو إلى عبادة مولك في وادي ابن هنوم (انظر ٧:٣٢)، ويوضح إرميا طبيعة انحرافاتهم الجنسية في المعابد الوثنية باستخدام تشبيه الناقة (والكلمة المستخدمة في هذا الموضع فقط ، ناقة سريعة) ففي الجو الحار تجري الناقة ذهاباً وإياباً في الصحراء باحثة بجنون عن الارتواء الجنسي . وأناس الله المختارون لا يجب أن يكونوا كالحيوانات يستسلمون للشهوة الجسدية مبدلين حق الله بالكذب (رومية ١:٢٤-٢٦). وصورة الحمار الوحشي تمثل الطبيعة الغير مستأنسة (تكوين ١٦:١٢، أيوب ١١:١٢) . والحيوان يتشمم الريح لكي يتعرف على رائحة الذكر ، وبالمثل فيهوذا منهمك بنشاط في البحث عن اغراءات تدفعه للوثنية والدنس ولا

يتصرف سلبياً فقط تجاهها . ومع ذلك فهناك تحذير خطير للشعب ألا يذهب لاهثاً وراء آلهة باطلة حتى يفقد نعليه لأن مثل تلك الوثنية سوف تعاقب في النهاية بأن يدفعوا ثمناً لذلك رحلة طويلة في الأسر يشكون فيها من الظمأ ومن الحفاء .

وبالرغم من ذلك النداء فإرميا يدرك كيف كان يهوذا سادراً في غيه وحماقته وراء العبادة الكنعانية .

٢٦و٢٧ : تم توجيه الاتهام من قبل لأربع مجموعات رئيسية كانت السبب في الأزمة الروحية في يهوذا، وهنا تتعرض تلك المجموعات للتعنيف والتوبيخ مرة أخرى.

فكاللص المحترف عندما يقبض عليه متلبساً يشعر بالضيق وتنتابه حالة من الاضطراب فهكذا بنو إسرائيل سوف يشعرون بالخزى في ذروة الأزمة عندما يدركون عبث الثقة في العود والحجر .

ولا يستطيع إرميا أن يفهم كيف يعبد الشعب المختار الأوثان بلا خزى ويستخدم لفظ خزى ليصف من وجهة نظره عبادة البعل (إرميا ٣:٢٤ الخ، هوشع ٩:١٠) . إن موقف الأمة يُظهر بوضوح الحاجة الملحة لاختبار تجديد حقيقي . ويبرز إرميا موقفاً مألوفاً للجميع في كل وقت بقوله إن المرتدين الخاطئين يطلبون عوناً إلهياً فورياً وفعالاً عندما تحل بهم الكارثة . وبذلك فهم يشهدون ، رغماً عنهم ، لوجود الله وقدرته على مساعدتهم بالرغم من عدم أحقيتهم في ذلك ، فالإله الرحيم المحب يهتم بمثل هؤلاء الناس (لوقا ٦:٣٥) .

٢٨و٢٩ : عند هذا المنعطف نرى النبي يسخر منهم بمرارة فهو يقترح عليهم هذا الاقتراح قائلاً : «لا شك أنه من بين كل الآلهة التي صورتموها لمدنكم يمكن أن تجدوا واحداً أو أكثر يمكن أن يخلّص عابديه في وقت بليتهم».

«فالآلهة الكثيرون والأرباب الكثيرون» (كورنثوس الأولى ٨:٥) في مجتمع بني يهوذا في ذلك الوقت يُلقى عليها الضوء هنا ، فبالرغم من الشكوى بسبب المعاملة الظالمة فإن الشعب استحق هذا العقاب المتنبأ عنه لأن عصيانهم وتمردهم

على الله هو جوهر الخطية . ولأن يهوذا قد أدين بنفس التهمة التي أدينت بها أمة إسرائيل وهي الخطية فلابد أن يشارك يهوذا إسرائيل نفس العقوبة .

إن أمانة الله وعدم تغيره يقابله سلوك الشعب المختار الذي يتصف بالخيانة والتمرد والعناد .

٣٠ : إن الآب السماوي قد عاقب البنين الذين أحبهم (عبرانيين ١٢:٦) ولكن بلا جدوى ، وقد اسكتوا شهوده بلا رحمة ، وربما تكون الإشارة هنا إلى منسى (ملوك الثاني ٢١:١٦، نحميا ٩:٢٦) وهذه المقاومة لكلمة الله الحقيقية قد تركزت أيضاً على أورشليم كما قال السيد المسيح (متى ٢٣:٣٧، لوقا ١٣:٣٤، أعمال ٧:٥٢) الذي واجه نفس مصير الأنبياء الآخرين بشكل أو بآخر .

٢ : ٣١ــ٣٧ : قرار عقاب الأمة :

٣١ : يناشد النبي سامعيه أن يلتفتوا لتحذيرات الله ما دام الوقت متاحاً ، وهذا التنبيه على قدم المساواة مع تعبير «يا أولاد الأفاعي» الذي تفوه به يوحنا المعمدان (متى ٣:٧، لوقا ٣:٧) ويسوع (متى ١٢:٣٤، ٢٣:٣٣) .

وقد قاد الله شعبه في البرية ولم يكن قاسياً أو مقتراً عليهم بل كان بالحقيقة مصدر انتصار ورجاء وثقة لإسرائيل . ولكن بني إسرائيل حولوا وعود الله السخية لهم إلى بؤس وفقر مدقع بسبب عصيانهم وارتدادهم . وبينما كانوا يرغبون في الحصول على التحرر من تبعات العهد فإنهم كانوا في الواقع مستعبدين فعلاً لممارساتهم الوثنية ، وكان عليهم أن يتعلموا أن الحرية الحقيقية لا توجد إلا في خدمة الله (رومية ٨:٢، غلاطية ٥:١ الخ) .

٣٢ : لقد حدث المستحيل فإرميا لا يصدق أن تنسى عروس ثيابها ومع ذلك فإن إسرائيل ، عروس الله ، قد نسيت إلهها طويلاً ، هذا الإله الذي أوجد لها مركزاً فريداً في العالم من خلال العهد في سيناء . لقد كانت زينة العروس مكونة من منطقة (حزام) تعلي مقامها كسيدة متزوجة (إشعياء ٣:٢٠)، والعهد الجديد يحوي إشارات لإسرائيل الجديد ، الكنيسة المسيحية ،

كعروس المسيح (كورنثوس الثانية ١١:٢، أفسس ٥:٢٥—٢٧و٣١، رؤيا ١٩:٧) .

ويسوع هنا هو العريس الإلهي الذي بحث عن عروسه في محبة مضحية باذلة ودخل معها في رابطة المحبة بموجب عهد أبدي .

٣٣و٣٤ : إن الممارسات اللاأخلاقية لعبادة البعل كانت تجذب الناس وتشجعهم على مزيد من الخلاعة . لقد خططوا بعناية لاتمام مقاصدهم الشريرة بفاعلية أكثر ، ولكن في النهاية برعوا في طرقهم الآثمة . لقد كانوا على قدر عالٍ من المهارة في أنهم كانوا يدربون العاهرات المحترفات على فنون عملهم الكريهة . والسلوك الشرير يجر معه دائماً أناساً أبرياء كمثال المسيح في تحمله لخطايا البشرية (بطرس الأولى ٢:٢٠—٢٤) . وعدد (٣٤) يمكن قراءته هكذا حسب الطبعة السبعينية «على كفيك» أي «على يديك» وفي الـ العربية عن السورية «على أذيالك» وهي تتضمن تغييراً طفيفاً في الحروف الساكنة . وفكرة طرف الثوب (الذيل) الملوث مع ذلك تناسب المعنى في العدد السابق ، فالدم قد سفك بلا وجه حق لأن الضحايا لم يقبض عليهم متلبسين بالسطو . وإلا لكانوا قد قتلوا دون أي عقاب على القاتل (خروج ٢٢:٢)، ولذا فليس هناك عذر مقبول، يمكن للشعب تقديمه، وهكذا فإنهم يستحقون كل الغضب الإلهي.

٣٥ : لم تذكر الفظائع القديمة التي ارتكبت في عصر منسي بسبب احتجاج الناس بأنهم منها براء ، ويبدو أن اصلاحات يوشيا كانت قصيرة الأمد . ويصور هذا العدد قساوة القلب والعناد والفجور الكامن في بني يهوذا والذين لا يزالون عبدة أوثان بالقلب ، وعلى ذلك فإنهم سوف يدانون ويقدمون للمحاكمة بالرغم من مجاراتهم الظاهرية للاصلاح الديني ، وعلى المسيحي أن يركز الانتباه دائماً على الدافع الشخصي واضعاً في ذهنه نوع الإله الذي يتعامل معه (مزمور ٩٤:١١، كورنثوس الأولى ٣:٢٠، عبرانيين ٤:١٢... الخ) .

٣٦و٣٧ : كان شعب الله متقلباً فبعد أن قطع ربطه بالله وحطم ميثاق العهد ، كان تحت وهم أنه يستطيع تغيير المسار عندما يشاء ويكون بمنأى

عن العقاب . ولم يدرك الشعب في تقلباتهم السياسية أن الله الحي وحده هو الأبدي الغير متقلب ، بينا الأمم كأشور ومصر لا يمكن الاعتماد عليهما ، وبأقل قدر من أعمال الفكر والتأمل كان يمكنهم أن يعرفوا أن هاتين الدولتين كلتيهما لم تجلبا عليهم سوى الإذلال والإحباط ، وليس النجاح والبركة .

ومن ثم فإرميا يقرر بصراحة أنه إذا تطلع يهوذا إلى مصر لطلب العون فما عليه إلا أن يتراجع ويديه فوق رأسه ، متحسساً إصاباته مخفياً عاره . سوف يحدث هذا لأن الله هو المسيطر على مجرى الأحداث العالمية لعقاب شعبه المتمرد .

٣:١ــ٥ : احتجاج على إسرائيل :

١ : يجب فهم الكلمات الواردة في (٢:١) هنا حتى يمكن تقديم الصيغة المختصرة الواردة في تثنية (٢٤:١ــ٤) بصورة أوضح . هذه الشريعة حرمت على رجل طلق زوجته أن يتزوجها مرة أخرى إذا كانت قد تزوجت برجل آخر في الفترة التي تركها فيها لأن ذلك ينجس الشعب المختار .

إن صورة الزانية المأخوذة من هوشع (هوشع ٢:٤و١٠و١٣ الخ) يقصد بها سعي الأمة وراء عبادة الأوثان ليبين أن النجاسة الروحية لإسرائيل قد جعلت المصالحة مع الله أمراً بالغ الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً بالفعل . لأن «هل يرجع إليها» نجدها في السبعينية هكذا «هل تستطيع أن تعود إليه» . ولكن هذه قراءة ضعيفة . والفعل sûb (يرجع) غير موجود إلا في الأعداد ١٢و١٤و٢٢ بمعنى العودة إلى الله في توبة حقيقية .

وحتى وإن كان التشبيه السابق يفهم منه أن الأمة لم تستطع أن تأخذ مكانها كعروس لله بسبب رجاساتها المتكررة إلا أنها يمكن أن تنال الغفران لو تابت توبة حقيقية عن خطاياها السابقة، والاعتراف بالخطية بروح منسحقة يأتي ببركات الغفران . والمسيحي الذي يعترف بإثمة بروح منسحق يحصل على بركة الغفران (يوحنا الأولى ٩:١) من لدن مخلّص يكره الخطية ولكنه يحب الخاطيء .

٢ : قد بلغ الفجور والانحطاط بالشعب أي مبلغ حتى أنه لم يبق مكان في الأرض لم يمسسه الفساد ، وقد شبه إرميا ذلك الانحطاط الشعبي وانشغالهم باللذة الحسية بإعرابي مترجل ينتظر في الخفاء ليسطو على قافلة في الطريق أو بعاهرة تقف في الطريق بحثاً عن عملاء (ثامار في تكوين ١٤:٣٨ وانظر أيضاً أمثال ١٢:٧ــ١٥، حزقيال ٢٥:١٦)، هذه الشهوانية قد دنست الأرض وشعبها ، وفي (أعمال ٢٠:١٥) وجه التحذير للكنيسة الأولى أن تتجنب رجاسات الأصنام والزنا لئلا يكرر إسرائيل الجديد أخطاء إسرائيل القديم .

٣و٤ : ثم استعداء قوى الطبيعة ضد الأمة في محاولة لإرجاعها لرشدها .. ولكن كأي زانية فاجرة ظلت دون أدنى خجل . ثم عندما اشتد القحط اشتكى الشعب وطلب يد المساعدة محتجاً بأن الله كان لهم دائماً مرشداً ، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يخفوا تدنيس عهد الآباء في سيناء (ملاخي ١٠:٢ــ ١٤) .

٥ : لابد أنه بعد تلك الأعذار والاحتجاجات فإن الله الرحيم سوف يلين قلبه ويغمض عينيه على ذنوب الشعب ، ولكن الله لم يفعل ذلك للبون الشاسع بين القول والفعل في سلوك الشعب . فبينما كانت الأمة تتفوه بكلمات جميلة كانت ترتكب الأفعال الشريرة ، وهذا موقف أدانه المسيح في العهد الجديد مراراً وتكراراً . (متى ٨:١٥، مرقس ٧:٦، في مقابل إشعياء ١٣:٢٩، حزقيال ٣١:٣٣) .

فالأنماط السلوكية هامة جداً وجوهرية بالنسبة لأولئك الذين يجاهرون بسكنى المسيح فيهم (أفسس ٢٢:٤، فيلبي ٢٧:١ الخ) لأنه بسبب السلوك الغير قويم يهلك الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله (كورنثوس الأولى ١١:٨) وتتعطل الشهادة للإنجيل .

٦:٣ــ١٨ : ذنب الأختين إسرائيل ويهوذا .

هذا الجزء وثيق الصلة بالأعداد السابقة فهو يبين أن إسرائيل قد أبعدت لارتدادها ، وأن يهوذا لم تتعلم من تلك التجربة المأساوية ، وأنها ارتكبت ذنباً

أكبر من اختها .

والفقرة تؤكد على موضوعات سبق ترديدها في الأصحاح الثاني كعبادة الأحجار والأعواد (٣:٩، ٢:٢٧) والزنا (٣:٦، ٢:٢٠) وإعطاء الله القفا لا الوجه (٣:٢١، ٢:٣٢) ، ولكن بالمقارنة بالاتهامات السابقة فالأمة مدعوة هنا للتوبة لنوال الغفران (٣:١٢ـــ١٤) .

٦و٧ : نرى هنا في إسرائيل المرتد تجسيداً لإنكار الله ، فهي قد تشربت الانغماس في عبادة البعل تماماً ، ومع ذلك فقد كان الله مستعداً أن ينتظر حتى تشبع نزواتها وتروى أهواءها الطائشة . وفعل الأمر (ارجعي إليّ) نجده في ترجمات أخرى (سترجع إليّ)،[1] وهي ترجمة أفضل . لقد جسدت يهوذا الخيانة لأنها انجذبت وراء أختها كمثل وقدوة سيئة .

٨ـــ١٠ : إن انتظار الله أملاً في عودة إسرائيل العاصية إليه في توبة حقيقية ثبت أنه قد طال دون جدوى . فمع أن الأمة قد (طُلقت) بالسبي الأشوري إلا أن يهوذا قد فشلت في الاستفادة من الكارثة بأي صورة من الصور وبدلاً من ذلك ، فقد تعاملت مع الفضيلة باستخفاف لدرجة أنها دنست كل الأرض التي كرست لخدمة الله .

وذلك الموقف يدعم الصلة بين الرذيلة والغباوة كما في (أمثال ٥:١ـــ١٣، ٦:٣٢، ٩:١٦ الخ). وبالنسبة للمسيحي فإن الأخلاق لا تتغير بحسب الموقف[2]، حيث أنه مطالب بالهروب من الزنا (كورنثوس الأولى ٦:١٨). وفي ترجمة أخرى RSV (اعرض عن الفساد الأخلاقي) .

أما ولاء يهوذا لله أثناء إصلاح يوشيا فقد كان ولاءاً سطحياً ، وهكذا فشل في أن يغير فساد وارتداد الأمة . وهذا دليل على خيانتها لأنها بأعمالها قد أنكرت الإله الحي (تيطس ١:١٦). وكان على يهوذا أن تتعلم الدرس جيداً إن من ينكرون الخالق فإنه سوف ينكرهم (متى ١٠:٣٣) .

---

(١) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

(٢) Situation ethics

١١ : بينما كان إسرائيل (مرتداً) وكان يعاني نتائج ارتداده، كان يمكنه أن يحتج بالقول إنه ليس أمامه مثال أفضل لكي يتبعه ، ولكن يهوذا بالمقارنة قد شهدت الأحداث التي تمت في مملكة الشمال ولكنها تسترت على خيانتها بالادعاء والتظاهر ، وهكذا أدينت ليس لأنها مرتدة فقط بل لأنها مزيفة أيضاً فلا يصح أن تشوه مثل هذه الثنائية خدمة المسيحي للإله الحي (تسالونيكي الأولى ١:٩) . بل تكون خدمته لله في قداسة حقة (أفسس ٤:٢٤) .

١٢ــ١٤ : إن الخطاب موجه الآن للعشرة أسباط الذين حُملوا إلى أشور عام ٧٢٢ ق.م. على يد (سرجون الثاني) بأنهم مع كونهم في السبي عليهم أن يتوبوا عالمين أن الله رؤوف لا يحقد إلى الأبد ، وبينما نرى تأكيداً للمرتد الإسرائيلي بأن العودة لروابط العهد تصلح كمقدمة للعودة إلى الوطن إلا أنه ثمة دليل على أن هذا العرض قد أخذ على محمل الجد . ومع أن الاعتراف متاح، وما على إسرائيل إلا أن يكون مخلصاً في ترك عصيانه وفجوره وعدم طاعته إلا أن الاعتراف الحقيقي ، تجربة مؤلمة فيها نوع من الإذلال ولذا يندر أن نجده سواء على مستوى الأفراد أو الأمم .

إن التفريغ بالاعتراف يساعد بلا شك على جعل الغفران المسيحي خبرة ثرية للروح التائبة (يوحنا الأولى ١:٩)، وفي توجيهه لإسرائيل أن تعود لربها فإن إرميا يظهر الله كالبعل الحقيقي (báal) بمعنى «السيد» أو «الرب» أو «الزوج» للأمة . وفكرة العودة بالآحاد والاثنين توحي بفكرة البقية الواردة في (إشعياء ١٠:٢٢، ٢٨:٥) . هذه المجموعة الصغيرة التي تمهد الطريق لإسرائيل للعودة إلى الله لتصبح مع الكنيسة عروس المخلص (رؤيا ٢١:٢) .

١٥و١٦ : عند إعادة تشكيل قيادة بدلاً من القيادة القومية الفاسدة ، فإن يهوذا سوف تحكم بواسطة خدام الله الأمناء مثلما كان داود (صموئيل الأول ١٣:١٤). وليس بواسطة الطغمة المغتصبة للملك الذين نصبهم الإسرائيليون بحسب أهوائهم (هوشع ٨:٤) .

إن قيادة قطيع الرب ليس أمراً هيناً كما يقرر العهدين القديم (حزقيال ٣٤:٨ــ١٠، زكريا ١٠:٣، ١١:١٧ الخ) والعهد الجديد (مرقس ١٣:٢٢،

بطرس الثانية ٢:١، يوحنا الأولى ٤:١ الخ) وعندما يصبح عهد الله الجديد ساري المفعول سيتبارك به شعب الله وينجح ، وسيطغي حضور الله بجلاله على التابوت والمناسك العقائدية الأخرى جاعلاً استخدام مثل تلك الرموز التي ترمز لوجود الله أمراً غير ضروري . وفي أورشليم السماوية (رؤ ٢٢:٥) ستصبح الشمس بالمثل عديمة الجدوى . وإلى أن يجيء ذلك الحين فالأشياء المادية التي تذكرنا بعمل الله مرغوبة كأشياء معينة على الإيمان .

١٧ : يتطلع إرميا إلى ما بعد السبي إلى وقت لا محل فيه للوثنية في فلسطين حيث تصبح صهيون «قدساً للرب» (زكريا ١٤:٢٠) . وتوجد هنا بلا شك نبوة عن المسيا (إرميا ١٨:٥، ١:٣١، ١٦:٣٣، هوشع ٥:٣ الخ) وسوف يتوج الله وسط شعبه الذين أضحوا الآن عبيداً مخلصين ومطيعين له ، وتصبح أورشليم نوراً للأمم، ويقوم الإسرائيليون بالشهادة حسبما هو متوقع بناء على عهد سيناء .

وعندما جاء المسيح تأسست المملكة فعلاً في صهيون ولكن ليس على أساس مادي (يوحنا ٣٦:١٨، أعمال ٦:١ الخ) .

١٨ : إن الأمل في اتحاد إسرائيل ويهوذا معاً في النهاية نراه في (إشعياء ١٢:١١، حزقيال ١٦:٣٧ــ٢٨، هوشع ٢:٢، انظر إرميا ٤:٢)، ولكن مثل هذا الحدث يجب أن تسبقه توبة حقيقية ، ولكن حيث أنه لا يوجد ما يدل على توبة الأسباط العشرة فالوحدة المشار إليها لابد أنها تشير إلى عصر النعمة المسيحي عندما يأتي اليهودي والأممي سواء بسواء لتقديم الإكرام والتعبد أمام الرب المتوج في صهيون .

٣ : ١٩ ــ ٢٥ الحاجة للتوبة :

مع أن النبي يشعر أن سبي إسرائيل قد يقود لخلاص يهوذا إلا أنه يشير إلى أن انتظار الله من مملكة الجنوب لم يتحقق بسبب ارتداد الأمة وفسادها الأخلاقي .

١٩ــ٢١ : بالقاء نظرة على بركات العهد يتذكر الإسرائيليون ما فشلوا

في نواله بسبب عصيانهم المتعمد . وبدلاً من البركات الموعود بها من لدن أب سماوي محب نراهم يعانون الويلات بسبب العقاب على ارتدادهم . وبنفس الطريقة فإن انتظارات الله من يهوذا لم تتحقق لأنها كامرأة تخون زوجها قامت هي أيضاً بالكلام بالشفاه عن وصايا العهد بينما هي تمارس الرذيلة عمليا . لقد سمع إرميا من الشمال صوت بكاء على (الهضاب.) وهذه الكلمة (إرميا ٢:٣، ٤:١١، ٧:٢٩، ١٢:١٢، ١٤:٦) تعني بالطبع المساحات القاحلة من الأرض الخالية من النبات ، وهي تمثل السمات الروحية للطقوس الوثنية التي تمارس على مرتفعات الجبال . ومثل هذه الأماكن كانت تستخدم عادة للبكاء والنحيب (قضاة ١١:٣٧) وهذا ما يسمعه النبي ، والنائحون ينعون حماقة وسخف وعدم جدوى العبادة في المعابد الكنعانية في طول البلاد وعرضها . وفي المشهد الذي أمامنا نرى مكان عبادة الأوثان وقد تحول إلى مشهد للندم والتوبة . وفي الحياة الروحية لا يمكن للخاطيء استعادة قوته المفقودة إلا عندما يعود بخطواته إلى النقطة التي سقط فيها في الخطية ويطلب الغفران والعودة إلى الله .

٢٢ : إن الدعوة للرجوع إلى الرب مصحوبة بوعد بأن الطبيب الشافي سوف يشفي ارتداد الأمة (هوشع ٦:١) وفي الماسورية فإن كلمة **(Sobáb)** ترجمت بعدة معان (ارتداد) وعدم أمانة وضلال، وجميعها تعبر عن مظاهر متعددة لخطية الأمة .

٢٣ــ٢٥ : يرى إرميا بوضوح ما يجب على يهوذا أن يتعلمه من دروس من خلال التجربة القاسية للسبي مثل : أن محبة العالم عداوة لله (يعقوب ٤:٤) وأن الفكر الجسدي (اهتمام الجسد) تهديد خطير للمؤمن في كل العصور (رومية ٨:٧) ومن ثم فالنبي يلقي باللوم على جيله لعبادة البعل الكريهة والموصوفة «بالخزى» أو بصورة أوضح «البعل إله الخزى». وقد اعتبر أنبياء ما قبل السبي العبادة الكنعانية أعظم خزى لإسرائيل (هوشع ٩:١٠)، ويقرر إرميا صراحة أن الاستمرار في ذلك سوف يجلب الدمار على الأمة . وما اعتبر قبلاً أنه طريق للحياة سوف يُرى في النهاية أنه اثم على طول الخط . ونتائج طاعة الاثم سواء بالنسبة لليهود أو للأمم مقررة في (رومية ٢:٨ الخ) .

٤:١ــ٤ : مشهد العودة الغير مشروطة :

إذا تاب الناس حقاً فإن الله يعد بأن يمنح بركات العهد القديم .

١و٢ : إن الله مهتم بالتركيز على أن أي توبة من جهة إسرائيل الوثني يجب أن تكون حقيقية وثابتة ، والكلمات الافتتاحية تبين أن الموقف الذي تم تصويره في (٢١:٣ــ٢٥). كان توقعاً أكثر منه حقيقة. فلن تكون هناك عودة لأرض الوطن ما لم يتم هجر الارتداد بناء على توبة حقيقية .

والكلمة (مكرهات) استخدمت في (هوشع ٩:١٠) وقد استخدمها كل من إرميا وحزقيال عن الآلهة الوثنية وعن طقوس العبادة المتعلقة بها . ومحبة الله الثابتة المعبر عنها في عهد سيناء يجب أن يقابلها إيمان غير متزعزع لدى الشعب التائب . وهذه الصفة مطلوبة أيضاً لدى المسيحي (كورنثوس الأولى ٥٨:١٥، بطرس الأولى ٩:٥ الخ) .

ولذلك فمطلوب من الشعب ، أن يتخذ عهداً جديداً ويقسم بحياة الرب بالحق والعدل والاستقامة ، كدليل على التوبة الحقيقية . يجب أن يقسم بصدق ــ وإلا كان تجديفاً ــ لأن ذلك يعتبر إحياء لوعود سيناء . وعلى هذا الأساس يتعهد الله بتجديد بركات العهد القديم وبذلك فإنه سوف يستخدم شعبه في الكرازة للأمم حيث أنه عن طريق إسرائيل سوف تتبارك الأمم (تكوين ١٨:١٨، إشعياء ٣:٢، ١٦:٦٥) .

٣ : تبين الماسورية أن كل رجل في يهوذا وأورشليم مطالب بالتوبة ، ولذلك فالتوبة يجب أن تكون على أساس فردي وليس على أساس جماعي كما في الطقوس الدينية ليوم الكفارة . هذا التنبير على الخبرة الشخصية هام بنوع خاص بالنسبة للاهوت العهد الجديد حيث نجد التوبة عن الخطية وقبول المسيح كمخلص أمر فردي بطبيعته .

وبطلبه أن تحرث الأرض البور، يصر إرميا على إزالة القشرة الصلبة للوثنية حتى يمكن إتلاحة بيئة أكثر مرونة واستجابة (هوشع ١٢:١٠) والمعنى المتكامل موجود في (حزقيال ٣١:١٨) وأنه لا معنى لزرع بذور التوبة في تربة غير

صالحة . ومن بين أسباب ترك الأرض بلا زراعة إتاحة الفرصة للفلاح لإزالة الحشائش التي بها ، فإن زرعت البذرة وسط الأشواك فإنها تختنق وتصبح غير مثمرة ، وهذا الدرس قد أكده المسيح في أحد أمثاله (متى ١٣:٧و٢٢، مرقس ٤:٧و١٨و١٩، لوقا ٧:١٤) .

٤ : والآن تتغير الصورة بعض الشيء مع أن الرسالة لا تزال كما هي فعلى الشعب إزالة ذلك الشيء الغريب من القلب ذلك الذي منع كلمة الله من أن تستقر فيه لمدة طويلة (تثنية ١٠:١٦) وقد كان الختان علامة العهد بين الله والإنسان. وفي ضوء عددي (٢و٣) فإن هذا التكريس للرب يجب أن يكون شخصياً بصورة أساسية . و(الغرلة) ترمز إلى الطبيعة الغير متجددة بكل ما فيها من انفعالات موروثة وشهوات . هذا «الإنسان العتيق» أو «اهتمام الجسد» (رومية ٦:٦، ٨:٧. ٨٧) ليس له مكان في حياة أولئك الذين في المسيح (رومية ٨:١٠ــ١٣) .

وقد عين العبرانيون للأعضاء الجسدية الرئيسية أدواراً عاطفية . فالقلب مكان الإرادة والذكاء والأفعال الإرادية ، ولذلك فالدعوة لتغيير القلب كانت بمثابة طلب للتجديد الروحي . وخطورة الاستخفاف بمنحة التجديد الإلهي المبني على التوبة الحقيقية يتضح من غضب الله المريع الذي يشتعل بنار أبدية .

والتطهير الداخلي هو البديل الوحيد للنجاة من الهلاك بالنار. وهذه عقيدة واضحة أيضاً في فكر العهد الجديد (متى ١٣:٤٢و٥٠، ٢٥:٤١، كورنثوس الأولى ٣:١٣ الخ) .

٤ : ٥ــ٢٢ : القضاء آت على يهوذا :

في ضوء الغزو الذي يتوقعه بوضوح (٥ــ١٨) يطالب إرميا بالتوبة والتجديد الروحي في مملكة الجنوب .

٥و٦ : نغمة تحذير واضحة إذ يقترب جيش غير محدد، وتحذير للشعب أن يرجع للأمان في المدن المحصنة، والارتباك والمأساة الحالية تنعكس بوضوح هنا. فبسبب الغزو المتوقع يعلق إرميا أهمية عظمى على التوبة والتجديد الروحي .

والضرب بالبوق كان يدل على حالة من الخطر الداهم (عاموس ٣:٦) ، وحيث أنه من الواضح أن التوبة لم تكن في الحسبان فليس أمام إرميا خيار إلا أن يعلن قرب وقوع الخطر . وبلغة شعرية قوية يصف الانزعاج الذي سوف يعم عندما يكتسح العدو الأرض في دمار بدأ فعلاً من الشمال (إرميا ١:١٤) .

٧ : (الأسد) يمكن أن يمثل أشور وبابل هنا كقوتين مدمرتين للشعوب . وقد رسم الأسد رسماً جميلاً في مخلفات أشور للقرن السادس قبل الميلاد في وقت كان فيه الفن الأشوري في أوجه بينما استعيدت عدة أشكال جميلة للأسود في الرسم بالميناء على الخزف في بابل القديمة .

فقد خرج «المهلك» من مكانه . «ضرب خيامه» ، ولن يسكت حتى يشيع الدمار الشامل في الأرض .

وقد وصف العدو الروحي للمسيحي بعبارات مماثلة (بطرس الأولى ٥:٨) والمقاومة الروحية ممكنة بالنسبة لأولئك الثابتين في الإيمان وهي صفة لم تكن موجودة عند أهل يهوذا في القرن السادس قبل الميلاد .

٨ــ١٠ : إن الأمة الغير تائبة لا يمكن أن تهرب من المصير الذي ينتظرها لأنها ازدرت بالنعمة الإلهية مراراً عديدة . وهناك أيضاً نذر الخطر المتعلقة برسالة الخلاص المسيحية (عبرانيين ٣:٢) لأنه في كلتا الحالتين سيكون هناك البكاء وصرير الأسنان (متى ٤٢:١٣، ١٣:٢٢ الخ). والغزو القادم سوف يقضي على معنويات الشعب تماماً وهو موقف نراه منعكساً في ألواح «لخيش» Lachisho Straca

إن كل القيادات سوف تنهار لأنها قد بنت توقعاتها على السلام والأمان الذي نادى به الأنبياء الكذبة الذين كانوا يساندون الكهنة والطبقات الحاكمة . ولكن إرميا يستطيع أن يرى بوضوح كيف خُدع الشعب تماماً وأنه سرعان ما يدرك بنفسه تلك الحقيقة المرعبة .

ويُظهر إرميا شيئاً من الاحتجاج هنا ، إذ كيف يقبل الله أن يسمح لشعبه أن يظل مخدوعاً إزاء تلك الكارثة المحدقة ، ولكن إرميا يلاحظ بعد ذلك أن

الله لم يترك نفسه بلا شاهد. فبناء على شروط العهد لا يجبر الله الطرف الآخر على الإيمان أو الطاعة، ويدرك إرميا أن الله يعاقب يهوذا المرتد لاحتقاره للمسئوليات الملقاة على عاتقه بناء على العهد . وبهذه الطريقة سوف يصبح خاضعاً للمشيئة الإلهية كما فعل المسيح المتجسد لتمجيد خطة الآب (عبرانيين ٥:٨) .

١١و١٢ : ستأتي ريح لافحة من الصحراء كناية عن الدمار ، وهي إذ تهب فإنها تيبس النباتات وتجعل الوجود الإنساني غير محتمل . وتعبير «بنت شعبي»، وفي الماسورية ترجمت «بنت الشعب» بإضافة الاسمين ، وهذا التعبير الغير عادي يعبر عن إحساس إرميا بصلة الله بإسرائيل ، والريح اللافحة أقوى من أن تكون الريح المساعدة اللطيفة التي يتطلبها المذرّى في وقت الحصاد ، فهي عوضاً عن ذلك لفحة ساخنة من القضاء الإلهي يلتهم الطيب مع الخبيث على السواء .

١٣-١٥ : يتحرك من لدن الرب العدو الذي لا يرحم صوب يهوذا كسحاب يصعد (يوئيل ٢:٢) وبقوات لا حصر لها ساخراً من كل أمل في النجاة وفي مواضع أخرى يشبه العدو بسحابة كما في (خروج ١٦:٣٨) وإشعياء ٢٨:٥، ١٥:٦٦) وبزوبعة، وبالنسور (حبقوق ٨:١) .

وإذا كانت أورشليم تريد أن تنجو فعليها أن تتطهر من كل اثم وهذا يعني إصلاحاً شاملاً للسلوك والأخلاق ، ولا ينفع شيء سوى تطهير الهيكل والأمة بأسرها لأن بيت الآب قد تحول إلى مغارة لصوص (متى ١٣:٢١، مرقس ١٧:١١) . وحيث أن العقاب المتوقع لن يكون شاملاً إلا باستمرار الارتداد فلا يزال هناك بقية من وقت ليهوذا للتوبة والشفاء ، وهذا يوضح أن نبوات الخراب تكون مشروطة دائماً بطبعها ، والدمار القادم يسمع من الحدود الشمالية للأرض (تثنية ١:٣٤) وتردد صداه من نقطة شمال أورشليم بعشرة أميال فقط .

لقد أُعطى الانذار الكافي الآن بقرب وقوع الكارثة . والفعلان المستخدمان في عدد (١٥) يعلنان بوضوح عن ذلك . وإعلان التهديد هو لمجرد إعلانه كخبر و«المناداة» تعني انتشاره بقوة حتى يأخذ الجميع حذرهم .

١٦و١٧ : عبارة عامة تتحدث عن أولئك الذين يقومون «بالحصار» والذين سرعان ما ينشرون قواتهم وهم يزمجرون طلباً لذم بني يهوذا . وسرعان ما تردد المدن المدمرة صدى صيحات انتصارهم وسوف تنتشر خيام العدو في كل الأرض . وسوف تصبح تلك المنشآت مأوى وملجأ للرعاة وأصحاب البساتين لحماية حاصلاتهم أو قطعانهم . وهناك فعل مرتبط بـ «الحراس» (١٧) يرد في (صموئيل الثاني ١١:١٦) عن حصار إحدى المدن .

١٨ : تظهر وطنية إرميا الحقة في الطريقة التي يتحدث بها عن الآلام التي تعرض لها شعبه . فلأنه أحب وطنه باخلاص استطاع أن يعلن بكل شجاعة وموضوعية عن الكوارث التي تنبأ بها . وقد وضع المسئولية عن الكارثة في موضعها الصحيح ، فالاعتراف بأن المصيبة بسبب الأخطاء الشخصية وحدها يجعل الألم الناتج أشد هولاً وأعمق تأثيراً بخلاف احتمال الإنسان للألم وهو بريء . وهذا النوع الأخير من الألم واحتماله بصبر والمتمثل تماماً في موت المسيح مقبول لدى الله (بطرس الأولى ٢٠:٢) .

١٩ـــ٢١ : لم يستطع إرميا احتواء مشاعره أكثر من ذلك ، وصرخ في أسى عميق لمشهد الدمار، لأن (أحشائي) يقابلها (عذابي) في ترجمات أخرى،[1] وفي الفكر العبري فإن الأحشاء هي موطن الانفعالات وفي الأبحاث النفسجسمية قد وصفت أيضاً بأنها الجهاز العاكس لكل العواطف.

(جدران قلبي) في العربية يقابلها (صميم القلب) في ترجمات أخرى أو «خلجات قلبي». وفي عبارة «يئن فيّ قلبي» تشير إلى حالة بدنية مضطربة جداً بسبب هول الصدمة . والخبرة الشخصية للنبي سرعان ما تصبح خبرة الأمة كلها . وقد وردت الكلمة (يئن) أو «يهدر أو يرتعد» في مواضع أخرى مثل (مزمور ٦:٥٩، إشعياء١١:١٦، ١٢:١٧، ١١:٥٩، إرميا٢٢:٥، ٣٦:٤٨).[2] والآن تتوالى الكوارث الواحدة تلو الأخرى ، ولا مهرب لأن كل شيء قد

---

(١) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

(٢) لم ترد الكلمة في الكتاب المقدس في اللغة العربية دائماً بنفس اللفظ في كل هذه المواضع ولكن المعنى واحد وهو الخوف الشديد الذي يجعل القلب يدق دقاً عنيفاً (المترجم) .

دمر في لحظة كما بنار . ويتساءل النبي في شغف عن مدى احتماله للاجهاد النفسي نتيجة تأمله لحال أهل وطنه وهم يهرولون نحو المدن المحصنة طلباً للمأوى ويرتعدون رعباً من صيحات أبواق الانذار لأنه يعلم وقع تلك الصيحات ودلالتها .

٢٢ : إن إعصار الخوف الكاسح له سبب معقول مبني على مزيج من الجهل والغباء . وإذا دام هذا الأخير فلن يلقى سوى الجزاء المناسب الذي يستحقه جيداً . لقد انحرف الشعب تماماً حتى أصبحت كل مهارته في ارتكاب الأفعال الشريرة فقط .

٤: ٢٣-٣١ : صوت الخراب :

في واحدة من أروع الفقرات الشعرية الغنائية في النبوة كلها يمر النبي بتجربة استبصار تتعلق بانصباب غضب الله على يهوذا .

٢٣ : هكذا كان قضاء الله على يهوذا شاملاً (٢٨:٢٣) حتى أن إرميا يفكر لا شعورياً في حالة الفوضى التي كانت عليها الأرض قبل الخليقة (تكوين ٢:١) مع فرق واحد هو أن ما صار «حسناً» وقتئذ سوف يتحول الآن إلى خراب ويباب أمام محضر الله . وهذا الوصف واحد من أعظم المشاهد التصويرية في العهد القديم كله .

وهذا الدمار الذي لا يرحم بسبب الارتداد قد جلب الخراب على الأرض وقد اظلمت السموات حزناً (إشعياء ١٠:٢٤، ١١:٣٤) وهذه الصورة مأخوذة من يوم الدينونة(إشعياء ١٠:١٣، يوئيل ١٠:٢، ١٥:٣، عاموس ٩:٨ الخ) هذا اليوم الذي أتى الآن بكل رعبه ، حاجباً الأنوار السماوية ، جاعلاً الأرض تعود لحالتها البدائية الأولى ، من قحط وخراب قبل انطلاق كلمة الله الخالقة (بطرس الثانية ١٠:٣) .

٢٤و٢٥ : إن الاضطرابات الكونية يقابلها قلاقل أرضية . فالجبال وهي رموز الاستقرار والقوة ترتعد فرائصها أمام جلال الحضرة الإلهية ، وقد هرب

الناس من هول المنظر وحتى الطيور أكثر مخلوقات الله انتشاراً قد ولت هاربة منذ أمد بعيد .

٢٦ : إن الوحشة والخراب كان مذهلاً في مقابل الأرض الخصبة (٧:٢) في أيام سابقة . وأداة التعريف التي تسبق كلمة (برية) والمحذوفة تقارن الأرض بأرض قفر معينة لا حياة فيها كبرية سيناء ، ومع أن غضب الله ممزوج دائماً بالرحمة إلا إن الشعب المختار قد احتال على إحسانه ردحاً طويلاً من الزمن حتى أنهم قد ذخروا لأنفسهم غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة (رومية ٥:٢) ، وهم لم يستطيعوا أن يعرفوا أن لطف الله وإمهاله كان المفروض أن يقتادهم للتوبة (رومية ٤:٢). ولذلك فقد كانوا آنية غضب مهيأة للهلاك (رومية ٢٢:٩) .

وبموجب العهد الجديد فقد صار يسوع هو المنقذ من الغضب الإلهي (تسالونيكي الأولى ١٠:١) والخاطيء المتبرر بدمه سوف يخلص به من الغضب (رومية ٩:٥) .

٢٧و٢٨ : ولئلا يُظن أن ذلك الوحي المكتوب في قالب شعري حماسي هو فيض من الانفعالات الغير منطقية كما لو كان من فم شاعر عاطفي ، يتحدث النبي الآن بنثر جاد لتدعيم الرسالة التي كُلف بتوصيلها للشعب .

ولئن كان الدمار شديداً فإن الله لن يمحق شعبه تماماً ، فنبوات الدمار كانت تحمل في ثناياها الأمل بأن بقية سوف تنجو من الكارثة وهو أمل نادى به الأنبياء الآخرون أيضاً .

ومع ذلك فحتى هذه اللحظة فإن الله لم يتراجع لأن كلمته أكيدة سواء كانت بالدمار (رومية ٢:٢) أو بالبركة (رومية ١٦:٤، بطرس الثانية ١٩:١) .

٢٩ــ٣١ : إن مواطني يهوذا يهربون عند سماع العدو يقترب مختبئين في الغابات والكهوف (إشعياء ١٩:٢) كان رماة القوس يعملون في خدمة الجيوش في بلدان الشرق الأدنى وأقواسهم الأسيوية الدقيقة الصنع جعلتهم محاربين أشداء

يصعب النيل منهم . ويوجه الكلام مرة أخرى إلى أورشليم ولكن هذه المرة تتحلى أورشليم بثياب تدل على حيل أنثوية ، ففي وسط الخراب يرى النبي امرأة متحلية «بالقرمز» وهي كبابل في رؤيا يوحنا اللاهوتي (رؤيا ١٧:٤) كانت مملوءة رجاسات ونجاسات زناها . ولكن هذه صهيون وليست شنعار الآثمة ، بيت كل شر (زكريا ٥:١١) والتي ما تزال تقوم بدور الزانية بعبادة الأوثان .

وفي الساعة الحادية عشر فإن أورشليم تحاول جاهدة أن ترضي الأعداء بإغرائهم على طريقة العاهرات ، ومع أنها حاولت تجميل عينيها بوضع مواد التجميل كالكحل إلا أنها ما زالت غير قادرة على أن تجد نعمة في عيني محبيها .

فالدمار والخراب كنتيجة للخطية أمر محتم لأن صهيون ما زالت تبحث عن عاشقين زناة مثل مصر وأشور (٢:٣٣) بدلاً من التعلق بخطيبها الأمين (٣: ١) .

وبسلوكها في خطب ود عشاقها فإن يهوذا قد أصيبت بمرض قاتل ، وباستخدام تشبيه الولادة المتعثرة فالنبي يصور الأمة وهي تحتضر لاهثة ومتشنجة وهي تفتح ذراعيها قائلة «النجدة ، فقد قتلني القتلة» .

لقد كانت كالفاجر والآن فإن يهوذا تدفع ثمن معصيتها .

٥:١ــ٩ : فساد أورشليم :

يقدر إرميا الآن الضرورة الأدبية لقضاء الله على شعبه كما يرى بوضوح يقينية الإثم والأنانية وفساد الحياة في أورشليم .

١ــ٣ : إن القذارة والفوضى في شوارع أورشليم ما هي إلا عرض من أعراض مرضها الروحي، ويتوقع إرميا أن يرى (ديوجين) اليوناني في بحثه عن رجل شريف ، ولكن لا يوجد أحد سواء في البيوت الخاصة أو في الأماكن العامة في ميادين المدن .

والأحوال التي يراها إرميا تبرر قضاء الله القاسي على الأمة والتي كانت

طرقها في الحياة تنم عن نقيض العدالة والحق بالرغم من نداءات عاموس (عاموس ٥:٢٤) وآخرين ، ومع ذلك فالعفو سوف يمنح للأبرار فهم الذين يحيون بإيمانهم بالله (حبقوق ٢:٤، رومية ١:١٧ الخ) .

واستخدام بني يهوذا لاسم الله في الحلف يعد حلفاً كاذباً لأن حياتهم لا تتفق مع ما تنطق به شفاههم ، فتوافق الإيقاع بين الحياة والشفاه أمر بالغ الأهمية بالنسبة للمسيحي (مزمور ٣٤:١٢، بطرس الأولى ٣:١٠، عبرانيين ١٣:١٥ الخ) .

ظل الله لعدة أجيال يبحث عن نموذج حياة في يهوذا مختلف تماماً لما هو كان موجوداً بالفعل . وبالرغم من العقاب الشديد ظل الشعب سادراً في غيه ، وتكرار النبي ثلاث مرات لرفضهم للتوبة يؤكد عنادهم وأن اثمهم ناشيء عن طبيعة فاسدة دفينة .

ولكن في عصر العهد الجديد فإن محاولة ثلاثية قد بذلت للحصول على تجديد روحي قد حققت استجابة أفضل (يوحنا ٢١:١٥ الخ) .

٤ــ٦ : يميل إرميا لالتماس العذر للفقراء لأنهم بسبب حالتهم الاجتماعية المتدنية يمكن الصفح عنهم لجهلهم ، ومع ذلك فحتى الفقراء من المفروض أن يعرفوا ناموس الله . وعندما يحدث ذلك بين الطبقات العليا فالنبي يعرف إنها بسبب رفض وصايا الله وليس بسبب الجهل بها .فالجميع قد أخطأوا إذ تنصلوا من الالتزام بالناموس وكانوا أشبه بالحيوانات التي قطعت الربط التي تربطها بالنير على رقابها ، وكعبيد للخطية جعلوا أنفسهم أحراراً من بر الناموس (رومية ٦:٢٠)، ولكن إرميا كان يريد أن يحدث العكس تماماً إذ أنه أرادهم أن يتحرروا من الخطية ويصبحوا عبيداً للبر (رومية ٦:١٨) .

ومع ذلك فانشغال بالخطية سوف ينجم عنه دمارها بواسطة الأسود الذئاب والنمور ، تلك الحيوانات التي ترمز للأمم التي كانت تسطو على سرائيل وتنهبه من آن لآخر .

ففي فترة ما قبل السبي كانت الحيوانات المفترسة خطراً حقيقياً في أجزاء

من كنعان (ملوك الثاني ٢٥:١٧). هنا تصور الأمة بأنها لا حول لها ولا قوة كساكن المدينة في غابة من الحيوانات المفترسة ، ولمزيد من الإشارات عن الذئاب والنمور (انظر حبقوق ٨:١، صفنيا ٣:٣، هوشع ٧:١٣).

٧ــ٩ : يردد إرميا القول بأن الله لا يمكن أن يغفر بسهولة لشعبه العاصي لأنهم أهملوا عهده وحلفوا أقساماً بآلهة وثنية وهي ليست آلهة على الإطلاق ، ومن الواضح أنهم اساءوا فهم مصدر نعمتهم ، فمع أن الله قد أفاء عليهم بالكثير إلا أنهم قد فسدوا بدلاً من أن يكونوا شاكرين (تثنية ١٥:٣٢)، وتزاحموا أو جرحوا أنفسهم (في الترجمة السبعينية) في بيوت العاهرات . وهذا يوحي بكل من الزنا الحرفي والارتداد المعنوي في نفس الوقت . إن مثل هذا السلوك اللا أخلاقي ضد مبادىء العهد على خط مستقيم .

وعدد (٨) به بعض الصعوبات، ففي بعض الترجمات «كانوا حُصناً معلوفة في الصباح» وفي هامش إحدى الترجمات «يجرون بحرية» وفي ترجمة أخرى نجد القول «صاروا حصناً معلوفة، فحول سائبة». يقرب من هذا في الترجمة العربية «صاروا حصناً معلوفة سائبة» . إن إرميا يوضح بأن الله سوف يفرض عقاباً صارماً على مثل هذا الفساد الشنيع . وفي العهد الجديد فإن العاهرين والزناة سوف يواجهون نفس المصير (أفسس ٥:٥، عبرانيين ٤:١٣) لأنهم خالفوا ناموس الله الأخلاقي .

٥:١٠ــ١٩ : دعوة للمخرِّب :

إن حالة خداع النفس التي كانت عليها الأمة مصورة تصويراً بديعاً هنا. فقد كانت يهوذا لا تعرف الكثير عن ذلك الشعب الشره الآتي من الشمال والذي سوف يبتلع محاصيلها وأرضها وشعبها وحصونها، إذ ينفذ قضاء الله عليها .

١٠و١١ : مع أن يهوذا هو كرمة الله (إشعياء ٥:١ــ٧)، إلا أن الكرام السماوي يسمح للعدو أن يدخل ويسلبها ولكن الدمار لن يكون شاملاً (إرميا ٢٧:٤) مع أن كرمة الرب المشتهاة سوف تشذب بقسوة . إن «أغصان» الكرمة لم تحمل ثمار البر ولذلك فإنها سوف تحرق بينما سوف يتم إنقاذ الجذع.

وقد ألمح المسيح إلى هذا المثل بلطف في (يوحنا ١٥: ١ـــ٦) فإسرائيل ويهوذا قد فصلا أنفسهما عن مصدر الحيوية بعدم أمانتهما ، وهكذا فإنهما لا يمكن أن يكونا مثمرين كأغصان لأنهما لم يثبتا في الكرمة ، ونتاجهما ليس ثمار التوبة (متى ٣: ٨، لوقا ٣: ٨)، بالرغم من كل نصائح خدام الله العاملين في الكرم ، ولذلك فإنهما لا يمكن أن يتوقعا سوى الدينونة الرهيبة .

١٢ـــ١٤ : إن حالة خداع النفس التي كانت عليها الأمة مصورة تصويراً بديعاً هنا. فالشعب وهو ينسى أن الله غيور لا يتغاضى عن حقوقه (خروج ٢٠: ٥) قد ركز على امتيازات انتسابهم للعهد على حساب المسئوليات الملقاة على عاتقهم ظانين أن العقوبة لا تتفق مع طبيعة الله المحب . ونتيجة لذلك فقد سخروا من نبوات الكوارث (صفنيا ١: ١٢) معتبرين أن الأنبياء ليسوا سوى رجال أقوال لا أعمال ، وليس لكلمتهم سلطان مستمد من قوة عليا ، وتمسكوا بدلاً من ذلك بالأقوال اللينة للأنبياء الكذبة . وهكذا اكتمل خداع الأمة حيث أنهم لم يستطيعوا التمييز بين خدام الله الأمناء وبين أنبياء البعل .

مثل هذا الموقف يتطلب كلمة خاصة من إرميا إلى يهوذا ، ومن ثم فإن الله سوف يجعل الرؤى النبوية «ناراً» في فم إرميا ، ويجعل الأمة «حطباً» سوف يحترق عند ملامسته للنار. وهناك تماثل تام هنا بين كلمات النبي وكلمة الله إلى يهوذا كما كان الحال مع المسيح (يوحنا ٣: ٣٤ الخ) .

١٥ـــ١٧ : الغازي الغير محدد راسخ وقوي كالجبال والأنهار (سفر العدد ٢٤: ٢١، تثنية ٢١: ٤). وهو يتكلم لغة أجنبية وغريب في ثقافته وديانته .

وربما تطلب يهوذا من هذا الغازي الرحمة ، إلا أن حاجز اللغة سوف يمنع صرخاتها من أن تجاب لأنها ستكون غير مفهومة ، وسهام العدو لن تشبع كالقبر (مزمور ٥: ٩) حتى تبيد الشعب وتجعل الأرض خراباً .

١٨و١٩ : الوعد الذي في (٤: ٢٧) متكرر هنا مبيناً أنه برغم التهديدات التي ضد يهوذا فهناك استبقاء لبقية، والدمار لن يكون شاملاً (إرميا ٣: ١٤). وما آل إليه حال العهد يقدم تفسيراً للكارثة المتنبأ بها ، فقد اختارت يهوذا

إلهاً غريباً ولذا فسوف تجد نفسها مستعبدة لآلهة أجنبية في أرض غريبة وهي نبوءة واضحة عن سبي بابل. والدرس المستفاد هنا أن القيم الروحية ليست محل مساومة من أجل التنصل من العقاب . والمسيحي يُحذر باستمرار أن يتجنب أي مظهر من مظاهر الشر (رومية ١٢:٢، ١٣:١٤، كورنثوس الأولى ٥:١١ الخ) .

٥: ٢٠ــ٣١ : أسباب الكارثة القادمة :

يوبخ إرميا أهل يهوذا ككل لأجل غباوتهم المطبقة ، وعمى بصيرتهم الروحية . لقد استخفوا بشروط العهد ، وكثيرون منهم قد نجحوا على حساب المطحونين والمدوسين الفقراء .

٢٠ــ٢٢ : مرة أخرى يخاطب حاكم الكون الأمة موبخاً إياها لغبائها وعنادها . وإذ يردد صدى ما قاله إشعياء في (٦:٩) فإن إرميا يوبخهم لعدم تبصرهم بما وراء هذا الوجود المادي من عالم آخر ، وقد قام المسيح بنفس النقد للناس في عصره (متى ١٣:١٤، يوحنا ١٢:٤٠) كما فعل أيضاً بولس (أعمال ٢٨:٢٦) وليس ثمة ترابط ضروري بين البصر والإدراك ، والسمع والفهم . والحقيقة أن الشعب غبي كالأشياء التي يعبدها (مزمور ١١٥:٥، ١٣٥:١٥) .

وبينما عالم الله مصمم بحيث يطيع مشيئته بدقة متناهية ، إلا أن شعبه المرتبط به بعهد قد استغل الحرية بطريقة شاذة لانكار وصاياه والانغماس في كل أنواع الفساد متخطياً الحدود التي لا يصح تجاوزها بموجب لوائح العهد .

٢٣ــ٢٥ : والسبب في ذلك هو عناد الشعب (تثنية ٢١:١٨و٢٠)، فالإنسان الطبيعي منهمك في «أعمال الجسد» (غلاطية ٥:١٩ الخ). ومن ذلك يحصد فساداً، والمسيح وحده سبب خلاص أبدي لكل الذين يطيعونه (عبرانيين ٥:٩) ، وبموجب العهد الجديد ، فالمتمردون والعصاة لا يمكن أن يتوقعوا أن يكونوا أحسن حالاً من نظرائهم في العهد القديم. وقوة الله الغير محدودة لا تثير في إسرائيل أي خوف أو امتنان ، وحقيقة سيطرته على الأوقات والفصول

وما لها من تأثير على أحوالهم المادية لم يكن له أي أثر في حياتهم .

بل إن أعظم بركاته قد منعت عنهم بسبب خطيتهم القومية الشاملة .

٢٦و٢٧ : التركيز منصب الآن على طبقة من الناس مدانة منذ أيام عاموس (عاموس ٢:٦ الخ). فهم عالة على المجتمع . ويستخدم إرميا استعارة مأخوذة من الصيد. وعبارة يرصدون كمنحنٍ من القانصين(*) يجب أن تكون «جميعهم يكمنون للدماء» يصطادون بعضهم بعضاً بشبكة (ميخا ٧:٢) . إنهم كالصياد الذي يصيد في أرض الغير ، فيأتي بقفص يحتوى على صيد اليوم ، ولذا فهؤلاء الناس الأشرار يكومون مع الوقت أموالاً طائلة من الحرام . وأن يستغل أحد أعضاء قطيع الله عضواً آخر بهذه الطريقة ، فهذا أمر لم يستطع إرميا أو عاموس أو ميخا تصوره .

وقد أدان حبقوق مثل هذا النشاط (حبقوق ٢:٦و٨). وينصح العهد الجديد بالأمانة في التعامل في كل مجالات العلاقات الاجتماعية (مرقس ١٠:١٩، تسالونيكي الأولى ٤:٦، تيموثاوس ٢:١٠ الخ) .

٢٨و٢٩ : في بلدان الشرق تعد السمنة علامة من علامات الثراء (تثنية ٣٢:١٥، مزمور ٩٢:١٤، أمثال ٢٨:٢٥ الخ) .

وهؤلا الأشرار لم يعرفوا حدوداً لأنشطتهم (ميخا ٧:١٨، عاموس ٧:٨، ٨:٢) وقد أثبتوا بذلك أن الفساد الاجتماعي الذي كان متفشياً في القرن السابق لم يستأصل بعد . فلا يزال الأغنياء يقهرون الفقراء في يهوذا ، وكان من المستحيل على أى إنسان أن يجد العدل في المحاكم . وقد كان ذلك أمراً خطيراً حيث أن ناموس موسى كان يحتوي بنوداً إنسانية كانت تحض الإسرائيليين على العمل لصالح المحتاجين والبائسين . وبسبب خرق الأشرار لتلك المبادىء فإنهم سوف يتعرضون للعقاب .

٣٠و٣١ : ومما زاد الطين بلة مسخ النبوة كما هو الحال مع أنبياء الجماعات

(*) «يكمنون كما يكمن القناصون للطيور» كتاب الحياة (المحرر) .

الوثنية فلأنهم يتنبأون في خدمة (الكذب) أي البعل فإنهم يتنبأون بالكذب .

ومعنى العبارة (والكهنة تحكم على أيديهم)، إما أن تعني أن الكهنة يعملون تحت توجيه من الأنبياء أو أنهم يعملون بناء على سلطتهم الكهنوتية الخاصة، وفي ترجمة أخرى (يضعون يدهم في أيديهم)، والنتيجة العمل دوماً على اشباع العنصر الجسدي في الحياة الدينية المعاصرة. فعند تحريف القيم الدينية والشرعية لا يمكن أن يكون هناك أي نوع من الاستقرار في المجتمع . ويلخص عدد (٣١) خطية الأمة مبيناً أن كلاً من النبي والكاهن في قفص الاتهام وأنهما مدانان بخطية شنيعة ألا وهي عدم الأمانة والتي أحبتها الجماهير العريضة . وكم كان ذلك غريباً على روح العهد حتى أنه يتعين على الأمة تحمل تبعة ذلك من عقاب ، وهو أمر كان يجب أن يكون راسخاً في عقول أهل يهوذا ، لبساطته ، منذ أمد طويل . والتعاليم الكاذبة تزيل ضوابط الناموس الإلهي، وتشجع الاهتمام بالذات والبحث عن المتعة . وهذا ما يميز أهل يهوذا في الأيام الأخيرة ، وهو أمر متنبأ عن حدوثه أيضاً في نهاية العصر المسيحي (تيموثاوس الثانية ٣:١ــ٧ الخ) .

٦ :١ــ٨ : إرميا يرفع صوته بنداء الخطر :

يعلن إرميا أنه متيقن أن العاصمة سوف تسقط قريباً قبل اكتساح العدو ، والهروب إلى برية يهوذا هو الأمل الوحيد الباقي لمن يطلب النجاة بنفسه .

١ : يوجه إرميا تحذيراً لسبطه ، بنيامين ، ليهرب بعيداً عن أورشليم لأن المدينة سوف تحاصر قريباً . وهناك تورية بين كلمتي (ضربة) وتقوع Tekoa لأن لهما نفس الحروف في العبرية . والمراد أن الشعب سوف يكون أكثر أمناً في تلك المنطقة الجبلية على بعد اثنى عشر ميلاً جنوب أورشليم على حدود الصحراء عنه في العاصمة المحصنة . و«علم النار» في الترجمة العربية و«الإشارة» أو «المنار» في ترجمات أخرى كلها تشير لإشارات النار المذكورة في ألواح لخيش ، واستخدام تلك الإشارات كانت طريقة للاتصالات العسكرية في دول ما بين النهرين قديماً وبيت «هكاريم» المذكور فقط هنا وفي (نحميا ٣:١٤) هي رامة راحيل الحديثة على بعد ميلين جنوب أورشليم ، وقد بدأت كارثة الغزو

على المدينة من جهة الشمال .

٢و٣ : «الجميلة اللطيفة» ذكرت في الماسورية بأسلوب استفهامي وعدل قليلاً ليصبح هكذا : «هل قارنتك بمرعى جميل يا ابنة صهيون ؟» فإن ذلك يقود إلى الصورة الرعوية للعدد التالي . والكلمة العبرية (náweh) (مربض) أو (مرابض) (إشعياء ٦٥:١٠، إرميا ٢٣:٣) كانت الكلمة التي يطلقها البدو على المرعى الذي كان يقيم فيه الرعاة وقطعانهم بصفة مؤقتة ، فالرعاة هنا يقصد بهم قادة الجنود الغزاة (انظر ١٢:١٠) يقودون قطعانهم من الجنود نحو مرعى صهيون هذا، وكلهم شغف أن يأكلوا من خيرات المنطقة .

٤ــ٦ : قدسوا في الترجمة العربية جاءت (أعلنوا) في ترجمات أخرى . في بلدان الشرق الأدنى القديم كانت كل أعمال الحرب مقدسة . وكان فريق من المنجمين يسير مع الجيوش الوثنية ليستشير الآلهة بصورة منتظمة ، ويقوم المنجمون بتقديم الذبائح الطقسية قبل اتخاذ قرار ببدء المعركة . وكان الطلب على هؤلاء الذين يتنبأون بالغيب شديداً . وكانت المعارك تبدأ عادة في الصباح حين يكمل الجميع استعداداتهم القتالية المناسبة ، وكانت تستمر دون انقطاع حتى حلول الليل حيث يستريح المقاتلون لنهار اليوم التالي . والهجوم تحت جنح الظلام كان لذلك يعد أمراً غير عادي .

ولو كانت أسلحة محاربة يهوذا ليست جسدية لما هدمت حصونها (كورنثوس الثانية ١٠:٤) . وقد استخدمت في إسقاط أورشليم الوسائل المعتادة للهجوم على حصن ، وما فعله البابليون في القرن السادس قبل الميلاد فعله الرومان عام ٧٠ ميلادية . وما ورد في الـ MT عن «المدينة المعاقبة» يجب أن يستبدل قليلاً ليضاهي ما جاء في الترجمة السبعينية «المدينة النائمة» .

إن مخالفة القواعد المعتادة للحروب كان المصير الذي ينتظر تلك المدينة الغادرة .

٧و٨ : كما تحتفظ ينابيع الماء بالماء في بئر عند مستوى ثابت هكذا الشر ينبع دائماً من أورشليم ، والشرور الاجتماعية السائدة قد أدت إلى فساد أخلاقي

عظيم متمثل في المرض والضرب أي «المرض والجروح» ، وهذه تتطلب اللمسة الشافية من الطبيب الأعظم، ولكن انغماس يهوذا في الشر الذي يفسد أي علاج يرجع إلى رغبة انتحارية . فبينما نرى الله ما زال راغباً في مصالحة الأمة إلا أن الموقف الراهن يجعل ذلك ضرباً من المستحيلات .

والكلمات تجفوك نفسي أو «ارحل عنك» نجدها في الماسورية «انتزع منك» إن الله لا يترك مختاريه طواعية، ولكنه لا يمكن أن يتنكر لطبيعته (تيموثاوس الثانية ٢:١٣) .

٦: ٩ـــ١٥ : نتائج الفساد :

إرميا مدعو للبحث عن أفراد ذوي مستوى أخلاقي رفيع في يهوذا بالرغم من أن هذا العمل ميئوس منه بسبب الفساد الكلي للشعب .

٩و١٠ : لبيان مستوى الدمار الذي يلحق بيهوذا ، وأنه دمار شامل لا يبقى ولا يذر ، يصور إرميا العدو «كقاطف للعنب» يجمع العنب من الكرم ويبحث عن عنب مخبأ يمكن التهامه .

لم يبق لإسرائيل بقية ونفس المصير ينتظر يهوذا أيضاً . ومع ذلك فالوعد في (٤:٢٧) يحمل نبأ خير ، ومع أن نفوس الأغلبية سوف يتم حصادها في المذبحة إلا أنه سوف يتم الإبقاء على عدد قليل . والصعوبة التي يجدها الله في البحث عن مستمع متمثلة في الإشارة إلى الآذان الغلف (١٠) وهي إشارة غير موجودة سوى في (أعمال ٧:٥١) حيث أن الإشارات الأخرى عن الشفاه والقلب ، وكل النداءات ذهبت أدراج الرياح ، لأن الشعب تنقصه البصيرة لفهم كلمة الله (كورنثوس الأولى ٢:١٤) وهكذا فإنهم استخفوا بكل ما هو مقدس .

١١و١٢ : لأن كل المجتمع قد فسد بالاثم فإن غضب الله سوف يصب على كل واحد . وقد كانت الحروب في الشرق الأدنى القديم شاملة في طبيعتها ولذلك فالمدينة المحاصرة والتي تفشل في التصدي للغزاة لا تتوقع إلا الدمار الشامل دون مراعاة للملكية الخاصة أو السن أو الجنس . وفحوى الأعداد

من (١٢ــ١٥) يتكرر في (٨:١٠ــ١٢) بصورة موجزة (وكذلك في تثنية ٢٨:٣٠) ، ورسالة الدمار الصارمة موجهة لخمس مراحل من الحياة مذكورة هنا : الأطفال في لعبهم (زكريا ٨:٥)، والشبان في نواديهم أو جماعاتهم (١٥:١٧)، والرجال والنساء المتزوجون، والكبار ثم الطاعنون في السن . وسوف يحرم أهل يهوذا من كل الأشياء المادية التي أحبوها ،وسوف تنتقل الملكية عنوة إلى ملاّك جدد، وسوف تتغير كل الروابط القديمة التي تربطهم بالحياة عندما تنهار أورشليم أمام غزو العدو .

هذا هو ثمن الاتكال على المادة بدلاً من الثقة بالله الحي ، فأجرة الخطية موت فعلي (رومية ٦:٢٣) لأن الناس قد فقدوا كل أمل لأنهم بلا إله في العالم (أفسس ٢:١٢) .

١٣ــ١٥ : والفساد الشامل للأمة معبر عنه مرة أخرى بأسلوب أدبي ترد فيه عبارة الأطفال والشيوخ للدلالة على تمثيل كل أفراد الشعب . وقد شمل الفساد أيضاً القادة الدينيين مثل عامة الشعب ، وقد أصبحت الخيانة والخديعة ، والمكر، سمة بارزة لطريقتهم في الحياة في تناقض تام مع ما جاء من طموحات في (مزمور ١٣٢:٩و١٦) في هذه اللحظات يجب على الكهنة أن يبكوا على خطايا الأمة (يوئيل ١:٩و١٣، ٢:١٧). وعندئذ يطرد الرب العدو الشمالي (يوئيل ٢:٢٠) . وقد عولج الشرخ الكبير في العلاقة بين الله وإسرائيل علاجاً سطحياً بالوصفات النبوية والكهنوتية بافتراض أن كل شيء على ما يرام بينما الحقيقة تشير لأعراض مرض دفين وخطير (٨:١١) وأشد أنواع الخداع الروحي ضراوة أن تعلن السلام بينما ليس هناك سلام ، وهذه نقيصة القادة الدينيين لعدة قرون ، فقد أدين الأنبياء بنفس اللغة تقريباً في (حزقيال ١٣:١٠). فلا سلام للأشرار (إشعياء ٤٨:٢٢، ٥٧:٢١) لأن السلام لا يأتي إلا عندما يتوج ملك السلام في القلب البشري .

وفي عدد ١٥ تأكيد على أن أهل يهوذا كان يجب أن يخزوا لأنهم «عملوا رجساً» .

٦: ١٦ــ٢١ : تحذيرات أخرى لا تلقي استجابة :

هناك ثلاثة طرق صالحة لم ينتهجها أهل يهوذا ، تتمثل في تاريخ إسرائيل ، والنبوة والناموس . ولذلك فالكارثة التي سوف تأتي عليهم ثمرة لارتدادهم .

١٦و١٧ : وجه النداء للشعب باتباع «السبل القديمة» أي النظام الموسوي فهو أفضل السبل لأنه مجرب وحقيقي ، وفيه يجدون راحة لنفوسهم (مت ١١: ٢٩) مقابل الحزن والأسى بحمل نير الوثنية، ولكنهم رفضوا اتباع هذا السبيل مفضلين بالأحرى التمتع الوقتي بالخطية .

وقد عين الله أنبياءه حراساً للإيمان (إشعياء ٥٢:٨، ٥٦:١٠، حزقيال ٣:١٧، ٣٣:٧، حبقوق ٢:١) وليعطوا انذاراً بقرب وقوع الكارثة الروحية .

وكان الضرب بالبوق علامة للبحث عن مهرب وملجأ (٦:١، عاموس ٣:٦) ولكن برغم كل التحذيرات فقد رفض الشعب الهروب من الغضب الآتي .

١٨و١٩ : والآن سوف ترى الأمم إذلال الشعب الذي اختاره الله . ونهاية عدد (١٨) صعب إلى حد ما ، ويمكن أن يكون هكذا «اعلمي أيتها الجماعة (الأمم) ماذا يحل بهم».(*) هؤلاء الشهود سوف يستمعون إلى الحكم بالدمار ، لأن الأمة قد تجاهلت كلمات الله ورفضت نواميس العهد التي كانت تربطها بالله .

٢٠و٢١ : حيث أن الدعوة للعودة للخبرات الماضية ، لم تأت بنتيجة، فالعالم الآن مدعو ليرى الدفاع عن البر الإلهي . «شبا» في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية (اليمن حالياً) كانت مشهورة في الماضي بلبانها (٧:١)، و«قصب الذريرة» كان من المحتمل أن يكون مصدره الهند ، والشعائر الطقسية بمعزل عن الموقف الأخلاقي الصحيح لا قيمة لها في نظر الله ، وهذه وجهة نظر يشارك فيها أنبياء ما قبل السبي إرميا (صموئيل الأول ١٥:٢٢، إشعياء ١:١١،

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر)

ميخا ٦:٨ الخ) والعقبات التي تواجه الشعب من صنع أيديهم ، وعندما يأتي العقاب لا يمكنهم أن يوجهوا اللوم لله (يعقوب ١:١٣ــ١٥) .

٢٢:٦ــ٢٦ : شخصية الغازي :

يرسم النبي هنا بلغة شعرية قوية وصفاً لغزاة الشمال، فهم فرسان قساة لا يرحمون، وسوف يجلبون سكرات الموت ليهوذا .

٢٢و٢٣ : في لغة مشابهة للغة حبقوق يحذر إرميا ثانية بقرب وقوع الغزو على يد قوة عسكرية شمالية مجهولة (١:١٣ــ١٥) .

ويحث إرميا الأمة مستنكراً تلك البلادة تجاه الخطية بوصف قوي للعدو القاسي الذي لا يرحم والمسلح «بالقوس والرمح» والهدف الوحيد لذلك الجيش القوي هو تدمير الأمة بأسرها .

٢٤ : إن أخبار اقتراب الجيش ترسل نبضات من الفزع تسري في عروق الشعب ، والصراع المقبل سوف يكون غير متكافيء كذلك الذي بين جندي مسلح من هامة رأسه إلى أخمص قدميه وبين امرأة لا حول لها ولا قوة تفاجئها الصدمة فتفقد معنوياتها . ومأساة النساء في الأراضي المقهورة كانت فظيعة وليس من قبيل المصادفة أن يستخدم إرميا هنا التعبير المألوف «ابنة صهيون» ليضيف بعداً جديداً لمشكلة يهوذا .

٢٥و٢٦ : وفي نداء عاجل لمواجهة حقائق المستقبل ، يقدم إرميا صورة حية للأخطار التي توشك أن تحدق بالشعب. فسيشيع عتاد العدو «الخوف من كل جهة» وهو شعار آخر من شعارات إرميا ككلمة سر (٣:٢٠و١٠) وذلك لأن الهاربين يجب أن يتجنبوا الريف والطرق الخلوية . وقبل حدوث خراب آخر لأورشليم تم توجيه النصح لأهلها بأن «يهربوا إلى الجبال» (مرقس ١٣: ١٤، لوقا ٢١:٢١)، وبسبب خطية يهوذا فالوضع الوحيد الذي يمكن أن تتخذه أن «تتمرغ في الرماد» أو «ترش» الرماد فوقها بناء على ما ورد في الطبعة السبعينية .

والموت كان يعتبر كارثة لليهود دائماً ، وعندما يموت الابن الوحيد في عائلة ما فإن الخوف من انقراض نسل الآباء كان يعد أمراً مفجعاً بنوع خاص (عاموس ٨: ١٠، زكريا ١٢: ١٠) .

٦: ٢٧ــ٣٠ : الامتحان الأخير :

ما زال إرميا يبحث عن المعدن الثمين وسط خبث سكان يهوذا . ويتكلم بحزن عن عدم وجود قيمة أخلاقية للأمة كما يراها الآن .

٢٧ : فالقضاء المزمع أن يحل بها قد ذكر وكأنه امتحان (إشعياء ١: ٢٤ الخ) والنبي في هذه العملية هو الممتحن أو كأنه عملية تنقية وتصفية والنبي هو الذي يفحص وينقي، والكلمة (misbar) تعني الحصن أو البرج وهي تمثل شيئاً من الصعوبة ولكن إذا حدث بعض التغيير في اللفظ لتصبح (m'basser) فيمكن أن تعني الفاحص، وهي بذلك تناسب كلمة (ممتحن) وتفسرها.(*)

٢٨و٢٩ : شعر إرميا أن عمله كان مشابهاً لعمل ممحص الفضة (ملاخي ٣: ٣) ولكن واضح الآن أن (ناره) النبوية لم تستطع أن تزيل الشوائب من (الفضة) الخام . وبينما تعود فائدة تنقية «المعدن الخام» على الممحص إلا أن الإرادة البشرية غالباً ما تكون عنيدة صلبة المراس (رومية ١: ١٨ــ٣٢) .

وقد كان يستخدم الرصاص قديماً في عملية استخلاص المعادن كعنصر مساعد ولكن لا شيء يصلح هنا .

٣٠ : بفشل عملية الصقل والتنقية، فكل ما تبقى هو الخبث والزغل بدلاً من الأمة المطهرة (حزقيال ٢٢: ١٨) وباستخدام كلمتين تدلان على الرفض (فضة مرفوضة) ، والرب قد «رفضهم» يلخص إرميا رسالته إلى أهل يهوذا، فلأنهم فضة مرفوضة فالله قد (رفض) أن ينحي عقابهم جانباً والمعدن لا يستحق بذل أي جهد آخر في محاولة التنقية .

(*) إني أقمتك ممتحناً للمعدن ، وجعلت شعبي مادة خام لكي تعرف طرقهم وتفحصها (كتاب الحياة) .

هذا القضاء الأليم له دلالات مخيفة للأشرار الذين ينسون الله في كل العصور (مزمور ٩:١٧، إشعياء ٦٦:٢٤، مرقس ٩:٤٤ــ٤٨) .

٧:١ــ٨:٣ : خطاب الهيكل

هذا الهجوم الشهير على الثقة الشعبية في الهيكل باعتباره الضمان المطلق لعدم سقوط أورشليم كان القصد منه تحويل الأنظار عن العادات الطقسية والتركيز على المطالب الأخلاقية للعهد بالعيش وفق نظام أخلاقي ، لأن إرميا يعتقد أن عدم قابلية الهيكل للهدم ما هي إلا خرافة عمياء، حيث أن وجود المبنى بالنسبة له ليس ضماناً بأن الله سوف يظل وسط شعب وثني ومتمرد . وبدلاً من ذلك فإن النبي يحث سامعيه أن يتوبوا ويسلكوا وفق المثل الأخلاقية للعهد في سيناء وإذ يختبرون التغيير الروحي فإنهم سيدركون المظالم الجسيمة الموجودة في المجتمع المعاصر وقتئذ ، وبدافع الاهتمام النابع من الحب للذين لا حول ولا قوة لهم فإنهم سيشرعون في إصلاح التجاوزات الحادثة بالفعل ولكن إذا رفض أهل يهوذا العودة لله فإن أرضهم سوف تصبح خراباً وهم أنفسهم سوف يذبحون ذبح الشاه .

٧:١ــ٢٠ : تحذير :

١ــ٣ : هذه الكلمة التي صارت إلى إرميا من قبل الرب ، يبدو أنها صارت إليه بعد تبوء يهوياقيم العرش بوقت قصير ــ حوالي عام ٦٠٨ ق.م.، عند ظهور الطقوس الكنعانية مرة أخرى ضمن الطقوس الدينية ليهوذا .

ويصعب أن نشك في صحة هذه الأقوال أو لنفس السبب في رد الفعل من جراء هذه الأقوال وما خلقته من إثارة أو غضبب . وقد ذكر ذلك في (٢٦:٧ــ٢٤) حيث نجد السرد التاريخي لما حدث بهذا الخصوص . لقد كان الهيكل بالنسبة لأهل يهوذا مقدساً لأنه بيت الإله الحي ، ولذلك فهو محصن ضد أي هجوم بسبب هذا الاعتقاد . فمن المفارقات أن يصبح هذا المبنى هو المكان الذي تهاجم فيه هذه الأفكار الخاطئة . ولهذا السبب وقف إرميا عند إحدى بوابات قاعات الهيكل ليضمن أن يسمعه جمهور كبير . (كانت هناك

سبعة أبواب) وكانت رسالته بسيطة ومباشرة : «اصلحوا طرقكم وأعمالكم» (٣) إذا أردتم أن تسكنوا في هذه الأرض . كما نجد الدعوة: «اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا» (٢)، وتعكس كلمات إرميا ما جاء في تثنية (١٢:٧ـ١٥) كما تبين أن الوعود المقدمة هناك كانت تخص أمة تحفظ وصايا الله بأمانة .

٤ : هذا العدد يلخص فكرة الأنبياء الكذبة عن الهيكل ، وهي أن الله لم يعد داود بمملكة دائمة له فقط (صموئيل الثاني ١٢:٧) ولكنه اختار صهيون أيضاً كمقر أرضي له (مزمور ١٣:١٣٢)، ولذلك فما دام الله صادقاً في أقواله فلن يلحق بمكان سكناه أو بكل من احتمى بذلك المكان أي ضرر . لقد اعتقد الأنبياء الكذبة في ذلك القول اعتقاداً راسخاً ، بأنه في ساعة الشدة فإن الله سوف يتدخل مباشرة لإنقاذ صهيون جبل قدسه . ولذلك كانت عبادة الهيكل بالنسبة لهم تعويذة لدفع الشر ، وقد خدعوا الشعب ودفعوهم للثقة في المباني المادية ناسين أن الله يريد أن يجعل هيكله في قلوب البشر (إشعياء ١٥:٥٧، ١:٦١ الخ، كورنثوس الأولى ١٦:٣ الخ) .

٥ـ٧ : قبل أن يطالب الشعب بحقوقه المشروعة طبقاً لمزايا العهد فلابد من إصلاح جذري، فالمظالم الاجتماعية يجب أن تزال، والقائمة المذكورة تشمل أهم تعديات القرن السابع . لقد تجاهل المجتمع الإسرائيلي ما في تشريع موسى من لوائح إنسانية شاملة (تثنية ٢٩:١٤، ١٩:٢٤ـ٢١ الخ) . و«الدم البريء» قد يشير لتلك الجرائم التي ارتكبها يهوياقيم (٢٣:٢٦)، ولكن أساس كل فساد كان عبادة الأوثان بما يصاحبها من قيم باطلة .

٨ـ١١ : تم توجيه ضربة موجعة أخرى هنا إلى اعتقاد أهل أورشليم وثقتهم في الأنبياء الكذبة حيث وصفت هذه المعتقدات بأنها «كلام الكذب الذي لا ينفع» ، فافتراض أن الهيكل غير قابل للاقتحام ليس له أساس في الحقيقة . فالله يطلب تغييراً في الفكر والقلب كأساس للسلام والأمان (إشعياء ٣:٢٦) وليس الاعتقاد الخرافي بتوقير واحترام مبنى حجري أو بقعة مقدسة تقليدياً . والجرائم التي يدونها النبي عبارة عن اعتداء على معظم الوصايا العشر ، وهكذا فإنها تصل إلى مرتبة الرفض التام لنعمة العهد (hesed) . ووسط كل

هذه الشرور الجسيمة لا يزال الشعب ساذجاً لدرجة تصور أنهم سوف ينجون من الدمار المحدق بأداء الطقوس الدينية لقد دنسوا بيت الله بجعله مخبأ لهم فيما بين ارتكاب جريمة وأخرى (مرقس ١١:١٧، لوقا ١٩:٤٦) .

١٢ــ١٥ : هنا تحذير للشعب أن الله يمكنه أن يستغنى عن هيكل أورشليم تماماً كما فعل بالتابوت عندما لم تعد شيلوه مركزاً دينياً (مزمور ٧٨:٦٠، إرميا ٢٦:٦) .

وهكذا يظهر الله مستقلاً عن أي موضع معين ، وغير مرتبط بأي عبادة طقسية معينة . وبالرغم مما تضفيه هذه الأشياء على العبادة من روحانية إلا أنها لا يمكن أن تكون بديلاً مقبولاً عن الإيمان الوطيد بالله الحي .

وهذا الإعلان من جانب إرميا لابد أنه كان يبدو كأسوأ أنواع الهرطقات لدى سامعيه من المؤمنين بالخرافات .

١٦ــ٢٠ : هذا الجزء يبدو أنه قد اقتحم الكلام عن الهيكل إلى حد ما ، ما لم يكن فاصلاً يرمز للنهاية المأساوية لعدم التقوى والعصيان . والأمر لإرميا بألا يصلي لأجل يهوذا بسبب إصرارهم على عبادة الأوثان والتي يجب أن تقع تحت الدينونة الآن . ويشارك الصغار والكبار على حد سواء في طقوس العبادة (لملكة السموات) وهي بلا شك عبادة الآلهة الأشورية البابلية عشتاروت (٤٤:١٧) ويبدو أنه كانت هناك عبادة شبيهة بذلك في كل من مصر وكنعان .

والكلمة (كعك Kawwánim) ذات أصل أجنبي وردت مرة أخرى في (٤٤:١٩) حيث نجد وصفاً لنفس الطقس .

إن مثل ذلك الفساد المريع الذي خالط إيمان الآباء وشوهه كان لابد أن يخضع لعقاب شديد .

٧ : ٢١ــ٢٨ : الطاعة أفضل من الذبيحة :

٢١ــ٢٤ : كل الذبائح تكون عديمة القيمة إذا تم تجاهل متطلبات العهد

من طاعة ونقاوة أخلاقية ، ولا يقلل إرميا هنا من قيمة الذبيحة في حد ذاتها ولكنه يهاجم الأشرار والمرتدين الذين جعلوا الطقوس هدفاً في حد ذاتها ثم بعد ذلك أساءوا استعمال الفروض الطقسية .

ففي وقت تأسيس عهد سيناء، طلب الله من شعبه إسرائيل أن يكون مطيعاً وأن يعبده وحده، وبعد استيفاء تلك الشروط الأولية وضع الله نظاماً مفصلاً لتقديم الذبائح، وما أشير إليه في عدد (٢٢) لا ينكر أنه كانت هناك ذبيحة في مرحلة البرية ولكنه يبين كم كان جوهرياً بالنسبة لإسرائيل أن يحفظ شروط العهد (عاموس ٥:٢١ــ٢٥)، (هوشع ٦:٦، ميخا ٦:١ــ٨، إشعياء ١:١٠ــ١٧) . لم يكن إرميا يرى أن تقديم الذبائح مقصود لذاته بل يجب أن تقدم عن قلب تائب . وقد تأيد رأيه عندما لمس تقهقر وارتداد المجتمع في عصره. فالطاعة واجبة على شعب العهد الجديد الذي يسير على مثال المسيح (فيلبي ٢:٨) .

٢٥ــ٢٨ : يذكّر إرميا إصرار الله باستمرار (٧:١٣، ٢٥:٣، ٢٩:١٩، ٣٥:١٤، ٤٤:٤) على توضيح أن هدف الآب أن يقود شعبه بعيداً عن طرق الهلاك ، ومأساة إسرائيل تكمن في أنها تعود لرفضها العنيد لاتباع إرشاده وهداه . والحقيقة التي تاهت عنها هي الإيمان المؤدي للأعمال الصالحة (حبقوق ٢:٤، رومية ١:١٧، غلاطية ٣:١١، عبرانيين ١٠:٣٨) وهذا أمر ضروري لكلا العهدين القديم والجديد (يعقوب ٢:٢٦) .

٧:٢٩ــ٨:٣: دعوة للرثاء

٢٩ــ٣١ : يختتم الخطاب بوصف لخطية يهوذا أو عقابها الأكيد ، فالشعب يجب أن يبدأ البكاء فوراً بجز الشعر (٢٩ وانظر ميخا ١:١٦، أيوب ١:٢٠) لأن الله قد رفضهم كما رفضوه ورذلوه .

إن وضع أوثانهم الكريهة في الهيكل (ملوك الثاني ٢١:٥) كان أعظم إشارة لتدنيس المقدسات، وقد شهد وادي (توفه) (٣١) جنوب أورشليم الطقوس الوثنية لتقديم الذبائح في عصر منسى (ملوك الثاني ٢٣:١٠)، وكلمة (توفة

(Topheth) يحتمل أن يكون مصدرها الكلمة الآرامية (tepat) أي مكان إحراق المحرقة، بيما «ابن هنوم» ربما كان اسم المالك السابق للوادي ، وقد كان حرق الأطفال أحد الطقوس الرئيسية لعبادة (مولك) كما مارسها العمونيون وآخرون ، وقد حرمت تحريماً قاطعاً في ناموس موسى (لاويين ١٨: ٢١، ٢٠: ٢ــ٥) .

ومن أجل وثنيتهم فالإسرائيليون أنفسهم سوف يذبحون على يد الجيش الغازي .

٣٣و٣٤ : هنا تصوير دقيق للعقاب المريع للأمة ، فأن تظل الجثة بلا دفن لتكون طعاماً للكواسر والجوارح أمر كان يثير الرعب للعبرانيين القدامى بنوع خاص ، ويالسخرية فإن مسكنهم المقدس سوف يصبح مقبرة لهم عند تدمير بلادهم .

٨: ١ــ٣ : وما هو أكثر هولاً ورعباً النبوءة القائلة بأن الغزاة سوف ينبشون قبور الموتى من الذين سبق دفنهم من سكان أورشليم . وهذا العمل البربري قد يكون القصد منه إهانة متعمدة للمجتمع ، أو ربما يكون الهدف منه الكشف عن أشياء ثمينة كان يظن أنها دفنت مع الجثث . ويمكن تفسيره أيضاً بأنه تجهيز للزحف قبل الهجوم الأخير على العاصمة ، إلا أن هذا الاقتراح بعيد الاحتمال .

والهدف المقصود من ذلك يبدو أنه تعمد فضح أولئك الذين تعبدوا لآلهة الشمس أو القمر والتي أثبتت أنها عاجزة عن منع ذلك الإذلال الجسيم وإهدار الكرامة التي تعرضوا لها ، وتذكرة أخيرة لأهل يهوذا بأن بقايا الجثث سوف تعمل عمل السماد بالنسبة للأرض ، وسوف يتعرض أغلب الأحياء الباقين على قيد الحياة لمصير أشد هولاً من أولئك الذين هلكوا .

٨: ٤ــ٩: ١ : شعب عاصٍ ووثني

يتحسس النبي في الارتداد المغرور والعنيد لشعبه شيئاً ما مضاداً تماماً للطبيعة . ويستنتج من ذلك أنهم يتعمدون تجميد وتعطيل غريزة الطاعة للأوامر

الإلهية بقصد الانغماس في الطقوس اللاأخلاقية للديانة الكنعانية . ويشعر إرميا بالاشمئزاز من كثرة خطايا يهوذا ويرثى لمصيرها المحتوم .

٤ــ٧ : هذا القسم الشعري الذي يتعامل مع مأساة شعب راضٍ بحالته ومندفع بقوة نحو الهلاك يبدأ بالعزف على أوتار الكلمة (Sûb) (يرتد) و(يرجع) فبينما يتعلم عامة الناس من الأخطاء، إلا أن أهل يهوذا لن يستفيدوا من التجربة بسبب عنادهم وتصلب رقابهم . ومع ذلك فلا يزال هناك وقت لنجاتهم لو تابوا. ولكن المأساة هي أنه بينما تتبع الطيور الدوافع الغريزية للهجرة إلا أن الإسرائيليين يرفضون بإصرار الخضوع لمطالب عهد الحب .

و«القضاء» هو ما يحدده الله سواء كانت غريزة الطيور المهاجرة أو التعليمات المعطاة لإرشاد البشر .

ويعتبر إرميا أنه من الأشياء الغير قابلة للتصديق ، أن يتصرف شعب هكذا بصورة غير طبيعية نحو خالقه .

٨ــ١٢ : تبين هذه الأعداد كيف عمل خدام الطقوس في أورشليم على خداع أمة بأسرها مدعين أنهم ينفذون مهام التوراة في «التعليم» و«التوجيه» . ونجد هنا أول إشارة في العهد القديم «للكتبة» كإحدى الطبقات المهنية . وفي سفر أخبار الأيام الأول ٢:٥٥ نجد القول إنهم منظمون على أساس العشائر أو الطوائف ، وقد كان لهم نشاط كمجموعة في عصر يوشيا (أخبار الأيام الثاني ٣٤:١٣) . وقد نشأوا في عصر موسى وعملوا في العصر الملكي الأول بقيادة حزقيا (انظر أمثال ٢٥:١). وفي القرن السابع ق.م. كان لإسرائيل توراة مكتوبة، وكان العمل الظاهري للكتبة دراسة وتفسير التوراة ولكن كان هناك معلمون ليسوا على قدر وافر من العلم وغير جديرين بهذا اللقب وقد عملوا على تغيير أقوال الكتب المقدسة لهلاك أنفسهم وآخرين أيضاً (رسالة بطرس الثانية ٣:١٦) . قامت الترجمة السبعينية بحذف الأعداد من (١٠ــ١٢) والقريبة الشبه بما جاء في (٦:١٢ــ١٥) ولكن هذا النوع من التكرار ليس غريباً على سفر إرميا .

١٣ــ١٧ : عند حدوث الكارثة لن تتبقى بقية «لا عنب ولا تين» ليحفظ إيمان الأجداد والجزء الأخير عدد (١٣) الماسورية غير أكيد ، ولكنه ربما يكون هكذا «سوف أسلط عليهم من يطأونهم بأقدامهم» كعقاب على خطيتهم.(*) ومع أن أهل يهوذا يقترحون الهروب إلى المدن المحصنة للنجاة إلا أن الله قد كتب عليهم الهلاك والدمار مرموزاً له «بماء العلقم»، والتعاليم المذكورة في عدد (١١) واضح الآن أنها كانت كاذبة تماماً . لقد اكتسحت بالفعل الحدود الشمالية للأرض .

٨ :١٨ــ٩ :١ إرميا يأسف على أورشليم :

هذه الأعداد تبين الألم الدفين الذي اجتاز فيه إرميا إذ تأمل دمار شعبه وحزنه الناشيء عن الصراع بين حبه للوطن وأمانته التامة لوصايا الله .

إن السبي متوقع هنا، إذ يتساءل المنفيون عن سبب مهانة أورشليم ، ولن يكون هناك حصاد لمواجهة المجاعة المتوقعة، ولا أنبياء ، ولا أبرار ، لشفاء داء الأمة . وقد كانت «جلعاد» مشهورة منذ عصر الآباء بيلسانها الشافي (تكوين ٣٧ :٢٥) وهذا النوع من الدواء المذكور هنا غير معروف على وجه التحديد . وليس هناك تحسن في صحة يهوذا لأن روحها لا تزال منهارة .

٩ :٢ــ٢٦ : فساد يهوذا وانحطاطها

يعدد إرميا خطايا شعبه في فقرة من أشد الفقرات حدة وصرامة، ويأسف على الدمار الذي لا بد أن يأتي نتيجة الارتداد المستمر .

٢و٣ : ينتقل إرميا من منظر البكاء الدائم كالينبوع الذي لا ينضب إلى منظر شخص قلق يريد أن يهرب من الفساد . فبالنسبة له فإن البرية أفضل من المهانة في حياة المدينة . ولكن ربما كان من الأفضل أن يكون هكذا «قد

(*) ما جاء في كتاب الحياة يتفق مع الترجمة العربية لعدد ١٣ «وسأبيدهم حقاً ، إذ لا يكون في الكرمة عنب ولا في التينة تين، حتى أوراق الأشجار تذوي وتتساقط، وما أغدقته عليهم من نعم يسلب منهم» (المحرر)

وتروا ألسنتهم كقسي جاهزة ليطلقوا الأكاذيب في الأرض من دون حق إذ أنهم يذهبون من شر إلى شر». إن شر يهوذا مصدره عدم الاهتمام المتعمد بالله (قضاة ٢: ١٠، هوشع ٤: ١).

٤ـــ٧ : إن خيانة يهوذا وعدم ولائها لله جعلت إرميا يدرك أن كل واحد فيهم «يعقب عقباً» كيعقوب (áqob yaqób) (مخادع) وهي كناية للاسم «يعقوب» (تكوين ٢٧: ٣٦) . فالكذب والخداع والخيانة والزنا وعبادة الأوثان كانت خطايا يومية في يهوذا وقد أنهكتهم تلك الانحرافات ، ومع ذلك فقد رفضوا الله الذي كان قد أعلن عن ذاته في التاريخ . ولأجل هذه الخيانة لعهد الحب يجب أن ينالهم العقاب . فليس أمام الله سوى أن يجعل شعبه يجتاز بوتقة الألم .

٨ـــ١١ : إن كارثة شعب مرتد يسرع بخطى واسعة نحو الهلاك تثير أشجاناً عميقة في صدر إرميا ، فهو يصور دمار يهوذا تصويراً بارعاً، فيرسم صورة (المراعي البرية) التي تحترق والتي كانت ترعى فيها الماشية (خروج ٣: ١) وكذلك لهروب الطيور والحيوانات (إرميا ٤: ٢٥) ، ولن يتبقى سوى بنات آوي لتسكن الخرب (١٠: ٢٢، ٤٩: ٣٣، ٥١: ٣٧) ، وهذا المنظر يذكرنا بالمسيح وهو يرثى لمصير أورشليم في عصر لاحق (متى ٢٤: ١ــ٢٨، مرقس ١٣: ١ــ٢٣، لوقا ٢١: ٥ــ٢٤) مع بقاء الأسباب الروحية للدمار في كلتا الحالتين واحدة .

١٢ـــ١٦ : إن البكاء وهروب الحيوانات يكفيان لتحذير الحكماء، ولكن الشعب الذي وصل به عناده، والرغبة في مسايرة العادات الوثنية، بدلاً من السير بموجب فضائل العهد، قاده عصيانه وتمرده إلى الاندفاع نحو الدمار .

وكان على رأس قائمة الآلهة الكنعانية (El) وخليلته عشيرات (Asherat) ومن نسلهما الأسطوري إله الخصب بعل الإله ذو الشهرة الواسعة والذي اعتبر في نصوص بلاد ما بين النهرين كالرئيس الفعلي للديانة الكنعانية . هذه الديانة القائمة على أسس شهوانية تهتكية قد جذبت العديد من أجيال بني إسرائيل .

والآن يوضح إرميا أن شر الآباء يشجع نسلهم على ارتكاب الخطية والتي

تؤدي إلى العقاب (خروج ٢٠:٥) هذا الشر موصوف مجازاً بأنه (افسنتين وماء العلقم). إن أجرة الخطية دواماً هي موت (رومية ٦:٢٣) .

١٧ــ٢٢ : يضرب إرميا على الوتر الحساس في وصف الموت كحاصد عابس الوجه. وفي رثائه على خراب أورشليم يعمق صورة الخراب بدعوته للنادبات المحترفات (١٧) ليصرخن بصوت عالٍ . وهؤلاء كن عادة يتبعن النعش في الجنازات ليصرخن بصوتٍ عالٍ لموت أحد الأشخاص (متى ٩:٢٣). والآن فعليهن أن يتعلمن المعنى الحقيقي للحزن الشخصي لأن الموت قد جاء مطالباً بضحاياه في يهوذا دون مراعاة للسن أو الجنس . وقد يكون في ذلك إشارة لوباء قاتل ناجم عن أهوال الحصار، ولكن ذلك غير مؤكد في فقرة شعرية كهذه .

٢٣ــ٢٦ : في مثل تلك الأحوال المأساوية ، فالراحة الوحيدة التي يعرفها الحكماء هي في رحمة hesed وعدل الله (كورنثوس الأولى ١:٣١، كورنثوس الثانية ١٠:١٧) وكلمة (hesed) شائعة الاستخدام في العهد القديم عن عهد الحب ، وفي ترجمات أخرى «المحبة الصادقة» «الولاء التام» وحيث أن الله يؤكد أمانته مقابل خيانة شعبه ، وفي قول لاحق يقرر إرميا أن بني يهوذا برغم أنهم مختونون في الجسد فإنهم لا يدينون بالولاء القلبي للمبادىء الروحية للعهد في سيناء بعد انغماسهم في الشهوة بدلاً من تمجيد الله جسداً وروحاً (كورنثوس الأولى ٦:٢٠) . وهكذا فإنهم لم يكونوا بأفضل حال من جيرانهم الوثنيين ولذلك لا ينتظرهم سوى العقاب .

وقائمة الأمم المذكورة قد يجمعها تحالف ضد بابل بقيادة مصر ، وقص الشعر مستديراً (إرميا ٤٩:٣٢) كان محرماً في الناموس (لاويين ١٩:٢٧) . والإشارة هنا قد تكون لبعض القبائل العربية التي كانت تفعل ذلك لتكريم (باكوس Bacchus).[١]

---

(١) باكوس هو إله الخمر عند الرومان (المترجم)

١٠:١ــ١٦ : عجز الأصنام

هذه القصيدة تحوي تشهيراً فاضحاً بالوثنية من قبل شخص رأى تأثيراتها السيئة منذ اللحظة الأولى . وقد قيل إن هذه القصيدة من نتاج إشعياء (إشعياء ٤٠:١٨ــ٢٠، ٤١:١٧، ٤٤:٩ــ٢٠، ٤٦:٥ــ٧) بسبب تشابه العبارات بينهما . والمعاني لا تتتابع بسلاسة كما في الأعداد من ٦ إلى ٩، بينما عدد (١٩) والمكتوب بالآرامية قد يكون تعليقاً . وفي السبعينية فإن الأعداد من ٦ إلى ٨ وعدد ١٠ محذوفة تماماً بينما يأتي عدد (٩) بعد الجزء الأول من عدد (٥) في محاولة واضحة لتقديم تتابع للفكرة بطريقة أفضل . ولربما كان إرميا يقتبس أقوالاً مأثورة صاغها إشعياء متعلقة بعبادة الأصنام ، ولكن على أي حال ، فالنبوة ككل تبين أن إرميا كانت له دراية تامة بطبيعة العبادة الكنعانية الفاسدة ، وهكذا لم يكن محتاجاً أن يأخذ شيئاً سواء من اختبار أو من قاموس الأنبياء الذين سبقوه . ولذلك فمن غير المحتمل أن يكون أي واحد غير إرميا هو كاتب هذا الجزء .

١ــ٥ : نرى هنا إيضاحاً للأخطار الناجمة عن السلوك بموجب العادات الوثنية، فمثل تلك المعتقدات غالباً ما تعطي تفسيرات شريرة لحوادث الطبيعة، ويغلب عليها إبعاد العقل عن الحقيقة كما في علم التنجيم . إن عبادة الأصنام تحول ما ينبغي أن يكون اختباراً روحياً إلى حدث مادي ، وتشجع ذلك المشهد المقزز لأناس يعبدون صنعة أيديهم العاجزة عن أن تنفعهم بشيء . وعدد (٥) اللعين يقصد به (خيال المقاتة)، وهي مجرد شكل إنسان من الحطب .

٦ــ١٠ : بينما تستمد الأصنام قيمتها ومركزها من مصادر بشرية فقط فإن إله إسرائيل الحي فريد في كل الممالك «ملك الشعوب» (٧) . والجزء الثاني من عدد (٨) ترجمته ضعيفة حيث يقول حرفياً (باطل تعليم الشجرة نفسها).[١] والمعنى المقصود أن التعليم المأخوذ عن الأصنام[٢] لا يزيد قيمة عن الصنم نفسه ولذا لا يمكن توقع شيء بذي قيمة أدبية أو روحية من مثل

---

(١) «أدب أباطيل هو الخشب» حسب الطبعة العربية (المترجم) .

(٢) يتلقفون العلم من أصنام خشبية (كتاب الحياة) .

تلك المصادر المادية .

(ترشيش) كانت الحد الغربي للعالم القديم ، ربما تكون (Tartessus) ترتيسوس في إسبانيا وقد كانت تمد «صور» بالفضة والحديد والقصدير والرصاص (حزقيال ١٢:٢٧)، (أوفاز)'(دانيال ٥:١٠) غير معروف مكانها ، وق تكون تعبيراً خاصاً بالتعدين المقصود منه «ذهب خالص» (ملوك الأول ١٨:١٠). (Mupaz) أي إبريز، وفي (أخبار الأيام الثاني ١٧:٩) (Zahab tahor)(*)

مهما تكن جاذبية الأصنام إلا أنها من أصل بشري ، ولا يمكن أن تحمل أي نوع من الحيوية كالإله الحي الحقيقي .

١١ــ١٦ : عدد (١١) بالآرامية وقد يحوي قولاً مشهوراً ضد تعدد الآلهة ، ويعتقد بعض المفسرين من اليهود أنه ربما كان جزءاً من رسالة أرسلت إلى (يهوياكين) في بابل تعلمه كيف يحارب الوثنية ، ولكن هذا القول مشكوك في صحته .

وتمثل الأعداد من (١٢ــ١٦) وصفاً شعرياً قوياً للإله الحقيقي الواحد الذي يقوم بعمل الخلق والإبداع (إشعياء ١٢:٤٠ــ١٧) .

تمثل تلك المهام سلطان الله على كل العالم ومكانته في حياة شعبه كالمصدر الوحيد لقوتهم وطمأنينتهم . وقد سقطت عدة كلمات من عدد (١٣) وتحذف الترجمة السبعينية الشطرة الأولى تماماً من عدد (١٣) (انظر إرميا ١٦:٥١ حيث نجد النص كاملاً) و«نصيب يعقوب» ليس سوى الله نفسه ، ومع أن إسرائيل قد رفضه منذ زمن طويل إلا أن الله ما زال أميناً لوعود العهد .

والأعداد من (١٢ــ١٦) متكررة في (١٥:٥١ــ١٩) .

(*) الكلمات العبرية هي نفس الكلمات العربية ذهب طاهر أي غير مختلط بشيء فهو ذهب خالص أو إبريز . (المحرر)

١٠: ١٧ــ٢٥ : اقتراب السبي

إن الكارثة المتنبأ عنها منذ مدة طويلة نجدها الآن على أبواب أورشليم، والمجتمع في يهوذا معرض لخطر الانهيار العاجل . ويتوسل إرميا أن يكون العقاب محتملاً بالنسبة ليهوذا . إن وقت البكاء قد انتهى ، والرحلة المتعبة إلى بابل تبدأ الآن ، ويهوذا مدعو لأن يلتقط كل ما يملك (١٧) ويذهب في الطريق المضني نحو السبي . هذا هو الوقت الذي يطرد فيه الشعب من أرضه وينال جزاءه العادل . وعددا ١٩و٢٠ يعبران بلغة شبيهة بلغة البدو عن الخراب المفزع للأمة على شكل خيمة خربة ، وفشل القيادة «الرعاة» يعتبر السبب الرئيسي للكارثة (٨:٢) ، ولأجل توقع استعادة المجد القديم (اقرأ إشعياء ٥٤: ٢)، والنشاط في بابل (٢٢) يدل على أن خراب يهوذا قد اقترب، وهذا ما دعا إرميا للتوسل إلى الله بتذلل أن يترفق بالإنسان بسبب ضعفه الروحي وعجزه بالتالي عن التغلب على التجربة بثبات والسير باستقامة أمام الله ، ولذا فهو يدعو لتطبيق العقاب الإلهي دون صرامة وبلا غضب شديد (٢٨:٤٦)، فهذا المصير الأخير يجب أن يكون من نصيب الأمم الوثنية التي كانت تعتدي على بني إسرائيل في الماضي بما فيها تلك التي استخدمها الله كعصا تأديب لتنفيذ الغضب الإلهي ، لأنها في انتقامها قد تجاوزت ما أمرها الله به . وأن يحتاج يعقوب لأن يعاقب بمثل هذه الطريقة ، نتيجة مأساوية للتمادي في الارتداد . ومع ذلك فعبيد الخطية ينالون جزاءهم العادل بلا تفرقة (رومية ١: ١٨) .

١١: ١ــ١٢: ١٧ : النبي والعهد

هذا الجزء الهام من النبوة يحتوي على الرسالة الرابعة لإرميا مع خاتمة (١٢: ٧ــ١٧) والموضوع الرئيسي لها تحذير ليهوذا ليكون أميناً على شروط العهد وإلا فإن الأحكام المنصوص عليها سوف تطبق . وقد اقترح تاريخان لهذه الفقرة، الأول ينسبها لعصر يهوياقيم أو ربما قبله بقليل . وهذا التاريخ هو تاريخ انتصار نبوخذنصر على مصر في كركميش عام ٦٠٥ ق.م.، والثاني يرجعها لتاريخ ما بعد اكتشاف سفر الشريعة على يد حلقيا في أيام يوشيا حوالي عام ٦٢١ ق.م. وبالتالي فإنه يربطهما بالإصلاح الديني التالي (ملوك الثاني ٢٣:٢٢) والفكرة الأخيرة مقبولة الآن عموماً من الدارسين . فالإصلاحات

تضمنت عودة لتقاليد ديانة موسى والهجوم المنظم على الطقوس الوثنية .

وطبقاً لما جاء في (أخبار الأيام الثاني ٣٤) فتركيز العبادة في أورشليم كان قد سبق اكتشاف سفر الشريعة وبالتالي تم التوقف عن ممارسة الطقوس الكنعانية الزائفة في المعابد المحلية .

وربما انتهز إرميا الفرصة المتاحة أمامه بقراءة سفر الشريعة على الملأ لجذب انتباه يهوذا لشروط العهد في سيناء ومع ذلك ففحوى ومضمون هذا السفر لا يزال مجهولاً .

١١ : ٢ـ٥ : كان (العهد) هو الاتفاق التاريخي المختوم قبل ذلك بعدة قرون في سيناء والذي تعهد الله فيه بإمداد تلك الأمة الوليدة بكل احتياجاتها المادية والروحية مقابل العبادة الخالصة لله وحده والطاعة . وادعاء إسرائيل بامتلاك أرض الميعاد، كان مرهوناً بقبول العرض، والمصادقة على هذه الشروط (تثنية ٢٩ : ١) واللعنات (عدد ٣) تستنزل على الشخص الذي يتجاهل شروط العهد . والاتفاقات الدولية التي كانت تعقد في بلدان الشرق القديم ، كانت تحوي قسماً خاصاً بالبركات واللعنات المتوقعة الحدوث طبقاً لما سوف يحدث من احترام للعهد أو نكوص عنه . كانت الآلهة الوثنية تستحضر بانتظام لتكون شاهدة على هذه الاتفاقيات، وكانت بالتالي تحترم كوكلاء تنفيذيين .

ولأن إرميا تبنى إصلاحات يوشيا ، فقد تألم لعدم توافق سلوك الأمة مع التزامات العهد في سيناء ، وبعد أن ترك الشعب خلفه (كور الحديد) كإشارة للآلام الحادة للعبودية (تثنية ٤ : ٢٠، إشعياء ٤٨ : ١٠) كان يجب عليه أن يحذر الوقوع فريسة لعبودية أخرى . وقد نبّر إرميا على أن الطاعة كانت في صميم روابط العهد . ويلخص هنا جوهر ذلك الاتفاق معبراً عن موافقته عليه باستخدام العبارة المألوفة (آمين) ، و الموافقة تنطبق أيضاً بالطبع على اللعنات المذكورة في عدد (١٣) كما في (تثنية ٧ : ١٥ـ٢٦). وبينما حفظ الله وعوده (تثنية ٦ : ٣، ١١ : ٩، ٢٦ : ٩) إلا أن الشعب أهمل وعوده .

إن طاعة المسيح العظمى لإرادة الآب (فيلبي ٢ : ٨) تجعل خضوع الفرد

لله أمراً حتمياً ولازماً للنمو في روح المسيح (رومية ٦ :١٣) .

٦ـــ٨ : إن الالتزام بروابط العهد يجب أن يعلن جهاراً نهاراً في كل مكان إذا أراد الشعب تجنب السبي . وعددا ٧و٨ محذوفان من الترجمة السبعينية باستثناء العبارة (فلم يسمعوا) .

وقد كانت الكلمات هي «شروط» العهد التي كانت تصف العقوبات المتعلقة بالإخلال بتلك الشروط. وبالنسبة لإرميا فقد كان يعتقد أن فرض عهد من الخارج لن تكون له فائدة تذكر ما لم يتضمن الموافقة القلبية الكاملة من الأطراف المعنية .

وقد تم الإخلال بشروط اتفاق سيناء في الممارسة العملية لأن بني إسرائيل قد خالفوها بالارتداد . والتجديد الحقيقي الروحي فقط هو الذي يمكن أن يثبت حياة جديدة في العهود التي أضحت شبه ميتة ، وحيث أن ذلك لم يكن متوفراً فما كان من النبي إلا أن يعلن عن قرب وقوع الكارثة .

٩ـــ١٣ : وإذا كانت الأمة قد ثارت ضد نواميس الله إلا أن المؤامرة لم تتخذ صبغة رسمية . إلى هذا الحد كانت طقوس الإخصاب الكنعانية الفاسدة جذابة بالنسبة لهم ، وهكذا كانت الوثنية المترتبة على ذلك في إسرائيل عميقة الجذور حتى بدا كما لو كان الشعب قد تعمد التآمر لنقض شروط العهد ومصاهرة الارتداد .

ويبين عدد (١٠) إن إصلاحات يوشيا كانت مؤقتة ، بينما عدد (١٣) يبين كثرة عدد الآلهة الوثنية وتعدد مذابحها (٢:٢٨) .

لفهم معنى كلمة (الخزى) انظر ما جاء في (٣:٢٤) .

١٤ـــ١٧ : يمنع إرميا من التشفع لأمة وثنية تصر على تكريم بعل . وعدد (١٥) ترجمته غير واضحة . والقراءة المقترحة له كالآتي : «ما عمل حبيبتي في بيتي إذا ارتكبت افعالاً شريرة . هل التعهدات والذبائح تزيل عنك شرك ؟ وهل ستسرين عند وقوع الكارثة ؟»(*)

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر)

إن تقديم الذبائح الطقسية من الواضح أنه لا يمنع المصيبة القادمة ، فالحالة المريعة التي وصل إليها الفساد الأخلاقي لا يمكن إصلاحها إلا بالعقاب. وعدد (١٦) أيضاً يحتاج إلى إعادة صياغة على ضوء ما جاء في الترجمة السبعينية . والإشارة للنار المتقدة (أوقد ناراً عليها) هي إشارة لشجرة أتلفها البرق .

١٨ ــ ٢٣ : تصف هذه الأعداد العداوة التي قوبل بها إرميا من بني جلدته . لقد عاش كهنة عناثوث هناك منذ عصر سليمان (ملوك الأول ٢٦:٢) وأرغمتهم الظروف على التخلي عن وظائفهم الكهنوتية في أورشليم . وربما حقدوا على إرميا بسبب مساندته القوية لإصلاحات يوشيا .

ومع أن الله أعطى النبي إنذاراً إلا أن صلته بأهل عناثوث كانت صلة بريئة تماماً كعلاقة حيوان غير مدرك إطلاقاً لنوايا صاحبه في ذبحه . وقد أثار إرميا كراهية أهل بلده له ، عندما أيد ، وهو ابن كاهن ، القضاء على المذابح المحلية تطبيقاً لتشريعات يوشيا . ولذلك أراد أهل بلده تدمير شجرة النبوة (بثمرها)، وهناك قراءة أخرى تقول «بعصارتها» . وكما قال الرب يسوع لله: «إن أعداء الإنسان أهل بيته» (متى ٣٦:١٠) .

ولكن كل ذلك لم يمنع إرميا من التنبؤ بعد أن أكد له الله أن جميع المتآمرين عليه سوف يزولون ، وطبقاً لقول عزرا (٢٣:٢) فإن ١٢٨ رجلاً فقط من عناثوث عادوا إلى يهوذا بعد السبي .

١:١٢ ــ ٦ : تقدم هذه الأعداد تقريراً رسميا عن مشكلة نجاح الأشرار . فالسؤال القديم هو «لماذا ينجح الأشرار ؟» لا يلقى إجابة مباشرة هنا كما في مواضع أخرى من الكتاب المقدس . وبدلاً من ذلك يتلقى إرميا تعليمات بأن يعد نفسه لهجوم أكبر على إيمانه وشجاعته ، ويبني الموضوع على الفكرة القائلة بأن الله عادل ولا يناقش من جهة أحكامه ، ومع ذلك فهو مطالب بالرد على شكاوي البشر . وصورة الغرس تتضمن بالثبات والاستقرار (إشعياء ٢٤:٤٠، مزمور ٣:١) وتبين أن النجاح ليس أمراً عارضاً بل هو جزء من خطة الله العامة لتلبية احتياجات البشر (متى ٤٥:٥، لوقا ٣٥:٦) ، ومع أن الناس يستخدمون اسم الله مراراً وتكراراً في الحديث إلا أنهم مراؤون في

الحقيقة وبعيدون تماماً عن الله روحياً (إشعياء ٢٩:١٣) كما اقتبس المسيح ذلك القول في (متى ١٥:٨، مرقس ٧:٦) ولذا فشرهم أكثر رعباً حتى مما يتصور إرميا ، وهو يريد أن يعرف إلى متى سوف يظل مثل هذا السلوك بلا عقاب ، حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من حافة اليأس . ويجيب الله عليه بأن آلامه الماضية لا تعد شيئاً في مقابل ما سوف يحدث في المستقبل ، فإن كان يعثر في المنطقة المجاورة لبيته فماذا نتوقع أن يتصرف في أورشليم ؟ .

ويشترك إرميا مع المسيح وبولس ومعظم المسيحيين في أن عليهم أن يواجهوا (اختبار أورشليم) إذا أرادوا أن تكون لشهادتهم تأثير فعال وليس مجرد تأثير محلي محدود .

إن «غابة» الأردن وفي الترجمة العربية «كبرياء الأردن»، وفي ترجمة أخرى «الأحراش الكثيفة». وهي منطقة فيضان النهر وقد كانت مغطاة بنباتات كثيفة (gáôn) وكانت مأهولة بالحيوانات المفترسة بما فيها الأسد الأسيوي في عصور ما قبل السبي (إرميا ٤٩:١٩). وفي الربيع كانت المنطقة تغطى جزئياً (يشوع ٣:١٥). وبداية التجارب التي كانت تنتظره تمثلت في منظر عائلته وهي تصرخ وتصيح وراءه كما لو كان هارباً مطلوب القبض عليه .

٧ ــ ١٣ : يتحدث إرميا هنا عن خراب الأرض المنتظر باستخدام الأفعال في الزمن الماضي، فالإشارة لكوارث مستقبلية كما لو كانت قد حدثت بالفعل ، وقد يفسر ذلك كرد على إرميا بأنه حتى وإن نجح الأشرار في الوقت الحاضر إلا أنهم في واقع الأمر على حافة الدمار ، وكما فعلت عائلة إرميا معه هكذا فعلت الأمة مع الله ، إذ تضج بالعداوة والتحدي ضد الإله الذي تعهد آباؤهم بطاعته . وهكذا استطاع النبي أن يدرك من جديد مقدار حزن وندم إله مضطر أن يرفض شعبه . ويهوذا المتمرد سيصبح ظاهراً للعيان. (كطائر أرقط).[1] والذي يثير ريشه الغير عادي عداء الجوارح الأخرى، ولذا فسكان مملكة الجنوب، لكونهم مختلفين عن الشعوب الأخرى، سوف يهاجمون، وهكذا

---

(١) كطائر جارح منقض . (كتاب الحياة). وجاء في الترجمة العربية بجارحة ضبع .

يتبدد نصيبي (أي نصيب الله)، والرعاة هم القادة (٨:٢) الذين لم يقدموا الهداية الصحيحة ، وسوف يرون وطنهم منهوباً سليباً عندما ينفذ قضاء الله على الأمة .

١٤ــ١٧ : يذكر هذا القسم المصير الذي سوف يلحق بجيران إسرائيل الأشرار بسبب سلوكهم العدواني ، فإذا تابوا فإن سبيهم لن يطول، والإشارة هنا لسوريا وموآب وعمون الذين سوف يعاقبون مع يهوذا على يد عدو مشترك (بابل) . لقد كان النبي يوصل رسالة الله إلى الأمم (١٠:١)، وكأنبياء القرن الثامن ق.م. فقد عرف إرميا أن الله هو المهندس الأعظم وقاضي الأرض ، ومع ذلك فهو يشير إلى الشعوب الوثنية بنوال بركات العهد لو أنهم فقط نبذوا آلهة البعل وحلفوا بالإله الحي ، وكون النبوة مشروطة ملحوظ في الأعداد من (١٥ــ١٧) والتي تعيد في نفس الوقت تكرار الوعود في تثنية ٤و٢٩و٣٠ .

١:١٣ــ٢٧ : خمسة إنذارات

الأعداد (١٨و١٩) قد يعود تاريخها لعام ٥٩٧ ق.م. (ملوك الثاني ٨:٢٤و١٢) والبقية لحوالي عام ٦٠٠ ق.م.، والأمة التي كان يجب عليها أن تعيش في صلة روحية وثيقة بالله من الواضح أنها قد فسدت وضلت بتأثير الديانة الوثنية .

وقد صار مستوى إدراك يهوذا الروحي متدنياً لدرجة مفزعة ، وقد سادت الكبرياء البغيضة والعناد كل مناحي الحياة في المجتمع ، فنتج عن ذلك أمة عاصية مرتدة تندفع بكل ثقلها نحو الدمار .

١ــ١١ : الانذار الأول :

يفهم من المثل العملي «لمنطقة الكتان» التي لم تعد تصلح لشيء أن عبادة الأوثان بما يصحبها من فساد أخلاقي سوى تذمر الشعب . لقد كانت الأمة مرتبطة بالله ارتباطاً وثيقاً في الأيام الغابرة ، ولكن بسبب الإرتداد الحالي فقد فسدت والآن سوف تنبذ وتطرد ، والرمز النبوي مأخوذ من استخدام الأدوات في الحياة اليومية . (فالمنطقة) كانت قطعة مألوفة من الملابس تلتصق

بالجسم أسفل الوسط، ولو غمرت في الماء فإنها تصبح رخوة وتفقد ميزتها في شد الجسم . وهذا يرمز إلى أن الأمة يجب أن تُحفظ من كل التأثيرات الضارة . وإذا كانت (Perath) (بيراث) هي نهر الفرات الحرفي ، تمثل أرض السبي ، لكانت هي الأرض التي ذهب إليها إرميا في رحلة لا تقل عن خمسمائة ميل . وإلا فالإشارة تكون لمدينة (الفارة) المذكورة في (يشوع ١٨:٢٣) على بعد حوالي ثلاثة أميال إلى الشمال الشرقي من عناثوث الواقعة على وادي فارة الجديد .

و«شق الصخر» قد تكون في منطقة «كركميش» إذا كان إرميا قد زار نهر الفرات فعلاً . والمنطقة التالفة تبين أن يهوذا المتكبر سوف يتم إخضاعه وعقابه لوثنيته . لقد أراد الله أن يتعلق به يهوذا في ولاء وإخلاص . ولكن بدلاً من ذلك فقد اختط لنفسه طريق الهلاك عن طريق ارتباطه بالآلهة الوثنية .

١٢ـــ١٤ : الإنذار الثاني :

وهو مثل يتعلق بالزقاق. فالزق (nébel) كان أكبر الأوعية الفخارية المستخدمة لحفظ الخمر (إشعياء ٢٢:٢٤، ٣٠:١٤، مراثي إرميا ٤:٢) وربما كان الحديث عن الزقاق والخمر مثلاً شائعاً بين شاربي الخمر في القرن السابع ق.م. ومع ذلك فقد تكون الزقاق رمزاً للشعب السكير نفسه حين تمتلىء بخمر غضب الله الذي لن يقتصر على يهوذا فحسب (٢٥:١٥) . والسكر كان أحد المشاكل الاجتماعية الكبرى في الشرق قديماً عندما كانت أنواع المشروبات المتاحة أقل مما هو متاح في الوقت الحاضر بكثير . ولقد كانت تجلب معها ألواناً عديدة من الشرور كما كان الحال مع نوح (تكوين ٩:٢١ـــ٢٥) ، ونابال (صموئيل الأول ٢٥) وآخرين .

والإفراط في السكر كان شيئاً يميز العبادة الكنعانية الوثنية . والعهد الجديد يحذر من تناول الكحوليات ويطلب من الناس بدلاً من ذلك أن يلبسوا الرب يسوع (رومية ١٣:١٣) وأن يمتلئوا من روح الله (أفسس ٥:١٨) ويتنبر إرمياً بشدة على أنه كما أن الخمر تؤثر في الحكم على الأشياء ، وتعوق الحركة ، فهكذا الكارثة المزمعة أن تحدث ستجعل الناس يتصرفون كأنهم سكارى، عديمو القدرة

على تمييز الصديق من العدو وغير قادرين كذلك على الدفاع عن أنفسهم (إرميا ١٥:٢٥ــ٢٨، حزقيال ٣١:٢٣ــ٣٤، إشعياء ١٧:٥١، مزامير ٣:٦٠) .

١٥ــ١٧ : الإنذار الثالث :

وهو ضد الكبرياء والتعالي على الله. فالمجد يجب أن يعود لخالق إسرائيل ، وليس للبعل. فالأمة مطالبة بأن تلتفت إلى الدروس الرمزية السابق إبرازها. لقد أصبح الشعب كالمسافرين الذين يتخبطون في الظلام الدامس، وهم يحاولون باستماتة أن يصلوا لملجأ في الليل ، والنداء موجه إليهم لكي يرجعوا إلى الله قبل أن يدركهم ظلام الكارثة .

في الفكر الإغريقي فإن (hybris) (خطية الكبرياء) قد أغرت الآلهة أن تميت الشخص المتكبر ، والعهد الجديد قد وضع الكبرياء مع الرذائل الأخرى التي تنبع من داخل الإنسان (مرقس ٢٢:٧)، وجعل التواضع في مقابلها (يعقوب ٦:٤ــ مقتبساً مزمور ٣٤:٣، بطرس الأولى ٥:٥). وقد اعتبر الرسول بولس أن الخاطيء المتكبر من نتاج المجتمع الوثني الفاسد. وهذه فكرة نادى بها إرميا مراراً وتكراراً .

١٨و١٩ : الإنذار الرابع :

وهو رثاء للملك والملكة الأم والملك هو يهوياكين (٢٦:٢٢) و«نحوشتا» (ملوك الثاني ٨:٢٤)، وقد كان الملك ابن ثماني عشرة سنة ومن هنا جاءت أهمية الملكة الأم في الحكم، وفي العهد القديم يذكر اسم الأم فقط بالنسبة لملوك يهوذا وليس بالنسبة لملوك إسرائيل لأسباب غير واضحة وبأمره للشخصيات الملكية أن تنزل من على عروشها ، يقصد النبي أن يوبخها باعتبارها قادة للشعب عدم الاستجابة اللائقة لرسالته . والكلمة العبرية (Negeb) تعني (جاف) ليس (جنوب) مع أن النقب (Negeb) كانت تقع جنوب طريق غزة ــ بئر سبع ، وتندمج في مرتفعات شبه جزيرة سيناء ، وكانت مدن المنطقة تغلق لتمنع دخول اللاجئين الهاربين من غضب الغزاة .

وذكر السبي الكامل (يهوذا كلها) (١٩) مبالغة شعرية حيث أن الذي أخذ

فعلاً إلى بابل هم أولئك الذين في مراكز قيادية والعمال المهرة . ومع ذلك فقد كان هؤلاء ممثلين للأمة كلها .

ومبدأ التمثيل وراء النظام العبري للذبائح كله ، ويوجد أفضل تعبير عنه في عمل المسيح الكفاري على الصليب (يوحنا ١١:٥٠ــ٥٢) .

٢٠ــ٢٧ : الانذار الخامس :

كان آخر تذكار بأن العقوبة هي النتيجة الحتمية للاستمرار المتعمد في الخطية والنص العبري يبرز صعوبات معينة هنا . والكلام في عدد (٢٠) موجه إلى أورشليم وكذلك في عدد (٢١) يستحسن أن تكون هكذا : «ماذا تقولين عندما يعين الله رؤساء عليك من بين أصدقائك (حلفائك) الذين جعلتيهم أنت بنفسك سادة عليك؟»، والمقصود بالطبع أهل بابل الذين كانوا حلفاء موسميين ليهوذا . إنهم كالمؤمنين بالاسم في كل العصور ، لا يصدقون أن كل تلك الكوارث يمكن أن تلحق بهم . ومع ذلك فإرميا يضع اللوم بحزم على أكتفاهم ويتنبأ عليهم بالخزى والفضيحة كمصير العاهرات (١٣:٢٦، هوشع ٢:١٠). والكلمات (عنفاً عقباك) تعبير مخفف ، وهو يعني حرفياً الاغتصاب بالعنف . وعدد (٢٣) يوضح استحالة أن تغير الأمة طرقها الآثمة . ولذلك فعليها أن تتحمل كل العواقب المترتبة على ذلك ، ويا للسخرية أن يحدث ذلك كله على يد نفس الشعب الذي خطب يهوذا وده ! وبسبب انغماس يهوذا في أعمال الظلمة الغير مثمرة فإنها سوف تفضح علناً كالفاجر الفاسد على يد الشخص الذي خطبها لنفسه أولاً في عهد الحب .

ومع أن تلك الكارثة باق عليها عدة سنوات ، إلا أن ظلالها الكئيبة قد وقعت بالفعل على مملكة الجنوب .

١٤ : ١ــ٢٢: الشفاعة والاستجابة في وقت الشدة

في حوار متبادل بين الله وإرميا بالشعر تارة وبالنثر تارة أخرى ، يتوسط النبي بحرارة لأجل يهوذا ، ويحاول أن يتلمس لها الأعذار من أجل سلوكها .

١ــ٦ : قد حدثت فترات من الجفاف بين حين وآخر في فلسطين ، وكان

الجفاف والمجاعة جزءاً من اللعنات المنصوص عليها في العهد (تثنية ٢٨:٢٣) . والفقرة تصف قحطاً استغرق مدة طويلة أو عدة فترات قصيرة متلاحقة من القحط الشديد ذي النتائج المدمرة . وقد أثرت الكارثة على كل الأرض جالبة معها الدمار التام . وكان الناس يغطون رؤوسهم وهم ينوحون (صموئيل الثاني ١٥:٣٠)، وقد توقفت زراعة كل المحاصيل، وهجرت بعض الحيوانات صغارها لنقص الأعلاف . وبالرغم من كل الانذارات الواضحة التي تنم عن عدم الرضا الإلهي . رفض يهوذا أن يتوب ويرجع عن المعصية مقدماً مثلاً صارخاً على أولئك الهالكين في الخطية والغرباء عن عهود الموعد (أفسس ٢:١٢) .

وبرغم إنذارات الله لإرميا بألا يتوسط لديه من أجل يهوذا إلا أن الحزن غلبه من أجل شعبه حتى أنه يصلي لإنقاذهم .

٧ــ١٠ : يدرك النبي أن الاعتراف سوف يؤدي للغفران (يوحنا الأولى ١:٩) وإذا لم تعترف الأمة بخطيتها سوف يقوم إرميا بذلك نيابة عن الأمة . وبينما يصور النبي الله كمسافر وكغريب لا يهتم بسكان الأرض التي يجتاز فيها يرد الله بأنه مصرّ على حقوقه في العهد .

١١و١٢ : يؤمر إرميا ثانية بالامتناع عن الصلاة لأجل يهوذا لأن الله سوف يتجاهل طلباتهم (هوشع ٨:١٣) . السيف .. والجوع.. والوبأ ثلاثية ترد سبع مرات في هذه النبوة .

١٣ــ١٦ : يقوم إرميا بمحاولة فاشلة لشرح ضعفات مواطنيه المخدوعين ، ولكن الله يرد على ذلك بمعاقبة مروجي الأكاذيب، الأنبياء الكذبة ، ويصف أقوالهم «بالرؤى الكاذبة، والعرافة الباطلة، وخداع النفس» (١٤) وهؤلاء الخادعون سوف يكونون أول من يعانون ومن بعدهم كل الشعب الذي سر بالخداع، ومن أقسى ما تعرض له مصير إنسان أن يموت ويظل بلا دفن . لقد تكلم المسيح عن الأنبياء الكذبة في نهاية الأيام (متى ٢٤:١١، مرقس ١٣:٢٢) .

١٧ــ٢٢ : نجد هنا نغمة التضرع مرة أخرى حيث يقف إرميا لأجل

الشعب موقف إبراهيم (تكوين ١٨: ٢٣ـ٣٣) وموسى (خروج ٣٢: ١١ــ١٣) وصموئيل (صموئيل الأول ٧: ٥ــ٩) .

والعبارة الأخيرة من عدد (١٨) غامضة ولكنها قد تعني «أنهما» أي النبي والكاهن قد ذهبا إلى أرض لم يألفاها أو يعرفاها . فكل ما هناك خراب وموت ، وذلك هو العقاب الأليم لعبادة الأوثان . وفي صرخة تنم عن الألم يقر إرميا بطول فترة الارتداد عالماً أنه إذا تخلى الله عن عهد الحب ، فقد ضاع من يهوذا كل شيء .

١٥: ١ــ٩: الجواب الأخير

إن الله قاطع في رفضه تغيير العقوبة ، ومع أن موسى وصموئيل قد نجحا من قبل في الصلاة لأجل إسرائيل الخاطيء (خروج ٣٢: ١١ــ١٤، عدد ١٤: ١٣ــ٢٤، تثنية ٩: ١٨ــ٢٠و٢٥ــ٢٩، صموئيل الأول ٧: ٥ــ٩، ١٢: ١٩ــ٢٥) إذ ضمنا أولاً تعاون الشعب معهما الأمر الذي ما زال إرميا غير قادر على تحقيقه .

١ــ٤ : إن يهوذا المنبوذ روحياً محكوم عليه بوسائل مجهزة من قبل «كالوباً والسيف والجوع والأسر» وعند الذبح سوف تلقى الجثث مصيراً غير كريم بسبب الكلاب وطيور السماء ووحوش الأرض (٧: ١٩، ٣٤: ٢٠) وذلك بسبب عبادة الأوثان الشريرة التي مارسها منسى (ملوك الثاني ٢١: ١٠ــ١٥، ٢٣: ٢٦، ٢٤: ٣) .

٥ــ٩ : لأن أورشليم قد رفضت الله بإصرار وعناد شديدين، فلن يشفق عليها بعد كما في الماضي . لقد هزت يهوذا كحزمة حتى تذرى الريح القش والعصافة ولكن بلا جدوى . لقد ثكلت أورشليم أولادها دون أن يحدث ذلك التأثير المطلوب ، حتى عندما فاق عدد الأرامل رمل البحر (أخبار الأيام الثاني ٢٨: ٦) ووالدة السبعة أطفال (كثيرات . صموئيل الأول ٢: ٥) انهارت من هول الصدمة . وهذه علامة على المصير الذي ينتظر أورشليم المدينة الأم ليهوذا . وهذا القول يذكرنا بكلمات المسيح في (لوقا ٢٣: ٢٨ــ٣١) .

١٥: ١٠ـــ٢١ : الرثاء والاستجابة

هذا القسم الإقراري يلقي ضوءاً على دخيلة نفس النبي ، فهو غريب عن شعبه بسبب شهادته ، ومع ذلك فليس أمامه خيار . إلا أن يعلن كلمة الله لأمة مقاومة ومعاندة . وهو شخص وحيد ، وقلق ومع ذلك فهو يفرح بأن الله يسكن في قلبه .

١٠ـــ١٤ : في عاصفة من العواطف الجياشة يأسى النبي على حظه في الحياة ويتمنى لو لم يولد محتجاً بأنه بالرغم من أنه عاش حياة مستقيمة إلا أن كل واحد يسبه ، وليس هذا بمستغرب، نظراً لهجومه المرير على بني وطنه، ومع ذلك ففي المستقبل وعندما تأتي الفاجعة فسيهرع إليه الذين ناصبوه العداء منذ مدة قصيرة مضت ، طالبين أن يتشفع لأجلهم (٢١: ١ــ٦، ٣٧: ٣، ٤٢: ١ــ٦) . والأعداد من (١١ــ١٤) تبرز مشاكل معينة في النص ويبدو أنها مبنية على ما جاء في (١٧: ١ــ٤) وما جاء في الـ (RSV) فيما يختص بعدد (١١) هو القول «آمين يارب» وفي الترجمة العربية (قال الرب) وهي (آمين) في الترجمة السبعينية . والحديد ذو الجودة العالية «الحديد الذي من الشمال» في القرن السابع ق.م. قد جاء من منطقة البحر الأسود ، وواضح أن القوة الحربية ليهوذا ليست كافية لطرد الجيوش البابلية التي ستجلب الخزى والعار على الأمة .

١٥ــ٢١ : في فقرة شعرية ذات جمال أخاذ يعبر إرميا عن إحساسه بالوحدة المريرة في وسط شعب يلهو ، ويعزي الكثير من آلامه النفسية للباعث الداخلي القوي الذي يدفعه لأن يقف في جانب الله ضد أهل وطنه : وكل خادم أمين من خدام الله يحتمل أن يختبر ضغوطاً كثيرة من هذا النوع ، خاصة إذا كان كإرميا، وكان أعداؤه هم أقاربه (متى ١٠: ٣٦) .

ودرجة الحساسية الفردية تحدد مقدار الألم المتضمن في الاختيار بين العالم أو الله (يعقوب ٤: ٤) فعندما جاءت كلمة الله لإرميا رحب بها بفرح (حزقيال ٢: ٨ــ٣: ٣) ولكن ذلك زاد من عزلته . لقد انفصل عن رفاقه بسبب روح النبوة الساكن فيه وانقطع عن الأنشطة الشعبية بسبب سخطه على الخطية

القومية وفي حزنه يرفض إرميا أن يصدق أن الله «مياه غير دائمة» (عدد ١٨) لا يمكن الاعتماد عليها في حرارة الصيف بسبب تأكيده الوارد في ١٣:٢ . واستجابة الله تؤكد أن المبدأ الأساسي هو الطاعة والتوبة الحقيقية وبذلك يمكن ضمان الغفران والبركة ، ويقف إرميا مرة ثانية أمام الله للخدمة الإلهية (ملوك الأول ١:٢، ١٠:٨) إذا أخرج الثمين من المرذول وبذلك يزيل خبث الوثنية والارتداد .

والوصف (فم) (١٩) الذي يطلق على إرميا بمعنى المتحدث الرسمي يدل على التمييز والاختيار ، (وربما كان في الأصل لقب من الألقاب المصرية الرسمية) لهارون في خروج ١٦:٤، وهكذا كان على إرميا أن يرتفع بمستوى الشعب لمستواه الروحي مع التأكيد بأن الله سوف ينقذه (٨:١و١٨) .

١:١٦-١٣ : الظروف الخاصة المحيطة بإرميا

إن الفكرة الواردة في (١٧:١٥) نجد تأكيداً لها في هذا الأصحاح الذي يفسر السبب الرمزي لتبتل إرميا في ضوء مصير يهوذا .

١-٤ : قد مُنع النبي من الزواج كوسيلة للراحة والشركة كإنذار آخر للشعب فيما يختص بالخراب المقبل ، وبما أن الزواج كان الحالة الطبيعية للحياة لأي ذكر راشد صحيح الجسم من العبرانيين، فإن الامتناع عن الزواج للأسباب المذكورة يصلح كدرس قوي عملي للتوصية بالامتناع عن الزواج (متى ١٩:٢٤، كورنثوس الأولى ٢٦:٧)، والأمراض الخطيرة يبدو أنها كانت وبائية ، والفكرة الغير محببة لتحلل الجثث التي تأكلها الطيور والقوارض تعكس ما جاء في (٣:١٥) .

٥-٩ : الندب (بالعبرية marzeah)[١] يشير للبكاء على الموتى (عاموس ١٦:٥)، ويحرم على إرميا أن ينغمس في مثل هذه الأشياء حيث أنها ستكون في كل مكان في يهوذا ، والإشارة (للخمش)[٢] يقصد بها الإشارة لعادات

---

(١) الكلمة العبرية هي نفس الكلمة العربية مرثية (المحرر) .
(٢) هو جزّ الجلد أو قطعه (المترجم) .

وتقاليد الحزن الوثنية الممنوعة في التوراة (لاويين ١٩:٢٨، ٢١:٥، تثنية ١٤: ١) وفي عدد (٧) «يكسر خبزاً»(*) .

فأصدقاء النائحين كانوا عادة يقدمون طعاماً بعد انتهاء طقوس الجنازة (صموئيل الثاني ٣:٣٥، حزقيال ٢٤:١٧، هوشع ٩:٤) .

وكأس التعزية في العقيدة اليهودية المتأخرة كانت كأساً خاصة من الخمر يشربها رئيس الجماعة في بيت النوح، ولا ذكر لهذه الممارسة في أي موضع آخر في الكتاب المقدس . وسوف يبطل الحزن والفرح على حد سواء على أي حال (رؤيا ١٨:٢٣) .

١٠ــ١٣ : في خداع النفس لا يزال الشعب غير قادر على معرفة أن السبب الحقيقي لمصائبه هو الارتداد، ولكن يتضح ذلك الآن من أقوالهم ولكن بعبارات غامضة مبهمة، فالعهد قد جاء بإرشادات روحية ولكن تلك الوصايا قد أهملوها وضحوا بها على مذبح الوثنية البغيضة، ومثل هذا الرفض لعهد الحب كان يتطلب أشد أنواع العقاب . بينما ما ورد في عدد (١٣) كلمة أرض لا تعرفونها، إلا أن أداة التعريف في الماسورية تبين أن الشعب قد عرف شيئاً عن الأرض التي سيذهبون إليها كأسرى . والإشارة الواردة إلى «آلهة أخرى» تعليق ساخر على فرص الاشتراك في العبادة الوثنية مستقبلاً .

١٦:١٤ــ٢١ : مصير يهوذا

اعتبر بعض المعلقين عددي ١٤و١٥ وهما متكرران تقريباً في ٢٣:٧و٨ كدخيلين على النص الأصلي . ومع ذلك فليس ثمة داع لاعتبارهما في غير موضعهما، حيث أن أنبياء ما قبل السبي كانوا دائماً يمزجون تحذيراتهم وإنذاراتهم بتوقعاتهم لمستقبل أفضل (يوئيل ٣:١٨ــ٢١، عاموس ٩:١١ــ١٥ الخ).

إن يد الله القوية في إنقاذ الشعب وخروجه من مصر سوف تعمل على

(*) ذكرت Lehem أي خبز كما في العربية كما ذكرت Lahem أي لحم أو لأجلهم في ترجمات أخرى .

تحقيق «خروج» أعظم من بابل . ولكن على مواطني يهوذا الذين لا حول لهم ولا قوة أن يحملوا للخارج أولاً قبل إتمام فدائهم . و«القانصون» عدد (١٦) (عاموس ٤:٢، حبقوق ١:١٥، حزقيال ١٢:١٣) سوف يكون من نتيجة عملهم أن القليلين جداً هم الذين سوف يفلتون من الشبكة إلى بر الأمان .

وإيقاع العقاب ضعفين أو العقاب المضاعف (١٨) (misneh) في الماسورية[١] أو «العقاب الملائم» لجعل العقوبة معادلة للخطأ .

وعدد (١٩) يمثل الفكرة الصحيحة عن النبوة من وجهة نظر الاعتقاد بمجيء المسيا .

١٧ : ١ ـ ٨ : الخطية ونتائجها المريرة

يبين النبي هنا أن ارتداد يهوذا محفور بعمق في وجدان الأمة وضميرها ، ولا يمكن التكفير عنه إلا بالتوبة ، ولكن الأفكار الفاسدة للشعب تقف حائلاً في طريق التوبة والغفران . ولذلك فعلى يهوذا تحمل تبعة عصيانها الدائم ضد عهد الحب الإلهي .

١ ـ ٤ : إن يهوذا متورطة في المعصية لدرجة أن خطيتها لا يمكن أن تمحى . وقلم الحديد كان يستخدم للحفر على المسطحات الصلبة (أيوب ١٩:٢٤) رأس من (ماس) ومعروف أن الماس شديد الصلابة. ولم تكوّن الخطية طبقة لا يمكن اختراقها فوق نسيج حياة الأمة فقط ولكنها سادت أيضاً على كل منابع التفكير والإرادة . إن إتمام مطاليب العهد الجديد (٣١:٣٣) تظهر في (كورنثوس الثانية ٣:٢) ما ورد في الماسورية فيما يختص بعدد (٢) يبرز صعوبات معينة ولكنه يمكن أن يكون هكذا «بينما بنيهم يحتفلون بالذكرى عند مذابحهم وسواريهم بجوار الأشجار الخضراء على الآكام المرتفعة» .

«والسواري»[٢] الغابات والأحراش في الـ (AV) كانت تمثل الإلهة الكنعانية

---

(١) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

(٢) السارية عبارة عن شجرة تمثل الإلهة الوثنية تقام بجوار المذبح (المترجم) .

«عشيرة Asherah» المقامة بجوار المذبح عند المعابد ، ومثل تلك الطقوس الوثنية كانت محرمة تحريماً قاطعاً في التوراة (تثنية ١٦ : ٢١) .

وعددا (٣و٤) يبرزان صعوبات في النص ولكنهما ترديد لما جاء في (١٥: ١٣و١٤) . والكلمات «مرتفعاتك للخطية» جاءت في السبعينية في (١٥: ١٣) «كثمن لكل خطاياك»[1] وفي مقابل «وبنفسك» (٤) وفي ترجمة أخرى «حتى نفسك» نجد «حتى يدك»[2] مع تغيير طفيف في الحروف الساكنة . فبسبب الخطية ستنهب الأرض وسيفقد الشعب ميراث .

٥ـــ١٠ : إن الاتكال الكامل على الله كان ضرورياً لاتفاق العهد ، وهنا يذكر إرميا مبدأ عاماً في ضوء معاملات يهوذا السياسية مع بابل ومصر (مزمور ١٤٦ :٣)، والعرعر المذكور في عدد ٦ يشير إلى شجيرة الأثل وهو نبات قصير له مظهر يابس وغير مورق ، ولا يبشر بخير «لا يرى إذا جاء الخير» أو «عندما يأتي الخير سوف لا يراه» لأن جذوره العاجزة لا تمتد إلى مستوى الماء تحت سطح الأرض، والمعنى المقصود ينطبق على الشعب إذ لو كانوا قد عاشوا في شركة الإيمان مع الله لكانوا قد أينعوا كشجرة مغروسة عند مجاري المياه وكلمة (ترى) (Yiré) في عدد (٨) تقرأ (تخاف)[3] (Yirá) وواضح أنها خطأ في النقل لأحد الحروف في العبرية ، فالطبيعة البشرية الغير متجددة تكون في حالة يائسة بدون النعمة الإلهية والموصوفة في عدد ٩ بعبارة (مريضة مرضاً خطيراً)[4] حسب AV. وفي الـ RSV (فاسدة تماماً) وفي الـ NEB، «مريضة مرضاً ميئوساً منه» (١٥ :١٨، ٣٠ :١٢) حيث نجد المعنى في كلمة (عديم الشفاء).

إن كل جيل يحتاج لتجديد النفس بروح وبنعمة الله (يوحنا ٣ :٥) ، (تيطس ٣ :٥) .

---

(١) انظر كتاب الحياة (المحرر)

(٢) في الـ RSV يقول النص حسب اللغة الانجليزية العدد (٤) «سوف ترخي يدك عن ميراثك الذي أعطيته لك واجعلك تخدم أعداءك في أرض لم تعرفها ...» (المترجم).

(٣) انظر كتاب الحياة (المحرر)

(٤) عدد (٩) في اللغة العربية يقول «القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس» (المترجم) .

١١ــ١٣ : إن العقاب مبنى على العدل الإلهي (٢٣:٩) (مزمور ٦٢:١٢، أيوب ٣٤:١١) .

والإشارة لطائر (الحجل) المقصود منه الاعتقاد الشائع بأنه يفقس بيضاً لطيور أخرى ، وكما تطير الصغار بعد ذلك من العش حالما تدرك طبيعة الأم الزائفة هكذا الثروة المكتسبة بالباطل ، تختفي في الوقت الذي يطلبها فيها مالكها للشعور بالأمن .

و(الأحمق) هو المنحرف في تقديره للنواحي الأخلاقية ، وهذا ما نادى به حكماء العبرانيين قديماً .

وعدد (١٢) يمكن أن يكون «عرش مجيد مرتفع منذ البداية هو موضع مقدسنا» . وهذا الرمز لحضور الله يصلح فقط طالما كان شعبه مستجيباً له طبقاً لعهد الحب .

ولفهم تعبير «ينبوع المياه الحية» (١٣) انظر ما جاء في (٢:١٣) .

١٤ــ١٨ : هذا الجزء الشعري اللطيف هوحجة دفاع إرميا . فبما أن الله هو أمل إسرائيل الأوحد ، فمن الطبيعي أن يلجأ إليه النبي طلباً للشفاء واسترداد الصحة والعافية .

في عدد (١٥) حسب الـ RSV (لتأت) يحسن أن تكون هكذا «ياليتها تحدث» وهي عبارة القصد منها التعبير حيث أن نبوات النبي عن الدمار بدا أنها فشلت إذ لم تكن قد تحققت بعد .

وما جاء في عدد (١٦) فيعني أن إرميا لم يكن ليتخلى عن وظيفته النبوية ببساطة لأنهم قد اضطهدوه وبدلاً من ذلك فقد صلى طالباً نعمة خاصة حتى يتحمل كل معارضة له حتى يظهر الحق عندما يرى الكل أنها كانت كلمة الله وليست كلمته تلك التي كان يعلنها بأمانة .

١٧ : ١٩ــ٢٧: خاتمة عن يوم السبت

هذا الجزء النثري القصير يبين مرة أخرى طبيعة نبوات الدمار المشروطة

والتي يمكن أن تلغي إذا لجأ الخاطيء للتوبة الصادقة .

ويوضح إرميا أن الشعب يحمل مصيره بين يديه. وباب الشعب، ليس له مكان معروف ولكن من الواضح أنه كان يستخدم من قبل الأشخاص العاديين خلاف الكهنة واللاويين . وعلى أي حال فالمطلوب أن يضمن النبي أن يسمعه جمهور كبير. و«ملوك» يهوذا كانوا عبارة عن الحاكم والأمراء الملكيين . وبعد ذلك بمدة قصيرة وجد أن إحدى لوحات (لخيش) (اللوح السادس) يسجل شكوى من التأثير الأخلاقي الهدام لبعض الاتصالات المعينة بين تلك الشخصيات الملكية المرموقة (Sárim) على الشعب ككل .

فتدنيس السبت (٢١) كان قد أصبح أمراً شائعاً في تحدٍ لوصايا الله الخاصة بتقديسه . ولو روعيت المباديء الأخلاقية للعهد لتم الإبقاء على أسرة داود الشرعية، ولما أتى من الشمال سوى بعض المهاجرين المسالمين. وبما أن ذلك كله لم يتم فلن يتحقق سوى دمار أورشليم (١٤:٢١، ٢٧:٤٩، ٣٢:٥٠، عاموس ١:٣ــ٥:٢) .

١:١٨ــ١٧ : النبي يزور بيت الفخاري

١و٢ : هذه الفقرة توضح كيف أدرك إرميا نتيجة لمشاهدته للفخاري وهو يعمل في الطين، كيف يشكل الفخاري الأعظم الجبلة البشرية . وكانت صناعة الفخار من الأنشطة المعروفة في كل بلدان الشرق قديماً . لذلك يمكن تعلم الدرس المقدم هنا ليهوذا بسهولة. والمادة المكتوبة هنا ربما يرجع تاريخها إلى الأيام الأولى من عصر يهوياقيم .

٣ــ٦ : إن الطراز العبري للدولاب مزدوج الشكل، فهو عبارة عن حجرين مستديرين على محور واحد . ويدار الحجر السفلي باستخدام قدمي الفخاري . وهكذا كان القرص العلوي يدور والطين الذي يوضع على القرص العلوي كان يشكل باليد أثناء دوران العجلة . وفي عدد (٤) نجد بعض المخطوطات تقول kahómer (كالطين) بدلاً مماورد في الترجمة العربية (bahómer) (من الطين) . والقراءة الأولى تقول «عندما يفسد وعاء كان

يشكله كما يحدث للطين أحياناً في يدي الفخاري...» ومع ذلك فالنص في ترجمتنا العربية يبدو أفضل : يفسد الوعاء الذي كان يصنعه من الطين بيد الفخاري . فقد كان يحدث مراراً كثيرة أثناء عملية تشكيل الطين أن يحدث عيب في التصميم أو الحجم أو الهيكل فيقوم الفخاري بعد ذلك بضغط الوعاء الناتج إلى كتلة غير منتظمة الشكل ويبدأ عمله في تشكيل المادة الخام إلى وعاء آخر مناسب . لقد تأثر إرميا بالسيطرة التي يبديها الفخاري على الطين . ومهما تكن أسباب عدم رضائه عن الوعاء فقد كان يأخذ المادة ويعمل فيها أصابعه حتى تطابق المواصفات التي يريدها . وبنفس الطريقة فالله له مطلق السيطرة على شعبه وسوف يشكل مصيرهم طبقاً لأغراضه (رومية ٩:١٩) .

٧ـــ١١ : ينبر إرميا على سلطان الله على كل البشر (عاموس ٩:٧، ميخا ١:٢ـــ٤ الخ) وإن كان يختلف عن الحكام الأرضيين في أنه بعيد عن التقلب أو التغيير الذي يتصفون به لأنه مرتبط بمباديء معينة تتفق مع إعلانه عن ذاته في سيناء .

عدد (٨) يمكن أن نقرأه هكذا : «ولكن إذا تابت الأمة عن شرها لأني هددتها سوف أغير العقاب الذي قررت أن أوقعه بها» .

والتعبير البشري «يندم» ونسبته لله لا يعني أن الله غير رأيه بل بالحري يعني أن معاملته لإسرائيل تتمشى مع سلوك هذا الشعب المتغير (عدد ٢٣:١٩)، والمسئولية تقع هنا أيضاً على عاتق الشعب نفسه لأنهم هم الذين يحددون مصيرهم ، وفي عدد (١١) نجد الفعل العبري (yôsér) أي (يصدر) وله نفس أصل كلمة (فخاري)، واختيار الفعل هكذا اختيار مقصود وذلك لتدعيم الصلة بين الاثنين . إذن فالأمة سوف تصاغ من جديد عن طريق السبي .

١٢ـــ١٧ : لقد انتهى الأمر بالنسبة ليهوذا (٢:٢٥) والخطية القومية قد حفرت بعمق في وجدان الأمة ، لدرجة أنه لم يعد للتوبة مكان . و«عذراء» إسرائيل (١٤:١٧) كان يجب أن تنأى بنفسها عن الطقوس الوثنية الشهوانية

كما تحفظ الفتاة نفسها عفيفة لزوج المستقبل ، ومع ذلك فقد كان سلوكها مثيراً للسخط في النهاية . وفي عدد (١٤) يربط بعض المترجمين بين (Sáday) (حقل) وبين الكلمة الأكادية (sadu) (جبل)، بينما يرى آخرون أن الكلمة هنا يجب أن تكون سريون (Siryon) الاسم القديم لجبل حرمون (تثنية ٣:٩) وبناء على ذلك فحسب ما جاء في الـ RSV تكون العبارة هكذا «هل يترك ثلج لبنان صخور جبل حرمون؟» أو «هل تخلو صخور جبل حرمون من ثلج لبنان» وإذا كانت كلمة (Sûr) (حصى) بدلاً من (missur) (من الصخر) فالعدد إذن يبدأ هكذا: «هل تخلو الحقول من الحصى؟» ومع ذلك فكلا القراءتين غير مؤكدتين . والفعل (yinnaisu) يحمل الكثير من المشاكل أيضاً . إنه في الغالب يعتبر صيغة من صيغ الفعل (nátas) أي (يقتلع) ومن ثم يمكن أن يقرأ «يقطف» أو «ينتف» ولكن بتغيير وضع حرفين يمكن أن يقرأ (yinnastu) فيصبح «تنشف» من الأصل (násat) والمعنى الأخير هو المفضل لدى الدارسين (كما في ترجمتنا العربية) .

والكلمة (mayim) حرفياً (مياه جارية) بينما الـ RSV قد استبدلت (harim) (جبال) بما جاء في الـ MT (Zarim) لتكون العبارة هكذا «هل تنشف مياه الجبال ، المياه المتفجرة الباردة الجارية؟»، وكل مترجمي هذا العدد مع ذلك قد لجأوا لمحاولة الوصول لأقرب المعاني .

والمعنى المقصود هو أن خطية الأمة غير معقولة في طبيعتها بالمقارنة بما يجري في الطبيعة من قوانين ثابتة ودائمة. ومثل هذا السلوك الغير طبيعي والمرتد من شعب العهد لا يمكن أن يؤدي إلا إلى العقاب، وماجاء في الترجمة العربية (قد أعثروهم) (١٥) يقرأ هكذا (wayyiksiu) مع حذف الـ (M) المتصلة بها ، فالمسافرون سوف يهزون رؤوسهم دهشة لغباء بني إسرائيل بإهمالهم طرق العهد القديمة من أجل عبادة الآلهة الخادعة الباطلة .

والريح الشرقية (١٧) هي رياح «السيروكو» (sirocco) وهي رياح حارة جافة آتية من الصحاري الشرقية (٤:١١، ١٣:٢٤) .

١٨ : ١٨ــ٢٣ : مؤامرة ثانية ضد إرميا

انظر (١١:١٨ــ٢٣، ١٢ ١:١ــ٦، ١٥ :١٠و١٥ــ٢١) أثارت الأقوال النبوية قدراً كبيراً من السخط في الأوساط الرسمية ، فكانت النتيجة تدبير مؤامرة . في هذا الجزء يصلي إرميا بحرارة حتى يُعاقب أعداؤه . والإشارة في عدد (١٨) إلى مشورة الكهنة (في إحدى الترجمات) أو (الشريعة لا تبيد عن الكاهن) في العربية أو الترجمة (سوف يكون هناك كهنة يرشدوننا) . يبدو أنه يوحي بأن الشعب كان مكتفياً وراضياً عن القيادة الفاسدة لكهنتهم وأنبيائهم الكذبة ، ولذلك احتقروا كل ما أعلنه إرميا عن المصير المظلم الذي ينتظرهم واستخدموا رسالته كدليل على اتهامه بالخيانة العظمى .

وعن عدد (١٩) «اصغ لي يارب» نجدها «الصوت أخصامي» . هذه الصرخة القوية للدفاع عن النفس قد اعتبرت غير متفقة مع أقوال إرميا الأخرى لدرجة أنها اعتبرت لكاتب آخر غير إرميا . ومع ذلك فالأمر ليس فقط موضوع كرامة جريحة تطالب بالانتقام. إن إرميا ملتصق جداً بمباديء سيناء لدرجة أنه يهتم بالدفاع عن القضية الإلهية وليس مجرد الدفاع عن أقواله التي تجسد هذه القضية. وهذا يتضح من الأعداد (٢١:٢٣). كلمة النفس (nepes) (٢٠) تعني الذات وليس الروح أو الحياة كما في معظم الترجمات . و(الحفرة) كان القصد منها صيد الحيوانات الضخمة ، وفي استجابة عاطفية يصلي إرميا أن تنزل العقوبات الصارمة بأعدائه وليس بكل الشعب. وبينما تشكل مثل هذه الأقوال إعلاناً مفزعاً عن ضعف إرميا كإنسان إلا أنها تتفق مع اللعنات الأخرى المطلوب استنزالها من الرب (مزمور ١٣٧ :٩) .

ولكن موقف المسيحي تجاه أعدائه يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذلك . (متى ٥:٤٤، رومية ١٢ :٢٠) .

١٩ :١ــ١٥ : الوحي يضرب مثلاً بإبريق الفخاري

المطلوب إعلان هذا القول في مكانين ــ ساحة الهيكل ووادي ابن هنوم .

١ــ٣ : يمكن إعادة تشكيل الوعاء الذي تلف على دولاب الفخاري ،

إلا أن الوعاء الذي يجف لا يمكن تشكيله مرة أخرى ولا يصلح إلا للكسر . والوعاء الفخاري يرمز للشكل النهائي لحالة يهوذا وقساوتها الروحية (رؤ ٢٢: ١١) وكسر الوعاء أمام أعين القوم والكهنة يدل على المصير المحتوم . ووادي ابن هنوم (إرميا ٧: ٣١) يقع جنوب أورشليم وكان مكان عبادة (مولك Molech). وفي عهد يوشيا دمر المعبد واستخدم الوادي بعد ذلك لحرق القمامة وحرق جثث المجرمين . ويمكن أن تكون هذه البقعة الآن هي وادي الربابي ، وباب الفخار (الشرق) في ترجمة أخرى هو المؤدي للوادي . وربما كان المكان الذي توضع فيه الأواني الفخارية المكسورة .

٤ـــ٩ : في أورشليم تدنس بيت الله بالانغماس في الطقوس الوثنية الغريبة على أخلاقيات وجوهر مبادىء العهد .

(ودم الأزكياء) قد يشير لجرائم القتل المذكورة في (ملوك الثاني ٢١: ١٦)، ففي هذا الوادي قتل الناس أبناءهم وحرقوهم حسب طقوس عبادة (مولك) لما كان الأمر يتطلب ذبيحة ذات فاعلية خاصة في حالة طارئة (٧: ٣١) وفي الـ MT فإن كلمة (baqqóti) (سوف أنقض) (٧) تحتوي تورية عن كلمة وعاء (baqbuq) أو «قنينة» ويصير المعنى سوف أفرغ هذه القنينة. وقد يكون النبي قد أفرغ الوعاء رمزياً عندما تفوه بهذه الكلمات . والأهوال التي في (٧: ٣٣) تتكرر هنا لتبيان أن المدينة المدمرة سوف تصبح مرعبة حتى أن من يرونها سوف تنتابهم الكآبة والحزن وهم يصفرون (٨) ومحنة أولئك المواطنين المحاصرين سوف تكون مأساوية لدرجة أنهم سوف يلجأون لأكل لحوم البشر (تثنية ٢٨: ٥٣) . وفي مراثي إرميا (٤: ١٠) تمت النبوة .

١٠ـــ١٣ : إن كسر الوعاء يعد ذروة إعلانات إرميا النبوية . فقد أثبت الوعاء عدم جدواة ولذلك فقد تحول إلى شظايا، وهذا يوضح بصورة ظاهرة مصير أمة خالفت الهدف الإلهي الذي قصده لشعبه «آنية للكرامة» (تيموثاوس الثانية ٢: ٢٠) .

والجملة التي تبدأ بعبارة «يدفنون» محذوفة في السبعينية ومع أن (توفة) نجسة لكنها مطلوبة لكي تضم كل الجثث بسبب الحصار . وسوف تصبح أورشليم

كالمرتفعات في وادي ابن هنوم الذي اعتبر نجساً أثناء حكم يوشيا (ملوك الثاني ١٠:٢٣) .

وأسطح المنازل أيضاً سوف تدمر بسبب دورها في عبادة الأوثان ، والسقوف المسطحة للمنازل الشرقية كان لها عدة استخدامات كما تبين الروايات الكتابية (قضاة ٢٧:١٦)، (صموئيل الأول ٢٦:٩، صموئيل الثاني ٢:١١، نحميا ١٦:٨، متى ٢٧:١٠، أعمال الرسل ٩:١٠)، وقبل السبي كان من الواضح أنها الأماكن المعتادة لعبادة إلهة السماء مثل عشتار (عشتاروث) (٢٩:٣٢)، والنصوص المسمارية المأخوذة من (رأس شمر Ras Shamra) كانت تحوي طقساً يستخدم عند تقديم الذبائح على أسطح المنازل لآلهة السماء وجند السماء (صفنيا ١:٥) .

٢٠:١ــ٦ : إرميا في المقطرة

إن أقوال إرميا المهددة بالعقاب الإلهي ضد أورشليم قوبلت باستجابة فورية مهينة من المسئول عن الهيكل . ومع ذلك فقد سُمي هذا المُضطهِد اسماً يؤكد رسالة الدمار السابق إعلانها .

١ــ٣ : إن جسارة النبي في الوقوف بجوار الهيكل ليوصل رسالة الدمار قد قلب عليه السلطات للانتقام منه انتقاماً فورياً .

«وفشحور بن أمير» كان المسئول الأول عن الهيكل عند قرب نهاية عصر الملكية، «وفشحور وأمير» هنا اسما شخصين، ولكنهما بعد ذلك أصبحا اسما عائلتين (عزرا ٣٧:٢، ٢٠:١٠). ومن الإشارة لفشحور في (١:٢١) و(١:٣٨) يبدو أن الاسم كان شائعاً والمسئول الأول أو الناظر الأول (٢٦:٢٩) كان يبدو أنه التالي في الرتبة مباشرة لرئيس الكهنة فقد كان يعمل على حفظ النظام في منطقة الهيكل ، وكان العقاب عبارة عن ٤٠ جلدة والتي خففت قليلاً وقت بولس الرسول (كورنثوس الثانية ٢٤:١١) خوفاً من التزيد على الحد الشرعي (تثنية ٣:٢٥) (والمقطرة MT (mahpeket) من الأصل (يشوه) كانت عبارة عن هيكل خشبي يوضع فيه المساجين في وضع معوج أو ملتوٍ فينتج

عن ذلك تقلص والتواء في العضلات (٢٦:٢٩، أخبار الأيام الثاني ١٦:١٠) .

وكان المكان عند باب في الجانب الشمالي من الهيكل وليس باب بنيامين — باب المدينة (١٣:٣٧، ٧:٣٨). وبرغم المعارضة من عدة جهات فإن فشحور كان يرى صحة ما ارتكبه وأطلق سراح إرميا بعد إقامة ليلة بكاملها في الحبس، ولو كان يظن أن مثل هذا الصفح سوف يخفف من الرسالة النبوية الصارمة فقد كان واهماً . ومع ذلك فإن النبي كان مصمماً على أن يبقى أميناً للرسالة التي أؤتمن عليها مهما كلفه ذلك .

وفشحور نفسه كان رمزاً للرعب الشامل الذي سوف يعصف بيهوذا حالما يدخل البابليون المملكة الجنوبية . والعبارة (مجور مسابيب) وهي (الخوف من كل جهة) في كتاب الحياة وردت أيضاً في ٢٥:٦، ١٠:٢٠، ٥:٤٦، ٤٩: ٢٩) .

٤—٦ : هأنذا أجعلك خوفاً (RSV) قد توحي بأن فشحور كان قائد حزب موالٍ لمصر في يهوذا . وهذا الموقف سوف ينقلب على رأسه في الأيام التالية . ومع ذلك فالعبارة يمكن أن تكون هكذا : «سوف أسلمك للرعب» ، والكارثة سوف تحدث في أيامه ، وسوف يرى البابليين ينهبون ممتلكات الملك والمواطن العادي سواء بسواء . وأن ينفي خارج وطنه الحبيب (٦) كان مصيراً محزناً حقاً بالنسبة لأي مواطن مخلص لبلده . وقد حدث هذا مع كلٍ من فشحور وإرميا . ويبدو أن فشحور كان قد تنبأ بالكذب (١٤:١٤ الخ) بأن الجاعة والسيف لن يأكلا يهوذا وهو الآن يعاقب على مثل هذه الأكاذيب .

٢٠ : ٧—١٨ : عدم رضاء النبي بنصيبه

هذا قسم شعري رائع يحوي تأملات سيكلوجية غير عادية ليس فقط بالنسبة لإرميا نفسه بل بالنسبة للنبوات الحقيقية عامة بسبب الاكتشاف الذاتي للصراع النفسي العميق . وطبيعة إرميا الحساسة تظهر في رد فعله تجاه السخرية والاستهزاء الذي قوبلت به رسالته . وقد كان موقفه صارماً لأن مهمته النبوية المتأججة كانت تجبره على الشهادة فيما يختص بمباديء العهد برغم أي معارضة

يلقاها من مواطنيه المحبوبين . ولذا فليس من المستغرب بأي حال من الأحوال أن يعبّر التوتر النفسي والصراع الذي يعتمل في داخله عن ذاته على شكل فورات من المشاعر الحادة كتلك التي نجدها هنا .

٧ـ١٠ : لقد أقنع الله إرميا أن يمارس مهمته النبوية ، بينما لو كان إرميا في ظروف مختلفة عن ذلك لعبر عن شخصيته بطريقة مخالفة تماماً . لقد تنبأ إرميا في وقت كانت فيه وجهة النظر السائدة لدى الشعب أن النبوات يجب أن تتم في وقت قصير نسبياً وإلا فإنها تعد نبوات زائفة، ولأن أقوال إرميا ظلت لمدة طويلة دون أن تتحقق، فقد سخر منه الناس عندما كان يتحدث عن المستقبل وأن يحدث ذلك مع شخص حساس بطبعه كان أمراً مربكاً ومسيئاً له بصفة شخصية . والموضوع الرئيسي في رسالة معبر عنه في كلمتين «ظلم واغتصاب» (٨) وقد جلبتا عليه سخرية سامعيه . ومع ذلك فقد كان الدافع النبوي طاغياً لدرجة أنه كلما حاول أن يسكته كانت الكلمات تحرقه كنار داخله تأكل فيه حتى اضطر لإعلانها .

والهمس[١] من كثيرين كان عبارة عن مؤامرات تحاك للقضاء عليه أو استخدام الاسم التهكمي (مجور بسابيب) كناية عن إرميا .

إن أولئك الذين كانوا يريدون أن يمسكوا على يسوع خطأ ما كانوا يتصرفون بنفس الطريقة (مرقس ٣:٢، ١٤:٥٨، لوقا ٦:٧، ١٤:١، ٢٠:٢٠) .

١١ـ١٣ : برغم كل معارضة يلقاها من كل جانب، فإن إرميا يتجاسر لإدراكه أن الله يحارب في صفه كجبار قوي (١١) وهذا يعطيه تأكيداً بالتزكية في النهاية. عدد (١٢) مشابه جداً في المحتوى لما جا في (١١:٢٠) وهذا يعكس سخط النبي على رفض يهوذا لإلهها . في عدد (١٣) ذكر موجز للرجاء والفرح يبدد الكآبة التي تغلب على هذا القسم .

١٤ـ١٨ : تعود الأعداد الباقية مرة ثانية لحالة الاكتئاب العميق موحية بأنه في المستقبل سوف يشتد انعزال إرميا عن شعبه وسوف تستمر يهوذا في

---

(١) وردت هذه الكلمة في الطبعة العربية «مذمة» (المترجم).

ألاعيبها بينما يقف النبي عاجزاً في وسطها إذ يحل بها الدمار . والمدن المذكورة في عدد (١٦) هي سدوم وعامورة وكل مدن السهل الأخرى (تكوين ١٩: ٢٤ــ٢٨) .

ولو أن الجنين في رحم أم إرميا لم يولد لكان رحمها مليئاً إلى الأبد . ومع ذلك فالطبيعة قاسية لا ترحم ، وفي الوقت المعين كان على الطفل إرميا أن يترك الأمان في رحم أمه ويدخل في عالم البشر . وكشخص ناضج فهو محروم أيضاً من نعمة الأسرة ، وعليه أن يواجه الحياة وحيداً متحيراً ليكون موضع سخرية بسبب مهمته النبوية المتأججة في داخله . هذا القسم يصور رجلاً يشكو بصوت عال حظه في الحياة ومع ذلك فهو يظهر الخضوع والولاء والطاعة لإرادة الله .

٢ ــ أقوال تتعلق بملوك يهوذا والأنبياء الكذبة

(٢١:١ــ٢٥:١٤)

كانت الأصحاحات السابقة تتعامل مع الأمور تحت حكم يهوياقيم إلا أن المشهد الآن ينتقل إلى عصر صدقيا (٥٩٧ــ٥٨٧ ق.م.) وإلى إتمام نبوات الدمار .

٢١:١ــ٧ : لجوء صدقيا لإرميا

هذه الفقرة ترجع لوقت كانت فيه أورشليم تحت الحصار ربما بين عامي ٥٨٩ و٥٨٨ ق.م. وهناك حادثة مماثلة تسجل رسالة من صدقيا لإرميا موجودة في (٣٧:٣ــ١٠) . ومع ذلك فلا ارتباط بين الحادثتين، ولكن الأخيرة تشير إلى رفع الحصار المؤقت على يد المصريين قبل أن يركز البابليون ثقل هجومهم على أورشليم . وأحداث عام ٥٩٧ كانت هي البداية، طبقاً لأخبار أيام بابل ، عندما سار نبوخذ نصر الثاني إلى فلسطين وحاصر أورشليم واستولى عليها في اليوم الثامن من آذار (١٦ مارس) مبيناً لأهل يهوذا أن كلمات إرميا كانت هي كلمة الله لهم ، وهكذا تغير الموقف، فرجال الدولة هم الآن

الذين يستشيرون النبي عن مستقبلهم .

١و٢ : فشحور هذا ليس المذكور في (١:٢٠) انظر ما جاء في (صفنيا ٢٥:٢٩، ٣:٣٧)، وربما ذكر شخص آخر يختلف عنه في (٢٤:٥٢)، وقد كانوا متلهفين أن يتوسط إرميا لدى الله راجياً منه أن يرق لحالهم ويجعل البابليين ينسحبون والاسم (نبوخذراصر **Nebukadressar**) والتي كان يستخدمها إرميا عادة منقولة عن الأصل البابلي (**Nabu-kudurri-usur**) وكلمة (**Nabu**) (تعني قد حفظ ميراثي)، والصيغة العبرية المقابلة هي نبوخذنصر (**Nebukadnessar**) قد تكون البديل الآرامي للاسم .

٣ــ٧ : وكان الكلدانيون في الأصل قبيلة شبه بدوية يحتلون المنطقة الواقعة بين شمال الجزيرة العربية والخليج الفارسي والأشوريون في القرن العاشر ق.م. قد أطلقوا على الإقليم المعروف سابقاً باسم (أرض البحر) (كالدو **Kaldu**). وفي القرن التالي اعتبر عدد من رؤساء الكلدانيين عبيداً تابعين للملك (ادادنيراري الثالث Adadnirari ٨٠٥ــ٧٨٢ ق.م.) وفيما بعد أطلق اسم كالديا على بابل ككل (حزقيال ٢٣:٢٣، دانيال ٨:٣) .

وحصار العاصمة لا يزال في مرحلته التمهيدية والذين يقاومون البابليين في يهوذا سيضطرون للتقهقر إلى أورشليم لانتظار مذبحة العدو الأخيرة. وقد عين الله البابليين ليكونوا أدواته لعقاب إسرائيل المعاند (٥) ولا هوادة تنتظر المحاصرين وسوف تضعف مقاومتهم بعد ذلك بسبب وبأ مهلك (٦) وسيقع الناجون أسرى في يد البابليين . ولأن المدينة قد اختارت أن تقاوم المعتدي، فالموت سوف يلحق بالسكان (٧) طبقاً لقواعد الحرب المعمول بها في الشرق وكل المنطقة سوف تنهب كعقاب نهائي على الارتداد .

٢١: ٨ــ١٠ : شروط التسليم للغزاة

إن الحرب الشاملة كما كانت تمارس في الشرق القديم كانت تعني أن المدينة المهددة يمكن انقاذها فقط بالاستسلام للغزاة، وإن كان أهل يهوذا قد فهموا ذلك جيداً إلا أن نصيحة إرميا كانت لا تزال تبدو لهم كما لو كانت خيانة .

وموضوع الاختيار بين طريقتين موجود في (سفر التثنية ١٥:٣٠و١٩)، وفي (متى ١٣:٧ الخ) تكلم المسيح أيضاً عن طريقين وعن الصعوبة التي يجدها عدد كبير من الناس في الوصول إلى الطريق المؤدي للحياة الأبدية . (والحياة) التي نادى بها إرميا كانت تعني الهروب من الموت، والتعبير الوارد هو «تكون له نفسه غنيمة فيحيا» وهو تعبير غير عادي ويتكرر مرة أخرى في (٢:٣٨، ١٨:٣٩) .

وقد يعني أنه كما أن الصياد يقبض على فريسته بسرعة؛ هكذا فإن من يستسلم سيصبح قادراً على انتزاع حياته من بين أنياب العدو، وإلا فإن العدو سوف يأخذها ومع ذلك فالعبارة غير مؤكدة في المعنى . والوعد لباروخ في (٥:٤٥) يوحي بأنه سوف يخرج سالماً .

٢١: ١١ــ١٤ : رسالة لبيت الملك

لأن النبي يعرف أن إتمام النبوة يحتوي على جانب شرطي، فهذه الأعداد تتضمن المحاولة الأخيرة للتوسل إلى الملك ومستشاريه والرسالة مكونة من جزءين. مناشدة (١١و١٢) وإعلان (١٣و١٤) والذي يردد صدى كلمات أنبياء القرن الثامن . فالعدل الاجتماعي، والبر، دعامتان ضروريتان من مبادىء عهد سيناء وتشريعات التوراة . ولا يزال إرميا يمد يده بالرجاء ــ ولكن بلا نتيجة كما أثبتت الأحداث فيما بعد ــ أن إصلاحاً سريعاً في الحياة العامة والخاصة طبقاً لمبادىء ومثل العهد سيكون كفيلاً بتحويل الكارثة المنتظرة بعيداً . والإشارة (للعدالة) وتنفيذها في (الصباح) بالنسبة لملوك ما قبل السبي يعني تنفيذ العدالة قبل اشتداد حر النهار (صموئيل الثاني ٥:٤)، فالملوك مسئولون عن الانحطاط الأخلاقي والاجتماعي للشعب، جنباً إلى جنب مع الأنبياء الكذبة وكهنة العرش، لأن من أسمى مهام الملك تنفيذ العدالة (صموئيل الثاني ٤:١٥).

«ساكنة الوادي»[1] (عدد ١٢) هي أورشليم والتي كان لها وديان من

---

(١) في الطبعة العربية «يا ساكنة العمق» (المترجم) .

ثلاث جهات. وكلمة (yosebet) (ساكنة) صيغة مؤنثة وأصلها (جالس) على أساس ما ذكر في (صموئيل الأول ٤:٤، صموئيل الثاني ٦:٢) بالإشارة إلى الله الجالس على الكروبيم .

٢٢:١ـ٢٣:٨ : الحكم القضائي على بيت الملك

هذا القسم يحتوى على سلسلة من الأقوال المتعلقة بحكام مملكة الجنوب بدءاً من الملك الحالي وقتئذ، وأما التسلسل الأصلي لهذه الأقوال فليس على درجة اليقين .

١ـ٩: مناشدة صدقيا:

من تخوم الهيكل كان على النبي أن يذهب جنوباً إلى السهل الذي يوجد فيه القصر الملكي (١:٣٦ الخ) ويطلب تحقيق المساواة الاجتماعية والعدالة لكل مستويات المعيشة على صعيد الأمة بأسرها، لأن هذا وحده يمكن أن يحول دون وقوع الكارثة الوشيكة. وعندما يتكلم الله مقسماً بنفسه (تكوين ١٦:٢٢، إشعياء ٢٣:٤٥، عبرانيين ١٣:٦ـ١٨) فهو يحتفظ بحقوقه كالمنشيء لروابط العهد .

وكلمات الخراب الخطيرة تذكرنا بقول المسيح فيما يختص بأورشليم بعد ذلك بعدة قرون (متى ٢٨:٢٣، لوقا ٣٥:١٣) لأنها رفضت خلاص الله مرة أخرى.

١٠ـ١٢: مصير شلوم

هذا الملك والمعروف باسم يهوآحاز في مواضع أخرى، اسم أطلق عليه عند تبوئه للعرش وهو أحد أبناء يوشيا والذي خلف والده بعد عام ٦٠٩ ق.م. عندما قتل يوشيا في «مجدو»، وقد حكم لمدة ثلاثة شهور قبل أن يخلعه (نخو) أخذه إلى (ربلة) ثم إلى مصر حيث مات بعد ذلك (ملوك الثاني ٣٣:٢٣ الخ)، (أخبار الأيام الثاني ٤:٣٦) وكان أول قائد ليهوذا يموت في السبي. وقيل له ألا يبكي على أبيه بل بالأحرى على مصيره ومصير مملكته .

١٣ـــ٢٣: اتهام يهوياقيم:

كان هذا الرجل الأخ الأكبر لشلوم الذي خلفه وقد أجبر على دفع جزية باهظة إلى نخو بينما كان الأخير يستعد للهجوم على البابليين في شمال فلسطين. وكان يهوياقيم ملكاً ظالماً وطماعاً، وقد فرض ضرائب باهظة في يهوذا (ملوك الثاني ٣٥:٢٣). وقد شيد قصوراً ملكية فخمة مستغلاً عرق الأجير في السخرة. وعلى خلاف يوشيا أبوه فقد سمح يهوياقيم للآلهة الوثنية أن تزدهر مرة أخرى وتشمل القائمة هذه المرة آلهة مصر أيضاً (حزقيال ٨:٥ـــ١٧). وقد تصرف عموماً كما فعل منسى (ملوك الثاني ٣:٢٤).

١٣ـــ١٧ : يدين إرميا استغلال الملك المجحف للعمال في تحد للتوراة (لاويين ١٣:١٩، تثنية ١٤:٢٤، ملاخي ٥:٣).

والكلمة (Sásar) (مغرة) عدد ١٤ vernilia لا ترد إلا مرة واحدة أخرى في حزقيال (١٤:٢٣)(*) يظن يهوياقيم أنه ملك لأنه يستطيع أن يتفوق على الآخرين في كمية أرز لبنان في مبانيه وقد كانت المساكن المزينة شائعة في الشرق منذ عصر (أوباد (Ubaid) وكان اللون الأحمر هو اللون الشائع وبالمقارنة بتلك الأبهة والمظاهر البراقة، نجد النهج الأخلاقي القويم الذي اتبعه يوشيا الذي باركه الله بسبب فضائله الروحية، ومعرفة الله (١٦) تتطلب التعبير العملي عن أسمى مباديء العهد في الحياة اليومية. فمن يحب الله حقاً عليه أن يحب أخاه أيضاً (يوحنا الأولى ٢١:٤) ليس بعاطفة مبهمة لا تدل على شيء بل بحب شبيه بتلك المحبة التي ظهرت فوق الجلجثة (يوحنا الأولى ١٠:٤) .

١٨ـــ٢٣ : لن يتبع الأسلوب المعتاد للمناحة (ملوك الأول ٣٠:١٣) عند موت يهوياقيم ولن تقام له جنازة ملكية (العبارة الدقيقة لذلك موجودة في ملوك الثاني ٦:٢٤) وبدلاً من ذلك فسوف يلقي بجثته دون ذكرى في مقلب قمامة تماماً كما تسحب الحمير الميتة إلى خارج باب المدينة وتترك لتبلى، وسوف يعلن

(*) دهان أحمر اللون (انظر كتاب الحياة) المحرر.

المصير المؤلم في كل الأرض (٢٠). وكل رعاة يهوذا (الحكام في ٢: ٨) سوف تسوقهم ريح قوية إلى السبي . وأورشليم التي وصفت بأنها على شاكلة لبنان البهي (٢٢: ٦) سوف يلحقها الدمار حتى وإن ظنت نفسها محصنة ضد الهجوم .

٢٤ـــ٣٠: مصير يهوياكين

هذا الرجل اسمه (يكنيا) (٢٤: ١)، و(كنياهو) (هنا وفي ٣٧: ١) أصبح ملك يهوذا بعد موت أبيه يهوياقيم في ديسمبر عام ٥٩٨ ق.م. وملك لمدة ثلاثة شهور وبعدها رحل إلى بابل كرهينة ملكية. وذكر باسم (ياوكين) (Yaú-Kin) في ألواح يرجع تاريخها بين ٥٩٥ و٥٧٠ ق.م. والتي كشف عنها الغطاء بالقرب من بوابة عشتار في بابل. وقد عين البابليون وكيلاً عنه اسمه (الياقيم) ليدير ممتلكاته في يهوذا أثناء وجوده في السبي. وعندما مات نبوخذنصر الثاني أطلق من خلفه يهوياكين من السجن في ٥٦١ ق.م. وسمح له أن يعيش في القصر الملكي (ملوك الثاني ٢٥: ٢٧ـــ٣٠، إرميا ٥٢: ٣١ـــ٣٤) ولم يكن هناك ما يوقف سبي يهوياكين لأن الله بنزعه (الخاتم) قد رفض قيادته. إن ختم الممتلكات والمواثيق بأختام كان تقليداً شرقياً والخاتم على اليد في هذه الحالة ربما كان أحد الأوسمة الملكية (تكوين ٤١: ٤٢، أستير ٣: ١٠).[١] إن الله لا يمكن أن يظل في شركة مع الخاطيء العنيد لأن الطاعة بلا قيد أو شرط ضرورية إذا كنا نريد الحصول على البركة (عبرانيين ١٠: ٣٦). والوعيد بالموت في المنفى يجعل القشعريرة تسري في الأبدان ويلقي بظلال كئيبة.

٢٨ـــ٣٠ : التعبير المستخدم في عدد (٢٨) (وعاء خزف) يصف وعاء رديء الصنف كإشارةساخرة لمقدرة يهوياكين وقيادته .

وتكرار كلمة (أرض) ثلاث مرات يظهر محبة إرميا المتأججة والجريحة من نحو وطنه الذي سوف يدمر في القريب العاجل (٧: ٤). وإذا تم عمل إحصاء

(١) لمزيد من الإيضاح عن الأختام والخواتم انظر NBP ص١١٥٤

قومي فإن يهوياكين يعد (عقيماً) مع أن له سبعة أبناء (أخبار الأيام الأول ١٧:٣ الخ) وأسرته لن تدوم وبذلك لن يخلفه أحد . والنبوات الخاصة بترحيله قد تمت بعد ثلاثة شهور من تبوئه العرش.

٢٣: ١ــ٨: الرعاة والرعية

يعد صدقيا في العادة، وهو آخر ملوك يهوذا، الثاني في ترتيب الملوك بعد التأمل. فقد حكم من حوالي ٥٩٧ إلى ٥٨٧ ق.م. إذ خلف ابن أخيه يهوياكين في وقت منفاه، ومع أن هذه النبوة لا تذكر صدقيا بالاسم إلا أن هناك قليلاً من الشك أنه هو ومستشاريه هم المقصودون بالهجوم هنا. إن حمو غضب الله سوف يحل سريعاً ببني يهوذا الفاسدين.

١ــ٤ : المقصود بالرعاة أنهم الرعاة الباطلين الذين يتركون القطيع يتبدد وفي النهاية يدمر (٢:٨، ١٠:٢١ الخ). إن القيادة الرديئة هي السبب المباشر للسبي، والغنم الذي يرعى يعكس صورة رعوية كثيراً ما تتكرر بين جنبات الكتاب المقدس. والله رئيس الرعاة يبحث عن صالح قطيعه، بينما المسيح الراعي الصالح (يوحنا ١٠:١١) أظهر في موته إلى أي مدى كانت المحبة الإلهية على استعداد أن تمضي قدماً لفداء الإنسان الساقط .

وفي عدد (٢) فإن الكلمة (páqad) (يرعون)[1] تستخدم كتورية مقصودة كما في معظم الطبعات الانجليزية، وفي الإشارة الثانية وردت بمعنى (يعاقب) وكما تنبأ أنبياء ما قبل السبي فإن (البقية) سوف تعود والأرض المخربة سوف تسكن من جديد ولن يضل أحد من القطيع لأن الرعاة الجدد الذين على مستوى المسئولية سوف يرعونهم (páqad) ويسهرون على حمايتهم .

٥ــ٨ : إن الرجاء في المستقبل متضمن في النبوة المستقبلية. فالأعداد من (٥ــ٨) والمقدمة التمهيدية «ها أيام تأتي» ترد ١٦ مرة في السفر كمقدمة لرسالة الرجاء للمستقبل (والغصن) في عدد (٥) هو الاصطلاح الدال على الملك المسيا

---

(١) الكلمة يرعى (attend) وردت مرتين في الطبعات الانجليزية لعدد (٢) في المرة الأولى بمعنى يرعى وفي الثانية بمعنى يعاقب. (المترجم)

(١٥:٣٣، زكريا ٨:٣، ١٢:٦) ومشار إليه أيضاً في (إشعياء ١:١١) والغصن هو الذي يطلع من جذور شجرة فانية، والحياة الجديدة هكذا تطلع من السلالة الساقطة. وهكذا فإن إرميا قادر على الإعلان بأن الله سوف يقيم ملكاً من صلب داود وسوف يعلن اسمه عن شخصيته الحقيقية. وهذا التوقع قد تم في المسيح، ابن داود، وعلى عكس خلفاء يوشيا فإنه سوف يتبع سياسة حكيمة. فيملك ملك وينجح حافظاً لمباديء العهد ومجرياً عدلاً وحقاً في الأرض (صموئيل الثاني ١٥:٨) وتسمية «الرب برنا» تعني «الشخص الذي يضمن تزكيتنا والدفاع عنا» .

لقد اعتبر أن التسمية (sidqenu) مستوحاة من اسم صدقيا (Sidqiyahu) أي (الرب بري) ولكن بما أن صدقيا أيضاً قد أخطأ ضد الله (ملوك الثاني ١٩:٢٤) فالأكثر احتمالاً أن الاسم قد استخدم كدليل على التناقض الواضح بين اسمه ونوع ملكه. الغصن الذي سوف يخرج على شكل شخصية المسيا سوف يكون مختلفاً عنه تماماً في الجوهر، وبعمله الخاص سوف يمنح للبشر براً ليس بالأعمال بل بالنعمة (أفسس ٨:٢) هذا البر الذي يتضمن القداسة الشخصية كعمل الروح بعد التبرير. وسيصبح عهد سيناء المثل الأعلى للأمة جمعاء (لاويين ٧:٢٠ الخ) مباديء شخصية عن طريق العهد الجديد بدم المسيح .

وعدد (٨) يتأمل في مستقبل يتحد فيه الشمال والجنوب كما قال بذلك بعض الأنبياء (حزقيال ١٩:٣٧) وإضافة كلمة (أصعد) إلى كلمة (أتى) قد يرجع إلى الجمع بين قراءتين مختلفتين في الأصل، وبالمثل «فنسل بيت إسرائيل» قد تشتمل على إدماج قراءتين معاً تعنيان «نسل إسرائيل» وتكون القراءة هكذا «الذي أرجع نسل إسرائيل» .

٢٣:٩ـــ٤٠ : اتهام أنبياء يهوذا

المجموعة السابقة من النبوات كانت تتعلق برؤساء الدولة، والآن يتعامل إرميا مع قادة الحياة الدينية في الأمة .

٩ـــ١٥ : خطايا الأنبياء الكذبة :

كلمة (قلبي) كما استخدمت هنا تعني اضطراباً عقلياً أكثر مما تعني اضطراباً عاطفياً فعقل النبي لا يستطيع أن يستسيغ الطريقة التي اختارها هؤلاء الأنبياء للإساءة إلى شرف مهمتهم. وقد صدمه ذلك الفساد في السلوك والذي يمكن مقارنته بالفساد الذي دب في وسط الشعب المختار .

هناك اختلاف في ترتيب الأفعال في عدد (١٠). والترتيب العادي ليس مؤكداً. وفي تقييم لأولئك الذين يدّعون النبوة، يعتبر إرميا بني يهوذا أسوأ حالاً من نظرائهم في الشمال . لقد تساووا هم والكهنة في التساهل مع الطقوس الوثنية الدنسة لعبادة البعل (ملوك الثاني ٢١:٥، حزقيال ٨:٦ـــ١٨) حيث أن الممارسات اللا أخلاقية والذبائح الوثنية قد توغلت حتى في العبادة في الهيكل في أورشليم. وطرقهم الشريرة (١٦:١٣) سوف تكشف الآن عن طبيعتها الغادرة، وسيكونون كأناس يسيرون في منحدر زلق في ظلام دامس يتعثرون ويسقطون الواحد فوق الآخر .

«وحماقة أنبياء السامرة» (١٣) كانت في خطية عبادة البعل، وفضيحة «أنبياء أورشليم» (١٤) كانت في تأييدهم للفسق والسلوك بالكذب كشر سدوم وعمورة. وإرميا هنا يضع مسئولية الفساد الأخلاقي ليهوذا على كاهل أولئك الناس الأشرار .

١٦ـــ٢٠ : طبيعة النبوات الكاذبة

يصف إرميا طبيعة ذلك النشاط بأنه ابتعاد جوهري عن الحقائق الروحية والأخلاقية والسياسية. فالأنبياء الكذبة هم مفكرون حالمون ينطقون بتوقعات كاذبة عن السلام، ورؤاهم نابعة من داخل ذواتهم وليست مستوحاة من الله. وقد حذر المسيح قائلاً إنه في الأيام الأخيرة يقوم أنبياء كذبة ويخدعون كثيرين (متى ٢٤:٥و١١)، فلو كان هؤلاء الأنبياء حاضرين ليسمعوا كلام الرب ويعلنونه (١٨) لتحدثوا عن الدينونة كما فعل إرميا وليس عن السلام (انظر عدد ٢٢). والأعداد ١٩و٢٠ متكررة في ٢٣:٣٠. الخ مع بعض التغييرات، وهي تحتوي على قرارات القضاء السماوي التي لم يعلم بها الأنبياء الكذبة

بسبب غيابهم ، ومن ثم فهي حق وعدل كما تم الإنذار بها من قبل عدة مرات .

«والأيام الأخيرة» (٢٠) تشير لوقت العقاب عند تحقيق البر الإلهي في يهوذا .

والأحداث في الوقت الحاضر لا تقدر حق قدرها بسبب خداع النفس، ولكنها سوف تصبح واضحة لكل ذي عيان وأليمة في نفس الوقت.

وكلمة (الأيام) تخضع لتفسير مسياني (إشعياء ٢:٢، هوشع ٣:٥).

٢١ـــ٢٣ : الرسالة الخادعة للأنبياء الكذبة:

أي أقوال نبوية تتحدث عن مستقبل يتمتع بالسلام بدلاً من إعلان غضب الله كاذبة. فالله القريب يستطيع أن يرى كل خافية، والأنبياء الكذبة لا يمكنهم أن يخفوا أنفسهم عن عينه الفاحصة . وبعض أنواع أنبياء الوثن في (تل هراري في منطقة الفرات الأوسط) وفي أماكن أخرى اعتبروا الأحلام هي الطريقة المعتادة التي تقدم بها الإعلانات لهم .

وعدد (٢٦) يبرز بعض الصعوبات في النص، والمعنى الأصلي غير واضح تماماً. والقراءة المقترحة له هي «إلى متى يستمر هذا في عقول الأنبياء الذين يعلنون أكاذيب، هؤلاء الأنبياء الخادعين نفوسهم». ورؤاهم الوهمية تبعد الأنظار عن حقائق ومثل العهد وتركزها في طقوس البعل اللاأخلاقية وهي لا تنفع شيئاً، وأحلامهم الباطلة (كالتبن) بينما الكلمة النبوية (كالقمح) تغذي سامعيها. وبينما عهد الأنبياء الكذبة لأقوالهم بمقدمة للإيهام بأنها وحي من الله فيستخدمون كلمات قالها أناس ملهمون لا تنطبق على الموقف الراهن (٣٠و٣١) .

٣٣ـــ٤٠ : الوحي الإلهي وما يعنيه:

هذا القسم يحتوي تورية عن الكلمة (mássa) «وحي»، وهي (حمل أو نير في بعض الترجمات) فهي تعني الوحي أو الحمل. والعبارة أيضاً تحمل دلالات

منذرة بالكارثة أو القضاء الإلهي (إشعياء ١٣:١، ١٥:١، ١٧:١، حزقيال ١٢:١٠ الخ).

وعدد ٣٣ في الماسورية قد يكون فيه بعض التعديل على الرد الأصلي لإرميا على أسئلتهم ولذا يستحسن أن يكون هكذا كما جاء في السبعينية (attem hammassa) أنتم الحمل (أو النير) بدلاً مما ورد في الماسورية (etmah - massa) «أي (حمل) أو (نير)» .

فلربما كان الناس يسألون إرميا باستخفاف عن الأثقال الإلهية المستقبلية ولذا فقد أجاب قائلاً : «لأنكم احتقرتم حمل مسئوليات العهد فإن الله بدوره سوف يلقيكم كحمل متعب» .

وبداية عدد ٣٦ «أما وحي الرب» فلا تذكروه بعد . فالمقصود بها لا تذكروا أبداً التعبير «وحي الرب»، فبما أن كلمة (massa) (الوحي) عندكم قابلة للتغيير والخداع فلا يجب أن تستخدم بعد كجزء من الإعلان النبوي. في مقابل كلمة (wnásîti) «هأنذا أنساكم». في عدد ٣٩ نجد القول في بعض المخطوطات العبرية والطبعتين السريانية والفولجاتا (wnásiti) (هأنذا أرفعكم). ففي القرن الثامن ق.م. كان هناك رمز واحد للحرفين الساكنين s, ś. وتتضح قوة التورية عندما نعلم أن (maśśa) تأتي من الأصل (màsà) «يرفعُ» فبنى يهوذا سوف يلقي بهم بقوة خارج الأرض في فترة من الكوارث التي لا تنسى .

كلمة إضافية عن الأنبياء الصادقين والكاذبين

لو وقف أمامنا رجلان يلبسان نفس الزي، وكل منهما يدّعي أنه رسول من الله ممهداً لأقواله بالتعبير: «هذا ما يقوله الله» لصعب علينا أن نقرر من المظهر الخارجي أيهما يعلن الحق. ولكن بتدقيق الملاحظة يمكن إظهار الفوارق بين الأنبياء الصادقين والكاذبين فالأنبياء الحقيقيون وقفوا بثبات إلى جانب روح شريعة موسى مظهرين بسلوكهم مبادىء وروابط العهد، وكانت أقوالهم تشكل ما يدل على الصلة الروحية التي يتمتعون بها بينهم وبين الله، وكلمته إلى عقولهم كانت هي كلمتهم إلى المجتمع. وبسبب الفساد الذي ساد في عصرهم كان الكثير من أقوالهم موضع نقد شديد، وكانوا يحضون الناس على العودة لمبادىء

العهد في سيناء. وكانت كلمة الله داخلهم كنار تحرق الغث في حياتهم لتجعلهم أشخاصاً على درجة عالية من الأمانة والنقاء .

وعلى النقيض من ذلك فإن الأنبياء الكذبة كانوا لا يفترقون عن بقية أفراد المجتمع فيما يتعلق بالسلوك الشخصي، لأنهم مخادعون أساساً قد دنسوا أقوال الله المقدسة وحرّفوا كلمة الله بجعلها في مظهر هزلي مضحك وكانت أحلامهم كاذبة وقد روجوا أكاذيب وخدعوا سامعيهم ولم يكونوا على مستوى المسئولية الروحية، لأنهم لم يخضعوا لمباديء إيجابية، فأعلنوا للناس ما يودون سماعه وليس أقوال الله، وقدموا رسالة تهديء الضمائر وتعطيها سلاماً خادعاً. وقد اهتموا بذلك اهتماماً كبيراً لأن مصالحهم الدنيوية كانت تزدهر أفضل في بيئة خالية من الاضطرابات، ومع ذلك فقد كانوا يفكرون في السلام بمعنى عدم وجود القلاقل أو الصراع الاجتماعي وليس بمعنى انتصار البر الإلهي بين الناس. وكانوا أبعد ما يكون عن مثل الأمانة الروحية فقد كانوا مرائين يساومون على مباديء التوراة الأخلاقية على كل ناصية، بينما يزعمون أنهم يتكلمون باسم الله إلى الأمة .

فالولاء والطاعة المطلقة لإرادة الله وكلمة الرب هو المعيار الحاسم للتمييز بين أنبياء البُطل وأنبياء الحق .

ونقض الروحانية في جانب الأنبياء الكذبة قد أدت أيضاً إلى فهم ناقص لمعاملات الله مع شعبه. وبالتالي فقد كانت أقوالهم زائفة، ولأنهم لم يدركوا الصيغة الشرطية لتقاليد العهد الإسرائيلي، فقد أساءوا تماماً قراءة الموقف السياسي المعاصر.

٢٤: ١-١٠ : التين الطيب والخبيث

هذه الرؤية قد حدثت بعد أحداث ٥٩٧ ق.م عندما أخذ يكنياهو (يهوياكين) أسيراً إلى بابل مع الأسرة المالكة وأشخاص آخرين من يهوذا .

لقد كانت الرسالة الأساسية أن المنفيين سوف يعودون بينما أولئك الباقين

في الأرض سوف يدمرون. لقد كان نبوخذنصر يحتاج للحرفيين وعمال البناء لتشييد المباني في أقاليم الإمبراطورية جاعلاً إياها أكثر فخامة من سابقتها. وقد أظهرت الحفريات المكتشفة من العصر البابلي الحديث (٦١٢-٥٣٩ ق.م.) الإنجازات المعمارية الرائعة لنبوخذ نصر وخلفائه .

وقد أبعد قادة يهوذا لتجنب إثارة القلاقل. والتين الذي ينضج مبكراً في شهر يونيو كان يعد شيئاً طيباً (إشعياء ٢٨:٤، هوشع ٩:١٠) على عكس التين الرديء، وهما يمثلان نوعين من الناس، الأخيار الذين يرجعون للرب نادمين (٧) والأشرار الذين يستمرون في طرقهم الشريرة .

والأولون هم في بابل الآن وقد هزتهم الفاجعة فتابوا واتجهوا بقلوب موحدة إلى عبادة الله، وبذلك فإنهم ينالون البركة الإلهية ويختبرون أشياء تختلف تماماً عن التهديدات المذكورة في عدد (١٠) .

أما الآخرون وهم في أورشليم الآن سيشعرون بحمو الغضب الإلهي بسبب انحطاط حالتهم الميئوس منها، وسيلقى بهم خارجاً كالتين الرديء لينظر إليهم الكل.

في هذه الرؤيا المعبرة يظهر إرميا أن الشركة مع الله وبركات النعمة الإلهية ليس لها علاقة بالطقوس الدينية أو المؤسسات القومية أو الموقع الجغرافي .

فسواء كانوا في السبي أو بعيداً عن السبي، فإن أولئك الذين يبحثون عن الله بكل قلوبهم سوف يجدونه (تثنية ٤:٢٩ الخ، مزمور ١١٩:١٠، متى ٧:٧) وإتمام الوعيد النهائي في عدد (١٠) حدث عندما دمر الرومان يهوذا كما تنبأ المسيح أيضاً (متى ٢٣:٣٨) .

٢٥:١-١٤ : تأكيد الدمار

يرجع تاريخ هذه الفقرة إلى عام ٦٠٥ ق.م. في السنة الرابعة للملك يهوياقيم التي دارت فيها معركة كركميش الفاصلة، ونتيجة هذه المعركة أن تم طرد المصريين، واستولت بابل على يهوذا لتصبح جزءاً من إمبراطوريتها (ملوك الثاني ٢٤:١) .

والادعاءات السابقة بوجود خطأ في التواريخ حيث أن السنة الرابعة من حكم يهوياقيم في عدد (١) هي نفسها المشار إليها بأنها السنة الثالثة من حكم نفس الملك في دانيال (١:١)، معلوم الآن أنها مبنية على سوء فهم للطرق القديمة في الشرق لترتيب التواريخ الزمنية. ففي فلسطين في القرن السابع قبل الميلاد كانت تحسب سنة تبوء الملك للعرش كالسنة الأولى في الحكم، بينما في بابل كانت هذه السنة تحسب مستقلة ثم يتبعها السنة الأولى من الحكم الفعلي. وهكذا احتسب إرميا هذه السنة طبقاً للنظام المعمول به في فلسطين بينما اتبع دانيال النظام المعمول به في بابل.

وقد حذفت الترجمة السبعينية التعليق المختص بنبوخذنصر.

١ـــ٧ : وجه إرميا التماسه إلى عامة الشعب وليس للطبقة الحاكمة فقط. لقد دعى للنبوة عام ٦٢٦ ق.م. وهكذا تنبأ ما يقرب من عشرين سنة تحت حكم يوشيا ثم ثلاثة شهور تحت حكم يهوآحاز وثلاث سنوات تحت حكم يهوياقيم، وكان عندئذ في منتصف إرساليته بعد أن قضى ما يزيد على حقبتين يحث الأمة أن تزدري العبادة الوثنية وتعود لمبادىء العهد. فالأمة التائبة حقاً هي الأمة التي يمكن أن تتوقع البركة الإلهية. لقد قام الله بإصدار الإنذارات المستمرة لإسرائيل المتمرد الوثني. والآن فالمسئولية تقع عليهم بسبب إهمالهم المتعمد لكلماته. واستخدام التماثيل الوثنية المصنوعة قد أثار غضب الله الذي صبه على مستخدمي هذه الأشياء لأنه لا يسمح بعبادة الوثن. كما أشار المسيح بوضوح أثناء تجربته (متى ٤: ١٠).

٨ـــ١٤ : والإشارة لعشائر الشمال (٩) هي إشارة للطبيعة المعقدة للإمبراطورية الأشورية وخليفتها الإمبراطورية البابلية، والسبعينية تقول «قبيلة من الشمال» وتحذف «عبدي» كوصف لنبوخذنصر إن الأمة العاصية لم ترد أن تسمع لعبيد الله من الأنبياء، ولذا فيجب أن يسمعوا الآن لنوع آخر من العبيد (٦:٢٧، ١٠:٤٣) والدمار المذكور في عدد (٩) يذكرنا بمحو المدن في عصر يشوع [يشوع ٢١:٦، ٢٨:١٠ الخ]، (والسبعين سنة) من السبي رقم صحيح بعد احتسابه من السنة الرابعة ليهوياقيم (٦٠٥ ق.م.) إلى بدء العودة تحت حكم كورش حوالي ٥٣٦ ق.م. (زكريا ١٢:١، أخبار الأيام الثاني ٣٦: ٢٠ـــ٢٣).

والسفر المذكور في عدد (١٣) هو أصل النبوة التي دمرت على يد يهوياقيم (٢٢:٣٦)، و(الأمم الكثيرة) في عدد (١٤) هم مادي وفارس الذين اخضعوا بابل تحت حكم كورش عام ٥٣٩ ق.م.

٣ ــ ملخص للنبوات ضد الأمم الأجنبية (٢٥: ١٥ــ٣٨)

١٥ــ٢٩ : «كأس الخمر» كرمز للغضب الإلهي وهو مذكور في (إشعياء ٥١: ١٧و٢٢، إرميا ١٣: ١٢ الخ، ٤٩: ١٢، زكريا ١٢: ٢ الخ) .

وقد أعطى الكأس أولاً لأورشليم ثم للأمم الجنوبية وأخيراً لأهل الشمال. وكل الشعوب المذكورة في الأصحاحات من (٤٦ــ٥١) مدرجة هنا ما عدا دمشق. ومن بين ما ذكر ملك (عوص) (٢٠) موطن أيوب (أيوب ١:١، مراثي إرميا ٤: ٢١) الواقعة في عبر الأردن إما في حوران جنوب دمشق أو في المنطقة الواقعة بين أدوم وشمال الجزيرة العربية .

و(ددان) هي قبيلة تجار من نسل إبراهيم وقطورة، (تكوين ٢٥: ٣)، و(تيماء) هي قبيلة عربية تسكن في المناطق الصحراوية المتاخمة لسوريا (تكوين ٢٥: ١٥). و(بوز) قبيلة من نسل ناحور أخو إبراهيم (تكوين ٢٢: ٢١) .

وطبقاً للتقليد القديم فإن كلمة (شيشك) (٢٦) هي الاسم الشفري لبابل Babel.

وغضب الله سوف ينزل بكل تأكيد على كل هذه الشعوب ابتداء من شعب الله يهوذا، ولا يستطيع أحد أن يرفض الشرب من الكأس. وحتى المسيح كان مطيعاً لإرادة الآب شارباً كأس الغضب والمعاناة نيابة عن الإنسان (لوقا ٢٢: ٤٢) .

٣٠ــ٣٨ : في قسم شعري تتغير الصورة أمامنا إلى منظر أسد مزمجر . فالله يزأر مطالباً بالانتقام من شعبه العاصي، والزئير يشبه صياح المحاربين

(hedad) (١٤:٥١)[1] .

وكقاضي كل الأرض يقرأ الله اتهامه ضد الجنس البشري، وسوف يطرح ضحايا الكارثة المقبلة كدمنة على وجه الأرض (٣٣). لقد أتت ساعة الدينونة الآن لتدمر الحكام وشعوبهم على حد سواء، ونهاية عدد (٣٤) تبرز بعض الصعوبات. فالسبعينية تحذف «سوف أكسركم إلى قطع» (RV)[2] وبها سوف تذبحون «ككباش مشتهاة» (RSV) و(Kele). بينما الترجمة العربية والماسورية تقول «تسقطون كإناء شهي» وصورة الحيوانات تطابق القرينة أفضل هنا .

٤ ــ النبوات التي تنادي بسقوط أورشليم (٢٦:١ــ٢٨:١٧)

إن إرميا مهتم بالقضاء الإلهي الذي سوف يحل بيهوذا، ولذا فهو يحاول أن يحذر الشعب بكل وسيلة ممكنة، وهجومه على عبادة الهيكل كان القصد منه أن ينفذ بني وطنه من خداع النفس ويحولهم إلى التوبة والإيمان بإله أجدادهم. ولكن حتى حديثه الرمزى عن السبي فشل في إقناع الأنبياء الكذبة والناس سواء بسواء .

٢٦:١ــ١٩ : خطاب الهيكل ونتائجه

يبدأ هذا الأصحاح بسجل عن حوادث عديدة في حياة إرميا العملية، فهو ينبيء بدمار الهيكل بعاطفة متأججة كثمن لعصيانهم كأمة .

تلك البداية التي لا تبشر بخير لحكم يهوياقيم (٦٠٩ــ٥٩٧ ق.م.) قد حدثت في حضور الشعب من كل أنحاء يهوذا .

١ــ٩ : تم تحذير الشعب عن طريق نوابه بأن الله سوف لا يتردد في تدمير

(١) في الطبعة العربية «أناساً كالغوغاء فيرفعون عليك جلبته» وفي الـ RSV «فيرفعون عليك صيحة النصر» (المترجم) .

(٢) في الطبعة العربية «فيسقطون كإناء شهي» (المترجم) .

المدينة والهيكل على الرغم من مقدار التقديس الذي يحظى به كل منهما (٧: ١ـ ١٥) مما يزيد من حدة قسوة القرار وصرامته . وفي الأعداد (٧و٨و١١) تضيف السبعينية وصف الكذبة للأنبياء كما توحي بذلك القرينة بوضوح .

وبعد الأنبياء (٨) نجد في العربية والماسورية «كل الشعب» وكرد فعل فوري ووحشي على نبواته طالبوا بموت إرميا :

١٠ــ١٥ : واجتمع الرؤساء ليسمعوا القضية عند (الباب الجديد) الذي بناه يوثام (ملوك الثاني ١٥: ٣٥) ومن المحتمل أن يكون هو الباب الأعلى المذكور في (٢٠: ٢) وعندما يقرر النبي في دفاعه عن نفسه أنه إذا قتل سيسفك دم زكي (١٥) ابتدأ الشعب يقف إلى صفه .

١٦ــ١٩ : لم تجد الطبقة الحاكمة أي عيب في إرميا إذ عرفوا، كما فعل بيلاطس مع المسيح (يوحنا ١٩: ٤)، أنه تكلم إليهم باسم الرب. وربما سمع بعض الشيوخ (١٧) (ميخا) عندما كانوا شباناً. والاقتباس المباشر من تلك النبوة التي قيلت في أيام حزقيا (ميخا ١: ١) ليس لها نظير في أدب النبوة، وباقتباسه أقوال ميخا (٣: ١٢) يشير إرميا إلى الضرر الذي يمكن أن ينجم عن موته على يدي الشعب. وقد أثر إخلاصه على الحكام وجعلهم يعارضون الكهنة والأنبياء الكذبة .

٢٦: ٢٠ــ٢٤ : مصير نبي آخر

هذه الفقرة الاعتراضية توضح الكارثة التي لحقت بأحد أنصار إرميا ألا وهو «أوريا بن شمعيا» وهو شخص غير معروف عاش في قرية (يعاريم) المعروفة باسم (قرية العناب) الواقعة غربي أورشليم بتسعة كيلومترات على الطريق إلى يافا، ولقد كانت في الأصل، مدينة جبعونية (يشوع ٩: ١٧) حيث وضع فيها التابوت لمدة عشرين سنة (صموئيل الأول ٧: ٢)، وبعد أن تنبأ كثيراً كما فعل إرميا هرب (أوريا) إلى مصر باعتباره مثير فتنة، وكانت تعد جريمة كبرى، ولو كان راسخ القدم كإرميا لتغير مصيره .

(ألناثان) (٢٢) ذكر مرة أخرى في (١٢:٣٦و٢٥) والكنية عكبور كانت شائعة إلى حد ما في القرن السابع ق.م. ولو كان هو نفس الرجل المذكور في (ملوك الثاني ٨:٢٤) لكان هو حما يهوياقيم، وهكذا يكون هو الشخص الصحيح من رجال الحاشية الذي يكلف بتسليم أوريا للمحاكمة. ولقد كانت الاتفاقات الدولية عادة تحتوي بنوداً لتسليم الخارجين على الدولة، وكان هذا بلا شك جزءاً من شروط معاهدة التسليم التي فرضتها مصر على يهوذا .

يقول «توركزنر Torczyner» إن أوريا هذا هو النبي المجهول المذكور في (اللوح الثالث) (ostracon 3) من ألواح لخيش، ولكن الإشارة غامضة جداً لدرجة لا تتيح التعرف على النبي المقصود. وقد طرحت جثة أوريا أخيراً في وادي قدرون (ملوك الثاني ٦:٢٣)، ومع أن إرميا كان مخلصاً تماماً إلا أنه كان بحاجة لعون من «أخيتام بن شافان» (٢٤) لينجو من الموت. وهذه الإضافة كانت بلا شك من فعل باروخ، وهي تظهر مصير اثنين من الأنبياء المعاصرين وإن كان مصيرهما مختلف. وكان «أخيقام» ضمن الوفد الذي أرسله يوشيا إلى خلدة النبيّة (ملوك الثاني ١٢:٢٢ الخ، أخبار الأيام الثاني ٢٠:٣٤) وهو أبو جداليا حاكم يهوذا الذي عينه نبوخذنصر (ملوك الثاني ٢٢:٢٥، إرميا ٣٩: ١٤). وسواء كان أخيقام هو ابن رجل البلاط المعروف باسم شافان (ملوك الثاني ١٢:٢٢) أم لا فهذا غير واضح من الماسورية .

١:٢٧ـــ٢٢ : نبوة قيلت سنة ٥٩٤ ق.م.

لقد حذف العدد الأول من السبعينية وبعض المخطوطات العبرية والبيشيتا Peshitta وضعت اسم صدقيا بدلاً من يهوياقيم وهذا صحيح من الناحية التاريخية (١:٢٨) .

ويبدو أن الخطأ قد حدث نتيجة النقل من ١:٢٦. فالنبوة قد قيلت في وقت كان فيه السبي الأول (٥٩٧ ق.م.) مجرد تاريخ. ومع أن البابليين قد نصبوا صدقيا كحاكم ليهوذا، فقد ظن بعضهم أن بابل سوف يطاح بها عن طريق مؤامرة سياسية وقد بين إرميا بُطْل هذه الآراء .

١ـــ٧ : نجد هنا درساً عملياً قوياً لإعلان إرادة الله للأمم المجاورة التي

أتى منها رسل إلى صدقيا على أمل تكوين تحالف ضد بابل. إن «نير القضبان الخشبية المثبتة بالربط» (٢٨: ١و١٠و١٢) كان شهادة رمزية لعدم جدوى محاولة الإطاحة بالنير البابلي .

وفي عدد (٣) (أرسلها)[1] يقابلها في الـ RSV «أرسل كلمة إلى» وفي (كتاب الحياة) «أبعث برسالة» فقط. وفي أحد مخطوطات السبعينية يحذف الضمير المتصل (ها) في إرسالها، موحياً بذلك أنه نير واحد فقط ذلك الذي صنعه إرميا ولبسه وأن يرسل خبر ذلك النير إلى الأمم التي تخطط للثورة. وفي الأغلب فهذا هو ما حدث .

وفي عدد (٦) (كل هذه الأراضي) نجدها (الأرض) في السبعينية موحياً بالسيطرة التامة لنبوخذنصر الذي لن تنفع معه المقاومة. ولكن حتى هذا الرجل العظيم سوف يحاكم في النهاية، ويتم إخضاعه على يد مجموعة أقوى من الأمم .

٨ــ١١ : قد ذكر الأنبياء الكذبة الذين ينادون بطموحات زائفة جنباً إلى جنب مع السحرة الوثنيين والعائفين، فعلى النقيض من إرادة الله، كانوا ينصحون بالثورة ضد بابل تساندهم نبوءات كاذبة من العرافين. ولكي نستطيع تمييز علامات الأزمنة (متى ١٦: ٣) ونعرف ما هي إرادة الرب (أفسس ٥: ١٧) يلزم أن تكون لنا شركة مع الله وتكون لنا روح الطاعة والتمييز .

١٢ــ١٥ : هذا القسم يحتوي على رسالة إلى صدقيا يحثه فيها على الخضوع الدائم لبابل بغض النظر عن أقوال الأنبياء الكذبة، ووجهاء الشعب كانوا ضمن من وجهت لهم الرسالة مع الملك .

وكلمات الأنبياء كاذبة، لأنهم يعلنون مجرد ردود أفعالهم على الموقف ولا يعلنون رسالة أعطيت لهم من الله .

١٦ــ٢٢ : هذه الأعداد تكرر الرسالة السابقة، ولكن هذه المرة للكهنة والشعب. و(الآنية) في (ملوك الأول ٧: ١٥ــ٣٩) كانت من الهيكل وقد

---

(١) الضمير يعود على الربط والأنيار جمع (نير) ــ المترجم .

حملت إلى بابل عام ٥٩٧ ق.م. (ملوك الثاني ٢٤:١٣) .

والوعد باسترداد (الآنية) من بابل سوف يشجع الكهنة لتأييد الرجعيين الذين كانوا أعضاء ضمن الطبقة الحاكمة تحت حكم صدقيا .

ولأن هذه الوعود كاذبة فهناك تحذير للسامعين أنهم إذا تصرفوا بناء على هذه الوعود فسوف ينجم عن ذلك دمار آخر تقوم به بابل .

وطبقاً لما جاء في (١٧:٥٢) فإن أعمدة النحاس قد اتلفت وحملت إلى بابل عام ٥٨٧ ق.م (٢٢) .

٢٨: ١ــ١٧ نبي ضد نبي :

في عام ٥٩٤ ق.م. كان لإرميا مقابلة شخصية مع نبي كاذب كان يواسي الشعب ويرفع من روحه المعنوية .

١ــ٤ : (حنانيا) كان نبياً كاذباً غير معروف إلا في هذا الموضع . وذكره للنير إشارة فيها سخرية من ذلك الذي كان إرميا لا يزال يلبسه. ووعود حنانيا باسترداد آنية بيت الرب تتناقض مع أقوال إرميا في (٢٢:٢٤ــ٢٧) وهذا يأتي بنا للتركيز على السؤال الحاسم : أي النبوات حق وأيها باطل؟ ويميل أغلبية السامعين لتصديق ما يريدون هم أن يسمعوه .

٥ــ١٧ : وقد رد إرميا على ذلك باستخفاف «آمين هكذا ليصنع الرب» (٦) ويحتمل أن تحمل نغمة صوته إحساسه بالشك . وسوف تثبت الأحداث المقبلة من كان على صواب . وقد عرف إرميا أن السلام والأمن ليهوذا لا يأتيان إلا من التوبة الخالصة وطاعة العهد .

فصدق النبوة أو كذبها لا يمكن إعلانهما بالحماس أو الإخلاص بل بالطاعة لله . وقد كسر حنانيا نير إرميا في الوقت الذي أنبأ فيه بكسر نير بابل في مدة سنتين. وعندما تلقى إرميا أخيراً رداً من الله كان الرد أكثر حدة في النبرة عن ذي قبل . ففي عدد (١٣) (عملت عوضا عنها) وقد جاءت في الماسورية (سوف تصنع)، ونير الحديد معناه أن الله سوف يعاقب يهوذا وجيرانها بعمل

نير أقوى بسبب محاولتهم القيام بالثورة. وموت حنانيا السريع (١٧) يظهر عقوبة الارتداد والتمرد (تثنية ١٣:٥) وكذلك الموت المفاجيء لكل من «فلطيا» (حزقيال ١١:١٣) و«حنانيا وسفيرة» (أعمال ٥: ١ـــ١١) .

٥ ـــ رسالة للمسبيين في بابل
(٢٩:١ـــ٣٢)

طبقاً لما جاء في (٥٢:٥٨) قد حُمل ٣٠٢٣ شخصاً كأسرى إلى بابل عام ٥٩٧ ق.م. بما فيهم يهوياكين وأسرته وعدد من الكهنة والأنبياء. وقد ترامى إلى سمع إرميا في أورشليم أن بعض الأنبياء الكذبة المسبيين كانوا يتنبأون كما فعل حنانيا، بالانهيار السريع لقوة بابل، وعودة المسبيين إلى وطنهم نتيجة لذلك. ولما كان إرميا رجلاً واقعياً بطبعه فقد شعر أن من واجبه أن يحذر مواطنيه المسبيين ضد أي خداع آخر للنفس وكتب لهم رسالة في سنة ٥٩٤ ق.م.

١ـــ٣ : «بقية شيوخ السبي» بينما السبعينية تقول فقط «إلى الشيوخ» وفي حادثة كهذه لا داعي لأن نفترض أن عدة شيوخ من يهوذا قتلوا في بابل لعدم الخضوع. و«الشيوخ والكهنة والأنبياء» كانوا كل مجتمع المسبيين، وما هذه القطاعات إلا ممثلون عنه. (وألعاسة وجمريا) هما الشخصان المسئولان عن تسليم الرسالة. ومن الواضح أن البابليين لم يبذلوا أية محاولات لمنع اتصالات من هذا النوع، وليس هناك دليل حقيقي على أي ادعاء باستعمال الوحشية مع المسبيين. وربما كان (ألعاسة) أخو أخيقام، الذي هب لنجدة إرميا في وقت الشدة (٢٤:٢٦). بينما (جمريا) الذي لا يجب الخلط بينه وبين «جمريا» آخر هو ابن شافان الكاتب (٣٦: ١٠ـــ١٢و٢٥) كان ابن رجل يدعي «حلقيا» لا يعرف عنه شيئاً في مواضع أخرى. وإحدى رسائل لخيش (اللوح رقم ١) ذكرت «جمريا بن حسيلياهو» (٥٨٩ ق.م) والذي يجب تمييزه أيضاً عن الآخرين. ومن الواضح أن الاسم لم يكن غريباً في ذلك العصر. وقد بدأت الرسالة بمناشدة المسبيين (٤ـــ٩) بأن يسلكوا سلوكاً طبيعياً بقدر الإمكان، وأن ينتظروا في خضوع لله لكي ينقذهم مهما طال الأمد، ثم اتبع ذلك بعبارة

عن مصير أربع مجموعات : أولئك الذين أخذو أسرى (١٠ــ١٤) وأولئك الذين لحقوا بهم بعد ذلك (١٥ــ١٩)، والأنبياء الكذبة في بابل (٢٠ــ٢٣) ورسالة إلى شمعيا (٢٤ــ٣٢) .

٤ــ٩ : ويمكن مقدماً تصور تأثير تلك الرسالة على مستلميها. وكان أكبر تجمع للمسبيين بالقرب من (نيبور) بالقرب من قناة (كابار) وهناك لوحان خطيان يرجعان لحوالي عام ٤٤٣ ق.م. و٤٢٤ ق.م. يشيران لقناة كبرى للري تسمى (نارو كاباري) كانت تجري خلال إقليم نيبور، ولكن المكان الحقيقي لإقامة المسبيين لا يزال غير معروف وربما اتجه بعض المسبيين اليائسين إلى بعض العرافين لتحقيق الأحلام (عدد٨) ولكن الله حذرهم من الالتجاء لمثل تلك الأمور .

١٠ــ٢٠ : والقسم الأخير قد يكون صورة متكررة من (٢٤:١ــ١٠). والأنبياء الكذبة في بابل والذين ما زالوا غير فاهمين لإرادة الله فيما يختص بيهوذا كانوا يخدعون المسبيين كما فعلوا من قبل في عام ٥٩٧ ق.م.

والأعداد من (١٥ــ١٩) تطالب بحماس بوضع حد لخداع النفس حيث أن أولئك الذين كانوا في أورشليم قد فشلوا في تعلم الدروس المأخوذة من السبي الأول ولذلك حق عليهم التدمير .

٢١ــ٢٣ : (آخاب) و(صدقيا) كانا نبيين كاذبين مسبيين في عام ٥٩٧ ق.م. ولا نعرف عنهما شيء آخر. و«اللعنة» المذكورة في عدد (٢٢) (q'laláh) تورية للاسم قولايا (Qôlayah) وهو أبو آخاب، والكلمة (قلاهما) وبالعبرية (qaláh) هي عقوبة الإلقاء في النار. اقرأ ما جاء في دانيال (٣:٢٠). وهذا النوع من الأهوال يدل على عصر بابلي جديد (٦٢ــ٥٣٩ ق.م.) لأنه تحت حكم الفرس الذين كانوا يقدسون النار كان هناك نوع آخر من العقاب (دانيال ٦:١٦) .

٢٤و٢٥ : وواضح أن هذه الأعداد تصف رد فعل (شمعيا) وهو نبي سبى في عام ٥٩٧ ق.م. وكان قد احتج لدى السلطات في أورشليم على رسالة

إرميا وطلب توبيخه وعند سماع الشكوى التي قرأها صفنيا الكاهن، طلب إرميا على الفور القضاء على شمعيا وبيته .

(النحلامي) (٢٤) ربما يكون اسم عائلة ولكنه غير معروف في مواضع أخرى. أما الافتراض بأنه اشتقاق من (hálam) (يحلم) و(حالم، عراف) غير محتمل حيث أن الصيغة غير موجودة في مكان آخر .

وكلمة (رسائل) (٢٥)، في السبعينية تقول «أرسل» رسالة إلى صفنيا ولكن صيغة الجمع يمكن أن تعني أيضاً عدة رسائل لشخص واحد فقط (ملوك الثاني ١٤:١٩) .

٢٦ـــ٢٨ : هنا تسلم نص رسالة شمعيا والتي تبدأ بالقرار أن يحل صفنيا محل يهوياداع ككاهن بناء على أمر إلهي . وصفنيا لم يفعل سوى أن عرض محتويات الرسالة على إرميا دون ذكر توجيه اللوم إلى إرميا . كلمة (وكيل) (٢٦) وردت بصيغة الجمع في الترجمة العربية (pqidim) والمفرد (paqid) في الطبعات الأخرى . وربما المقصود بالجمع إضفاء الأهمية على المنصب . وهناك اقتراح آخر بأن يكون النص هكذا : «وكيلاً في بيت الرب لتضع في المقطرة والقيود كل رجل مجنون يتصرف كما لو كان نبياً» .

والقيود كانت تجعل الرأس في وضع ثابت بينما كان السجين في المقطرة (٢:٢٠)، وبرغم كل ما حدث سابقاً كان إرميا لا يزال يعتبر كمجنون .

٢٩ـــ٣٢ : يبدو أن صفنيا اعتبر نصيحة إرميا للمسبيين معقولة، وقد تأثر بلا شك بإدانة تلك الشرور في بابل تلك التي جلبت السبي في المقام الأول... وسوف يحرم شمعيا من الخير النهائي، أي عودة البقية الأمينة إلى يهوذا والتي كان من الممكن أن تشمله هو وبيته .

٦ ــ رسائل تعزية
(٣٠: ١ـ٣١: ٤٠)

الأصحاحات من (٣٠ــ٣٣) تقطع التسلسل التاريخي لسير الأحداث التي يذكرها باروخ، وتحتوي على مجموعة أقوال عن رجوع إسرائيل ويهوذا، وهو موضوع لقى حظاً من العناية في أوائل السفر. ومع ذلك فقد كانت نغمة النبوات قبل ذلك تمثل الجانب القاتم، حيث كان إرميا يعلن الدمار السريع كعقاب على ارتداد الأمة. ويقف إرميا هنا في تناقض صارخ مع اتجاه الولاة الذين لا يتحملون المسئولية والمتخففين من التبعة، وأيضاً كان يقف في مواجهة عامة الشعب. ومع ذلك فنفس هذه الأصحاحات تدعي مراراً وتكراراً (سفر التعزية) بسبب ما تحويه من عزاء ورجاء في المستقبل بعد انتهاء عقوبة السبي .

وحيث أن معظم أقوال إرميا التي تدعو للتفاؤل موجودة في هذا القسم فقد رئي أنه يحوي مجموعة من الأقوال مأخوذة من مراحل مختلفة من خدمته، وبالتالي ثار جدل كبير حول صحة وتاريخ هذا الجزء .

فقد اعتقد بعض الكتّاب أن تاريخه يرجع لما قبل الانهيار الذي حدث عام ٥٨٧ ق.م.، بينما اقترح البعض الآخر أن أقوالاً معينة ترجع لتاريخ متأخر من السبي وكتبها شخص آخر بخلاف إرميا. وإن كانت نظريات من هذا النوع الأخير تستند بشدة على إعادة كتابة أقوال إشعياء بما في ذلك افتراضات لا أساس لها اطلاقاً واستنتاجات لم تثبت صحتها ولا شك أن الأصحاحين (٣٠و٣١) يحويان أقوال إرميا الحقيقية وهما ينسبان إلى مملكة الشمال ويعكسان الاهتمامات المتواجدة في (٣: ٦ــ١٣)، والأصحاحان ٣٢و٣٣ والمكتوبان كلاهما بالنثر يبدو أنهما يحويان ثلاث مجموعات من الأقوال يحتمل أنها كانت مستقلة بعضها عن البعض الآخر في الأصل .

٣٠: ١ــ١١ : تأكيدات العودة

الأعداد من (١ــ٣) تكون عنواناً للمجموعة الكاملة، حاوية الموضوع الرئيسي للرجاء ورد سبي إسرائيل ويهوذا. ففي السبي سوف يتعلم أناس العهد

الطاعة مما سوف يتألمون به (عبرانيين ٥:٨) .

نجد هنا تصويراً لآلام السبي في صورة الولادة (٦) إذ يضع الرجال أيديهم على أحقائهم في ألم عظيم (كماخض). ومع ذلك فحتى تلك الفترة من المعاناة والمصيبة ستكون مقدمة لخلاص الله (عاموس ٥:١٨ــ٢٠، صفنيا ١:١٤ــ ١٨) .

وبالمثل فآلام المسيح مع أنها كانت قاسية وعنيفة، فقد جلبت فوائد روحية تفوق الوصف للجنس البشري والإشارة إلى (يعقوب) يقصد بها إسرائيل ككل، وما أن ينكسر نير المسخر الأجنبي حتى يخدم بنو إسرائيل مسيح الله في العالم (حزقيال ٣٤:٢٣، هوشع ٣:٥، لوقا ١:٦٩، أعمال ٢:٣٠) وعددا (١٠ و١١) متواجدان مرة أخري في (٤٦:٧) .

٣٠:١٢ــ١٧ : شفاء الجروح

إن الجرح المزمن الذي تعاني منه إسرائيل ضربة عدو قاس. وعدد (١٣) يمثل بعض الصعوبات ولكن يمكن أن يكون هكذا: «ليس أحد يتصدى لشفائك، ليس لك عقاقير شافية»، وعن «محبيك» (٢٢:٢٠) فهم الأمم المجاورة الذين اتكل عليهم يهوذا لمساعدته ضد بابل، والعقاب القاسي (١٤) هو الجزاء العادل على شر يهوذا. والعودة المستقبلية سوف تبدأ بعقاب أولئك الذين ظلموا إسرائيل، وجروح الأمة الغير قابلة للشفاء ظاهرياً سوف تشفى (٨:٢٢، يوئيل ٢:٢٥). فالشفاء الجسدي والروحي هما المكونات الأساسية لعمل الله الخلاصي في المسيح .

٣٠:١٨ــ٢٤ : رد سبي أورشليم

من وسط الأنقاض سوف تخرج مدينة تنافس مدينة داود وسليمان في البهاء. وعندئذ سوف يمد الله يده لحماية الاقتصاد ويبارك الحاكم الوطني، هذه الفقرة تستدعي الصورة التي رسمها إشعياء في أصحاح (٣٥) ولكن بلغة إرميا .

وعددي (٢٣و٢٤) يذكران السامعين بأن البر الإلهي يحرك القضاء الإلهي وباستثناء كلمة واحدة فإن عدد (٢٣) يماثل (٢٣:١٩) تماماً. ففي أصحاح

(٢٣) ذكرت كلمة (mithotel) «هائج» بينما الكلمة (mitgorer) جارف هنا. ومعنى هذه الكلمة في الأصل غير أكيد ولكنها ربما تكون مأخوذة عن (garar) أي «يكتسح» وواضح أنها مرادف لنظيرتها في (١٩:٢٣) .

٣١: ١ـــ ٤٠ : رد السبي والعهد الجديد

إن الرجاء المجيد لأمة مستردة يشمل إسرائيل ويهوذا هو الموضوع الرئيسي لهذا الأصحاح .

١ــ٦ : فالحياة الجديدة لمملكة الشمال موعود بها لأولئك الذين تُركوا بعد سقوط السامرة في عام ٧٢٢ ق.م، والترحيل الذي حدث نتيجة لذلك تم على يد سرجون الثاني. ويرى إرميا أن سبي إسرائيل تجربة أخرى مماثلة لتجربة القفر كما يرى ذلك هوشع أيضاً (٢: ١٤ــ١٦) .

والكلمات (سرت لأريحه) ترجمت في بعض الترجمات (عندما كان إسرائيل يبحث عن الراحة). أما التعبير «أدمت لك الرحمة» فقد جاء في بعض الترجمات الأمانة hesed أو «العناية الساهرة»، ويستحيل أن تحل مكانها كلمة واحدة فقط ولكنها تعبر عن الطبيعة الإلهية كما هي ممثلة في عهد سيناء. ويمثل هذا النوع من الرحمة أو الحنان أو المحبة فإن الله سوف يجذب شعبه المسبي إليه ثانية (هوشع ١١: ٤). وفي العودة فأولئك الذين يزرعون سوف يحصدون الثمار بأنفسهم (٥) وفي السبعينية نجد العبارة «يزرعون ويقدمون الحمد»(*) أي أن الغارسون يجنون الثمار. وبذا تكون باللغة الواردة في (تثنية ٢٨: ٣٠و٣٩) فقد رفعت الآن .

والحراس (٦) ربما يكونون أولئك المراقبين لاقتراب المواكب الفرحة الذاهبة لهيكل أورشليم، ومملكتا الشمال والجنوب تتحدان معاً مرة أخرى في توقع للعودة .

٧ــ١٤ : في عودة إسرائيل السعيدة سيكون لها شرف المكان الأول بين

(*) يتكرون أي يجنون البكور من ثمارهم (المحرر) .

جيرانها (عاموس ١:٦)، والأمر بالتوبة الذي أعلن تجاه الشمال (١٢:٣) قد نجم عنه عودة إسرائيل التائب، وحتى العميان سيأتون من طريق لم يعرفوها (إشعياء ١٦:٤٢) .

وهذا الخروج العظيم الثاني من أرض السبي سيصحبه تفجر أنهار من الصخور (إشعياء ٣:٤٠ــ٥، ١:٤٣ــ٧، ٢٠:٤٨، ٩:٤٩ــ١٣) .

وعند عودتهم فالله سوف يرعاهم كالراعي الصالح المهتم أساساً بسلامة قطيعه (إشعياء ١١:٤٠). والتقدمات الوفيرة التي سوف تقدم للكهنة تدل على وفرة إنتاجية الأرض. وأهمية الطلبات الصحيحة من تقديم الأهم على المهم في الدعاء لله نجدها واضحة هنا (متى ٣٣:٦). ورفض التمييز بين الرخاء المادي والبركات الروحية شيء يميز السامية بوضوح .

١٥ــ٢٢ : البكاء والعزاء الإلهي

«الرامة» مدينة تقع في منطقة جبعون وبئيروت (يشوع ٢٥:١٨) وهنا جمع قائد الحرس المسبيين بعد سقوط أورشليم (إرميا ١:٤٠) وأطلق سراح إرميا. وقد احتلت المدينة من جديد بعد العودة من بابل (عزرا ٢٦:٢، نحميا ٣٣:١١) والإشارة لراحيل تعني الإشارة لقبرها الواقع بالقرب من الرامة على بعد خمسة أميال شمال أورشليم (صموئيل الأول ٢:١٠) وطيف راحيل هنا يبكي على نسلها الذي رحل سنة ٧٢٢ ق.م. (انظر متى ١٨:٢) حيث اقتبست نفس الكلمات ليس كنبوة بل لتوضيح الحديث في مناسبة قتل الأطفال على يدي الملك هيرودس، وفي العودة فإن الله سوف يمسح كل الدموع من عيونهم (رؤيا ١٧:٧، ٤:٢١) .

والآن فبعد أن تعلمت إسرائيل الدرس فإنها سوف تخضع للتعليم الإلهي، والذي عندما نحمل نيره نجده هيناً وخفيفاً بل وممتعاً أيضاً (متى ٣٠:١١).

وكعودة الابن الضال فإن أفرايم يتوقع أن يرى انسكاب محبة الآب (لوقا ٢٢:١٥ــ٣٢) .

والخطاب موجه إلى (عذراء إسرائيل) في عدد (٢١) بضمير المخاطب المفرد،

ومع أن لها سادة آخرون فالله ما زال يعتبرها عروسه (٣:٣١) .

وبداية عدد (٢٢) وحتى متى تطوفين[1]«أيتها البنت المرتدة» (٢٢:٣) أما الشيء الجديد هنا فهو أن امرأة تحمي رجلاً ، وهذا يبين عمل المحبة من الطرف الأضعف جسمياً نحو الأقوى .

في العهد الجديد ينزل الرب إلى مستوى شعبه مخلياً نفسه للدرجة التي يمكن بها أن يلمسوه، ويتمثل هذا الموقف في تجسد المسيح، فالعبارة تقول : «والكلمة صار جسداً» (يوحنا ١٤:١) حيث صار الله مثلنا لكي يجعلنا نحن مثله هو .

٢٣ــ٣٠ : سعادة الأيام المقبلة

في المستقبل سيستخدم الناس مرة أخرى عبارات تصور يهوذا وأورشليم كمسكن للبر والروحانية الحقة (زكريا ٣:٨) .

وباستخدام اللغة النبوية في الفعل الماضي، يقرر إرميا كيف أن الله أشبع التائبين، وهو منظر ملأ قلب النبي بالسعادة والرضا وسط الظلام. وإذ تم استيعاب دروس الارتداد، فالزارع السماوي سوف يكثر من الناس وقطعانهم في أرض مثمرة منتجة (حزقيال ٩:٣٦ــ١٢) .

والمثل المشهور في عدد (٢٩) يعكس شكوك المسبيين (مراثي ٧:٥، حزقيال ١:١٨) الذين أحسوا أن الله عاملهم بقسوة لظروف لم يكن لهم فيها يد ولم يرتكبوا ذنباً. ويرفض إرميا تلك الفكرة مبيناً أنه في المستقبل سوف يعاقب الناس على خطاياهم وحدهم . ومما ورد في (حزقيال ٢:١٨ــ٤) يوضح نفس الفكرة عن المسئولية الفردية والموجودة من قبل في التوراة (تثنية ١٦:٢٤) .

٣١ــ٣٤ : العهد الجديد

لن يكون العهد الموسوي مرناً بما فيه الكفاية لعصر النعمة الإلهية الجديد،

---

(١) حتى متى (تتأخرين) حسب النص في اللغة الانجليزية (المترجم) .

ولذا فإنه سوف يستبدل بعهد جديد سوف يكون محفوراً بعمق في قلوب بني إسرائيل الذين سوف يطيعونه طوعاً وليس كرهاً . وسيحل محل الارتداد السابق الأمانة من نحو الله حتى لا تستعبد الأمة فيما بعد لآخرين. ويصر إرميا على أن الارتداد كان وراء كل مصائب إسرائيل .

٣٥ـ٣٧ : إن عدم تغير الله ينبئ عنه النظام المحكم للأجرام السماوية. فخالق الكون وحده هو الذي يمكن أن يخرج نظاماً بديعاً بهذه الدقة المتناهية. ومحبة الله لإسرائيل الضال موضوع حساس وملحّ في النبوة .

٣٨ـ٤٠ : برج حننئيل

وكان يقع في الركن الشمالي الشرقي من أورشليم و(باب الزاوية) كان في الركن الشمالي الغربي من المدينة (زكريا ١٤:١٠، نحميا ٣:١، ١٢:٣٩) .

وكانا يشكلان معاً حدود السور الشمالي من الشرق إلى الغرب. وموضعا (جارب) و(جوعة) غير معروفين ولكن العدد يبدو أنه يدل على امتداد حدود أورشليم على الجانب الغربي .

و«الوادي» المذكور في عدد (٤٠) هو وادي ابن هنوم (انظر ٧:٣١) بينما (الرماد) يمثل بقايا الدهن من الذبائح البشرية. و«الحقول» غير مؤكدة المعنى وقد نسبت دون سبب مقنع للعبارة (sdmt) أي حقل موت أي حقل إله الموت الكنعاني . فبالرغم من دنس هذا الموضع فالله سيطهره كما سوف يطهر الأمة من خطيتها .

وكان نهر «قدرون» يجري شرق أورشليم وكان يقع باب الخيل في الركن الجنوبي الشرقي من الهيكل (نحميا ٣:٢٨) .

مذكرة إضافية عن العهد الجديد

تمثل نبوة إرميا فاصلاً بين عهدين في الحياة الدينية والطقسية للعبرانيين، فمنذ تاريخ تلك النبوة فصاعداً هناك فرق واضح بين ما حدث في الماضي وبين ما يميز الطقوس الدينية المستقبلية لإسرائيل .

ففي خلفية حياة الأمة بأسرها وما يعطي أهمية لإسرائيل كشعب مختار كان العهد الذي كان قد تأسس في سيناء. وكان من الضروري بموجب هذا الاتفاق التزام الإسرائيليين بطاعة الشروط الإلهية. وهذا موقف معروف لديهم جيداً نتيجة إلمامهم بكل ما يتعلق بالاتفاقات الدولية العالمية السارية في حقبة الألف الثانية قبل الميلاد. ولكن أثناء مرحلة الاستقرار نجحت إغراءات الديانة الكنعانية الوثنية في استمالة الإسرائيليين وإبعادهم عن الولاء للعهد. وهذا الابتعاد عن مطاليب العهد أدى إلى الارتداد الذي أدانه وهاجمه أنبياء ما قبل السبي بشدة عندما اتخذ طابعاً خطيراً .

وترجع المشكلة في أحد جوانبها إلى أنه قد تم التوصل إلى نوع من الخلط بين ممارسة ديانة العهد والانغماس في الطقوس الفاسدة للعبادة الكنعانية كنوع من توحيد العقائد المختلفة ضد عدو مشترك، ونتيجة لذلك اندمجت الطقوس الوثنية في العبادة العبرية التقليدية، حتى أنه في معظم فترات ما قبل السبي في التاريخ الإسرائيلي، كان يمكن أن يقال إن العبادة الناتجة من هذا الخليط كانت تشبه العبادة السليمة تشابهاً سطحياً، ومع ذلك فعند فحص الأمور عن كثب، كان يتضح للعيان أن الطقوس الكنعانية الفاسدة هي السائدة تماماً على عقول أغلبية العابدين، وقد أدى هذا بالطبع إلى درجة من الحماس الديني الشائع ولكن يبدو أنه غاب عن انتباه الأجيال في إسرائيل أن العهارة الكنعانية (qdsu) ليست لها أدنى صلة من قريب أو بعيد بمطاليب إله قدوس في حياة يشترط فيها القداسة (qds) .

ونمط المعيشة في الشرق طبقاً للأغراض الشخصية، أو طبقاً لتقاليد الأجداد وبمعزل عن ناموس مقنن قد أغرى أجيالاً كثيرة من العبرانيين على الاعتقاد بأن طرق آبائهم كانت مناسبة لهم أيضاً ليسلكوا فيها، وبإعلان إرميا بالدينونة والمصير الذي ينتظرهم كأمة بسبب الارتداد والخطية، فإنه كان يذكر سامعيه المعاندين والمتخذين موقف العداء له أنهم طالما أهملوا وتحللوا من التزامات عهد سيناء .

وطبيعة الله الأدبية والأخلاقية كانت تتطلب الالتزام بما عليهم من حقوق نحوه طبقاً لاتفاق العهد، وعندما تحول الموقف إلى النقيض من ذلك، تبع ذلك

بالطبع، أن عقاب إسرائيل كان في الواقع، نوعاً من الإعلان عن العدل الإلهي. لقد رأى إرميا أن العهد الموسوي كان غير ملائم حتى في أوج كماله، لأنه كان مفروضاً من الخارج، تماماً كما كانت الاتفاقات الدولية في ذلك العصر الغابر.

ومع أنه كان يتضمن نظاماً شاملاً للذبائح لإزالة الخطية، إلا أنه لم يكن يتضمن العفو عن الإثم الذي يرتكب عمداً مع سبق الإصرار (عدد ١٥ : ٣٠) .

والخطايا التي نجمت عن هذا النوع من العصيان اتخذت شكلها النهائي من الرفض المتعمد لعهد الحب (hesed)، ربما كان ذلك نمط الحياة في إسرائيل لعدة قرون. فقد كان لابد من إدخال تعديلات جديدة على مستقبل الأجيال القادمة، حتى يمكن غرس الدروس الأخلاقية المستفادة من تجارب السبي على شكل تجديد قومي متتالٍ . والعهد الجديد الذي يتصوره إرميا سيكون عهداً مبنياً على الروح لا على الحرف (كورنثوس الثانية ٣:٦) وكاستجابة للرحمة الإلهية (hesed) فإنه ينبع بحرية من عمق الكيان البشري، وهبة الغفران والمصالحة الإلهية ينجم عنها شعور جارف بالامتنان من إسرائيل التائب، وإدراك أكمل لالتزامات الشركة الروحية مع الله. لقد كان موسى الوسيط الذي تم على يديه عهد مجيد مع إسرائيل من الخارج. ولقد أثبت هذا الاتفاق عدم فاعليته عبر القرون عند التأمل في أخطاء الإسرائيليين أنفسهم وليس بسبب طبيعة العهد ذاته. ومع ذلك فالتدهور المتوالي في العلاقات على كل المستويات قد جعلت عهد سيناء عديم الفاعلية. وكان على إرميا أن يعلن عن قدوم عهد جديد مع الإسرائيليين، ولأن الولاء لهذا العهد الجديد سوف ينبع من الداخل فإنه سيكون فعالاً على الدوام وباقياً بصفة مستمرة. وبينما سيعقد هذا الاتفاق الجديد مع الإسرائيليين فإنه لن يقتصر عليهم وحدهم لأنه بسبب حرية الاختيار كشرط أساسي في جوهر العهد فإنه في النهاية سوف يصلح كاتفاق بين الله وأي شخص يلتزم بهذا العهد وفي إعلان هذ الشكل الجديد لروابط العهد، كان من رأي كل من إرميا وحزقيال أنه تعبير عن الفكرة القديمة للروابط المشتركة باستبدال الأمة ككل بالفرد .

وكنتيجة فورية لهذا الإعلان كان على الإنسان ألا ينسب بعد الآن سوء سلوكه للتقاليد الموروثة أو الميول الاجتماعية السائدة، وبدلاً من ذلك وبموجب

العهد الجديد عليه أن يقبل المسئولية الفردية عن سوء أفعاله الشخصية. وربما كان من أهم الإنجازات التي قدمها إرميا للفكر الديني، إصراره على أن العهد الجديد كان يتضمن علاقة شخصية روحية.

وعند بدء العهد الجديد بعمل يسوع المسيح الكفاري في الجلجثة، حدث هذا التطور إذ صار الإيمان الشخصي ــ مقابل المفهوم الجماعي ــ متاحاً لكل الجنس البشري.

ومن ذلك الوقت فصاعداً فكل شخص يخضع ذاته بإرادته للإيمان بشخص المسيح المخلص والرب يمكنه أن يصبح عضواً في كنيسة الله.

ولذلك فالعهد الجديد بدم المسيح هو ثمرة النعمة الإلهية العظمى وبواسطة علاقة صلة روحية خاصة، يمنح قوة كافية لغفران كل خطية، وفيه اختبار أعمق لرحمة الله كنتيجة لهذا الغفران وإحساس أشمل بأخوة جميع البشر كأعضاء في الشركة مع المسيح.

٧ ــ النبوات منذ عصر صدقيا
(٣٢: ١ ــ ٤٤: ٣٠)

٣٢: ١ ــ ٤٤ : بيان عملي على الإيمان بمستقبل الأمة

هذا الأصحاح هام لأنه يقدم إيضاحاً ملموساً لإيمان إرميا ورجائه في العودة المستقبلية لشعبه. وقد وقعت الحادثة في عام ٥٨٨ / ٥٨٧ ق.م بينما كان البابليون يدقون أبواب أورشليم تمهيداً لنهبها بعد ذلك بعدة شهور. وقد اشترى إرميا قطعة أرض وهو عالم أنه بينما هو نفسه لن يستطيع أن يستقر هناك في المستقبل في ظل السلام والرخاء إلا أن مسبيين آخرين سوف يرجعون ويستأنفون الحياة على أرض مألوفة لديهم.

١ ــ ١٥ : الشراء

طبقاً لما جاء في (٣٩: ١) بدأ حصار أورشليم في السنة التاسعة للملك صدقيا، وقد رفع الحصار لمدة بسيطة عندما اقتربت القوات المصرية من أورشليم

(٣٧:٥) ولكنه فرض مرة أخرى عندما قرر المصريون الامتناع عن القتال. وعندما كان إرميا ذاهباً إلى عناثوث من أورشليم ليتولى عملية شراء ملكية العائلة ظنوه يتعامل مع العدو، ولذا تم القبض عليه (٣٧:١١ــ١٤) ، ووضع في حبس محكم ولكنه أعطى بعد ذلك قليلاً من الحرية (٣٧:٢١). وكانت دار السجن (نحميا ٣:٢٥) عبارة عن سياج داخل القصر الملكي. والأعداد من (٣ــ٥) عبارات اعتراضية وضعت لتفسير السبب في احتجاز إرميا، ومنعه من الهروب كان أمراً ثانوياً لأن الهدف الرئيسي كان محاولة القضاء على رسالته النبوية. والحديث الذي يذكر حق القريب في التملك بالشفعة (٧) يبين أن العادات القديمة التي تتحكم في ملكية الأرض كانت لا تزال سارية المفعول .

وفي لاويين (٢٥:٢٥) يمكن للقريب أن يفك البيع في ظروف معينة لكي لا يجعل الملكية تخرج من العائلة، وبسبب الظروف السياسية الغير مواتية ربما لم يهتم أقارب إرميا بالأرض التي احتلها العدو، وقبل اختراع النقود في القرن السادس ق.م كان البيع والشراء يتم عادة عن طريق كميات موزونة من الذهب أو الفضة (تكوين ٢٣:١٦) والقيمة الحقيقية للشاقل في تلك الفترة غير معروفة على وجه اليقين، وقد كانت الاجراءات القانونية الصحيحة تراعى كما لو كانت الأرض في حالة السلم، وكانت الحجة تتكون من نسخة محرزة (مغلقة) تشمل العقد وشروط البيع ونسخة أخرى مفتوحة وسواء كانت الوثيقتان طبق الأصل أو كانت إحداهما تحوي ملخصاً للثانية فهذا ما لا يمكن تأكيده . وربما كانت الحجة مماثلة لعقود أخرى من جزيرة فيلة حيث كانت الحجج من نسختين تكتبان على ورق البردي، إحداهما مقفلة ومختومة والأخرى مفتوحة ليسهل الرجوع إليها .

وعدد (١٢) ذكر به (باروخ) لأول مرة كاتب إرميا والذي كان مسئولاً عن إعداد وثائقه، وكانت الأواني الفخارية شائعة الاستعمال لحفظ الأوراق والنفائس الأخرى. وقد استعيدت بعض أوراق البردي من جزيرة فيلة من أوعية فخارية كما ثبت ذلك من مخطوطات البحر الميت. وكانت الأواني تختم بالقار لضمان حفظ محتوياتها إلى ما شاء الله. وما أن تسكن الأرض من جديد حتى تستعيد حجج الملكية أهميتها بالنسبة لمالكيها . وكل ذلك يوضح ثقة إرميا الرائعة

بالمواعيد الإلهية الخاصة برد سبي الأمة.

١٦ــ٢٥ : رد الفعل وتهدئة الخواطر

يظهر هنا تصرف إرميا كبشر، فكأي شخص آخر بدأ يعيد التفكير في الحكمة من تصرفه هذا بعد أن اشترى الأرض، فقد صلى بحزن إلى الله الذي هدأ من روعه ليطمئن من نحو المستقبل. ويحاول إرميا أن يسكن من مخاوفه وقلقه بالتفكير بأنه لا شيء يستحيل على الله الذي خلق الكون فهو يفعل ما يشاء. ومع ذلك فهناك مشكلة خطيرة تتعلق بيهوذا، لأن الأمة قد رفضت سلطان الله عليها (لوقا ١٩:١٤) ولأن كل شيء مكشوف بالنسبة لله فلا يمكن لأي شر أن يختفي عن نظر الله .

وأسوار الحصار ضد أورشليم كانت تشهد بأن انذارات الله السابقة قد أضحت حقيقة ماثلة الآن، وبسبب ذلك كان يصعب على إرميا أن يعتقد أن الله الغير متغير وكلي القدرة يمكن أن يأمره بشراء الأرض بينما كانت نهاية الحياة الطبيعية في يهوذا قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى. ومع ذلك فقد أمر النبي أن يتصرف كما لو كان للأرض مستقبل مجيد ورائع وكان إيمانه وطاعته في ظل هذه الظروف نموذجاً للسلوك يحتذي به كل من المؤمنين الحقيقيين (عبرانيين ١١:٦) .

٢٦ــ٣٥ : رد الله على إرميا

يستخدم الله نفس كلمات إرميا (١٧) ليؤكد له أنه لا شيء يعسر على الخالق. إن عبادة الأوثان على السطوح (انظر ١٩:١٣) كانت من أكثر الأخطاء الذميمة للشعب المختار. ونجد هنا تركيزاً على شرورهم المستمرة طوال تاريخهم. وأورشليم تمثل الأمة كلها والتي كانت في أيام ما قبل داود النبي مسرحاً لوثنية اليبوسيين، والفساد الذي أدخل تحت حكم سليمان كان بداية لدخول العبادات الغريبة إلى جانب عبادة الله، والارتداد بصورة شبه مستمرة .

وفي عصر إرميا كان ذلك هو الطابع السائد للحياة حتى أن إصلاحات يوشيا لم يكن لها تأثير دائم، وقد أضاف المواطنون لتلك العبادات إساءة وإغاظة

موجهه لله برفضهم المتعجرف لعهد النعمة وتعمد خطب ود العبادة الكنعانية الوثنية. و«المرتفعات» (٣١:٧) شهدت أهم طقوس عبادة «مولك» بتقديم ذبائح بشرية (١٩:٥، لاويين ٢١:١٨) .

٣٦ـــ٤٤ : وعد برد السبي

يستأنف هنا الموضوع الوارد في عدد (٢٧) معلناً عن مستقبل مجيد ليهوذا طبقاً لعهد مراحم الله .

(٣٧) «الأراضي التي طردتهم إليها» تعبير نبوي حيث أن الفعل في الماضي لأن السبي لم يكن قد حدث بعد «ويكونون لي شعباً» (٢٢:٣٠) تعبير يحوي جوهر وفحوى العهد، والاتحاد بين الله والأمة سوف لا تنفصم عراه مرة أخرى، لأن المسبيين العائدين سيكونون متجددي الإرادة والروح. ومثل تلك النهضة سوف تصبح عهداً دائماً (٤٠) (إشعياء ٣:٥٥، حزقيال ٦٠:١٦، ٢٦:٣٧). وسوف يهطل الله ببركاته على الشعب التائب المتطهر (إرميا ٢٨:٣١، تثنية ٩:٣٠، إشعياء ٥:٦٢). وسوف تشتري الأرض وتباع مرة أخرى على نمط ما فعله إرميا (٤٣) و«الحقول» في عدد (٤٤) سوف تصبح من «ممتلكات الدولة»، والاجراءات المتبعة بشأنها توحي باقتصاد مستقر مزدهر في ظل المدد الإلهي .

٣٣ : ١ـــ٢٦ : معنى رد السبي (قومياً) على مستوى الأمة

ما زال موضوع البركات الممنوحة للمجتمع العائد مستمراً. وتحتوي أجزاء من النص على بعض الصعوبات مع حذف الأعداد من (١٤ـــ٢٦) في الترجمة السبعينية . ويربط عدد (١) الأقوال بالأصحاح السابق .

١ـــ٨ : عودة الشعب

اقرأ عدد (٢) «الرب صانعها الرب مصورها ليثبتها»، وكلمة الرب الثانية إضافة من الكاتب ويمكن الاستغناء عنها، وقد تم طمأنة النبي المأسور بأن كل ما عليه أن يطلب لينال (أيوب ٣٢:١٣، مزمور ١٨:١٤٥، إشعياء ٩:٥٨، متى ٧:٧) .

وإذا كان الله على استعداد دائم لاستجابة صرخة القلب البشري فعلى الإنسان أولاً أن يطلب العون . والكلمة (b'sufet) هي (عوائص) تعني عادة الأمور البعيدة المنال وتعني هنا البعيدة عن متناول المعرفة البشرية، وتستخدم بعض الطبعات العبرية كلمة (n'surot) ومعناها مخفيات وهي تلك التي جاءت في (إشعياء ٤٨:٦) وإن كنا نفضل المعنى (الأكثر صعوبة) .

وهناك صعوبة في نهاية عدد (٤) لأن النقطة التي ينتهي عندها العدد غير واضحة للمتاريس والمجانيق وهي تعني بعمل دفاع ضد استحكامات الحصار،[1] وفي عدد (٥) في الـ RSV «الكلدانيون قادمون للقتال»، وذلك خلاف ما جاء في الترجمة العربية : «يأتون ليحاربوا الكلدانيين. ويبدو أن بعض الكلمات قد سقطت من الطبعة الأصلية، ومن الصعب الحصول على ترجمة مقبولة،[2] وفي عدد (٦) وعد بالشفاء إما للمدينة أو لسكانها كما في الترجمة العربية، ولكن على أي حال فلسوف تشفى الجراح القديمة (٨:٢٢) في عصر السلام والأمن. وبعض طبعات السبعينية تقول (أورشليم) بدلاً من (إسرائيل) في عدد (٧)، ولكن التأكيد على كلمة (كالأول) يشير إلى عصر إتحاد إسرائيل ويهوذا .

إن العهد الجديد الموعود به سيؤسس على أساس غفران الخطايا (حزقيال ٣٦:٢٥) .

٩ــ١٣ : رد سبي الأرض

إن اسم أورشليم سوف يكون مرادفاً لمراحم محبة الله لشعبه التائب. والعهد الجديد سوف يستمر في الشهادة لطبيعة الله، ونعمته المخلصة، وأتباعه الآن قد تطهروا من كل معالم الوثنية وسوف يقفون بثبات في وسط عالم وثني كشهود على وجود الله وأعماله العظيمة، ورخاء الأرض المستردة سوف يجلب أنشودة وفرحاً من أولئك الذين يقدمون تقدمات الشكر للهيكل (عزرا ٣:١١، مزامير ١٠٦:١، ١١٨:١، ١٣٦:١). وسوف يذكر ذلك بالعصر الذهبي للملكية

---

(١) «عن بيوت هذه المدينة وعن قصور ملوك يهوذا التي تم هدمها ليقام منها سور دفاع ضد متاريس الحصار والمجانيق» (كتاب الحياة) (المحرر) .

(٢) في كتاب الحياة تغلبوا على المشكلة بالقول: «في القتال الناشب مع الكلدانيين» (المحرر) .

الأولى، ومرة أخرى سوف تمر الرعية تحت يدي الراعي، كالطريقة المعتادة لعدها عند دخولها الحظيرة ليلاً، فسوف يشعر شعب الله عندئذ باللمسة الحانية ليدي الراعي العظيم .

١٤ــ٢٦ : إقامة نسل داود

مع عودة الثروات القومية سوف تقام العبادة في الهيكل، وكل ما ينقص لاكتمال صورة العصر الذهبي هو وجود ملك مثالي .

ولا يفصح إرميا كثيراً عن المسيا الآتي كما يفعل إشعياء، ولكنه مع ذلك يقدم لمحات للمسيح كينبوع المياه الحية (١٣:٢) والراعي الصالح (٢٣:٤، ٣١:١٠) وغصن البر (٢٣:٥) والفادي (٥٠:٣٤) والرب برنا (٢٣:٦)، وداود الملك (٣٠:٩) .

والأعداد (١٥و١٦) تكرر الموضوع الوارد في (٢٣:٥) مع بعض التغييرات بأن ملكاً سوف يخرج من نسل داود ليعيد الأسرة الملكية القديمة. ولا نجد هنا مقارنة بين المسيا والملوك الذين من نسل داود الحقيقي كما في (٢٣:٥) .

والاسم الجديد لأورشليم التي تمثل كل يهوذا سوف يكون (الرب برنا) مبيناً أنها في النهاية سوف تمثل قداسة العهد. والأسرة الملكية الموعودة سوف تكون دائمة وسوف يكون وجود الكهنة اللاويين مستمراً ليقدموا خدمة دائمة . ودوام نواميس الله الكونية يضمن طبيعة الدوام لعهد داود (صموئيل الثاني ٧:١٢ــ١٦). وبذلك يضمن للإسرائيليين مكاناً في مجرى أحداث التاريخ وقد تمت هذه النبوات في عمل يسوع المسيح «أصل وذرية داود» (رؤيا ٢٢: ١٦) الذي يستحق وحده لقب «الرب برنا» .

وإذا كانت أورشليم مهد المسيحية الأول ترمز للكنيسة (رؤيا ٢١:٢و١٠) فالمشتركون في العهد الجديد هم تحت التزام بأن يعلنوا قداسة الله (أفسس ١:٤، ٥:٢٧، تسالونيكي الأولى ٤:٣، بطرس الأولى ١:١٥ الخ) وأن يشهدوا للعالم عن بر المسيح الذي يبرر الأثيم، وإذ تقوم كنيسة المسيح بجذب الناس ليختبروا خلاص المسيح فإنها تتمم ذلك البر الذي أنجزه المسيح بالتمام كممثلة له في العالم .

٣٤: ١-٢٢ : بداية النهاية ليهوذا

يستأنف الحديث الآن عن السرد التاريخي لحياة إرميا، ولكنه لا يذكر إلا النذر اليسير عما فعله إرميا فيما بين ٥٩٤ و٥٩٠ ق.م.، مع أنه يستمر في الإعراب عن إحساسه بقرب حلول الكارثة والحاجة الملحة للخضوع لبابل حتى يمكن إنقاذ الأرض. لقد بدأ الهجوم النهائي (٣٤: ١)، ولقد مهد له تمرد صدقيا ضد بابل في عام ٥٨٩ ق.م.، وطبقاً لما جاء في (٥٢: ٤) بدأ البابليون الحصار مبكراً في عام ٥٨٨ ق.م.، بينما قضوا في نفس الوقت على المدن المحصنة في يهوذا بأسرع ما يمكن. ويصف هذا الأصحاح المراحل الأولى للهجوم النهائي على أورشليم ويظهر الموقف البائس لصدقيا .

وذكر لخيش وعزيقة (٧) يعني نفس الفترة المذكورة في اللوح (٤) من لخيش والذي كتب فيه قائد مركز طليعي متقدم بالقرب من أورشليم إلى نظيره في لخيش قائلاً إنه كان ينتظر إشارات ضوئية لأنه لا يستطيع أن يرى عزيقة. فإذا كان الأخير قصد أن عزيقة قد سقطت فإن ذلك يعني أن سقوطها قد تم فوراً بعد إعلان إرميا في هذا الأصحاح .

١-٧ : رسالة حول مصير صدقيا

كانت الجيوش الكلدانية تتكون من سبع وحدات من ممالك سبق إخضاعها وانخرطت في سلك الإمبراطورية البابلية وهذه القوات كانت تسحق أية مقاومة في يهوذا، ونبوات الدمار ترى أن مقاومة صدقيا سوف تكون بلا جدوى عندما يدخل نبوخذنصر أورشليم منتصراً وسوف يذهب الملك الذليل إلى بابل مأسوراً ولكنه سيموت بهدوء هناك دون أن ينفذ فيه حكم الإعدام، وسوف يُحتفى بموته بحرق البخور في احتفال مهيب كما كان يعمل لأجداده في أرض الوطن (أخبار الأيام الثاني ١٦: ١٤، ٢١: ١٩) . وقد تكلم الله مع إرميا أثناء هجوم العدو على لخيش وعزيقة، وكانت الأولى على بعد حوالي ٣٥ ميلاً إلى الجنوب الغربي من أورشليم والأخرى على بعد حوالي ١٥ ميلاً في الجنوب الغربي من العاصمة. وكانت لخيش في أقصى اتساع لها (تل الدوير) حوالي ١٨ فداناً في الامتداد وبذلك كانت تعد أكبر من أورشليم ولم يتقدم البابليون إلى أبعد من ذلك جنوباً أثناء حملتهم .

٨ـــ١١ : قطع العهد والحنث به

أثناء تلك الكارثة حث صدقيا سادة بعض العبيد أن يقسموا بأن يحرروا العبيد العبرانيين ظاناً أن الله سوف يتأثر بذلك العمل الخيِّر ويرفع الحصار عن العاصمة. وعند ذلك وصلت الأخبار بأن الجيش المصري كان يتقدم ليخفف الضغط عن أورشليم، قد جعلت تلك الأنباء البابليين يرفعون الحصار مؤقتاً ليعيدوا تنظيم قواتهم ويهاجموا المصريين المتقدمين .

تلك المهلة القصيرة لابد أنها كانت تبدو خالية من أي عمل معجزي للمواطنين المحاصرين في أورشليم، وقد اقتنع بعض مالكي العبيد أن الخطر الآن قد ولى الأدبار حتى أنهم نقضوا وعودهم السابقة للعبيد في الحال وأرجعوهم بالقوة لخدمتهم .

هذا الحنث بالوعد مخالف للناموس العبري القديم، «ناموس العتق» (تثنية ١٢:١٥). وظروف العبودية كانت نتاج القرن السابق والذي كانت مظالمه الاجتماعية محل هجوم عنيف من عاموس وهوشع وإشعياء وميخا، وبمخالفتهم لوعودهم فإن هؤلاء السادة لم يخالفوا فقط ناموس العهد ولكنهم أيضاً دنسوا اسم الله الذي حلفوا به .

ومع ذلك فقد كان ذلك بالضبط هو الموقف اللامسئول والمتقلب الذي اتخذه الشعب المختار لعدة أجيال والذي حل بهم العقاب بسببه الآن .

١٢ـــ١٩ : يقارن إرميا بين طبيعة الله الأدبية السامية، وبين خسة أناس العهد وحنثهم بالوعد، وفرض العبودية من قبل عبرانيين على عبرانيين آخرين قد هوجم باعتباره إنكاراً لحق الحرية الشخصية الذي أيده الله في وقت الخروج، وقد حددت فترة العبودية بست سنوات خدمة في ناموس موسى (خروج ٢:٢١، تثنية ١:١٥و٢) ولكن السبع سنوات في عدد (١٤) كانت تشتمل على سنة الحرية (العتق) ولا يصح تعديلها إلى (ست) كما في بعض الترجمات. والكلمات «الذي بيع لك» جاءت في الماسورية «الذي باع نفسه لك» وهذا يفسر التقليد الشرقي القديم الذي يخدم فيه الأفراد بإرادتهم أشخاصاً

آخرين لأسباب اقتصادية. وذكر كلمة (البيت)[1] يبين أن التعهد بالإطلاق قد تم في الهيكل تحت إشراف السلطات الدينية المختصة. وبمخالفة تعهداتهم فإن هؤلاء السادة قد تحدوا أيضاً الناموس السماوي (خروج ٢٠:٧) وبذلك يكونون قد ارتكبوا خطية الحنث بالعهد إلى جانب الخيانة والغدر .

وفي عدد (١٨) «العجل الذي قطعوه إلى اثنين». والإشارة هنا للطريقة البابلية القديمة في المصادقة على العهد (تكوين ١٥:٩و١٧) بما يوحي بأن أولئك الذين نكثوا الاتفاق عليهم أن يتوقعوا نفس المصير كالحيوان الذبيح. ولقب (خصى) (sáris) انظر وقارن صموئيل الأول ٨:١٥، إرميا ٥٢:٢٥ الخ) كان وظيفة ملكية أو موظف تابع للدولة وليس بالضرورة خصى بالمعنى الحرفي للكلمة .

٢٠ــ٢٢ : أن يقدم المرء ليكون طعاماً للطيور كان يعني مصيراً مرعباً ومقيتاً في أعين العبرانيين لأن الجثث في هذه الحالة لن تدفن كالمعتاد، ومثل تلك العقوبة كانت توحي بأن صاحبها قد ارتكب جرماً خطيراً وكان إرميا يرى أن إعادة توزيع الجيوش البابلية في مجابهة المصريين المتقدمين كان مجرد إجراء مؤقت لإنجاز المهمة الجادة للإطاحة بأورشليم، فالدمار النهائي وما يصاحبه من أهوال كان على وشك أن يطل بوجهه الكئيب الغاضب على المدينة .

٣٥: ١ــ١٩ : النبي والركابيون

يتم التركيز هنا على الأحداث في نهاية حكم يهوياقيم. وعدد (١١) يبين أن قوات الغزو الأرامية والكلدانية كانت تنهب يهوذا . أنظر سفر ملوك الثاني ٢:٢٤ لتعرف أسباب الهجوم. وبينما كان البابليون يعيدون تنظيم صفوفهم بعد المعركة مع مصر عام ٦٠١ ق.م. قاموا بغارات متفرقة على أهداف مختارة في يهوذا فيما بين ٥٩٩ و٥٩٧ ق.م. ونجد تلميحاً لذلك في عدد (١١). ولكن لماذا تم وضع هذا الأصحاح والأصحاح الذي يليه في هذا المكان؟ فهذا ما يصعب الإجابة عليه .

---

(١) تقابلها كلمة (عندك) في الطبعة العربية (المترجم) .

١١-١ : إرميا يختبر أمانة الركابيين

كلمة (بيت الركابيين) عدد (٢) تشير إلى أن المجتمع الديني للركابيين كان عبارة عن عشيرة أوجماعة مؤسسها هو (يهوناداب) ابن ركاب (ملوك الثاني ١٠ :١٥ـ٣١)، وقد كان شريك«ياهو» الغيور في القضاء على بيت آخاب (٨٤٠ ق.م.) وفي المذبحة التي دبرت لعبدة البعل ورد الفعل العنيف ضد عبادة البعل التي في صور كانت احتجاجاً على الفكر الديني المتحفظ الذي كان يعتنقه ركاب مع آخرين (ملوك الثاني ١٠:١ـ١٠). وكان الركابيون من سلالة الفينيقيين (قضاة ١:١٦، أخبار الأيام الأول ٢:٥٥). وربما عاشوا كقبائل رحل في مناطق الصحراء الجنوبية (صموئيل الأول ١٥:٦). وفي إسرائيل بعد الاستيطان (قضاة ٤:١٧، ٥:٢٤). وفي عصر «ياهو» ربما كانوا يرعون غنمهم بالقرب من حماة في مملكة الشمال، ولكن بعد سقوط إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م. ربما انتقلوا جنوباً، وفي عصر إرميا يبدو أنهم استقروا في مرتفعات يهوذا، وكان نمطهم في الحياة كما فرضه يهوناداب، تقديس النظام البدوي وحظر الزراعة كان يبين احتقار البدو الرحل للعمل اليدوي المهين والمتعب الذي يقوم به السكان المستقرين، وفي ظروف الحياة البدوية كان انتاج الخمر غير معروف ومن ثم كان محظوراً على أفراد القبيلة. ويبدو أنه توجد علاقة هنا بين ذلك وبين تعهد مماثل كان يعتبر جزءاً لا يتجزأ من نمط بعض الذين عليهم نذر. وأما شرب الخمر بإفراط فقد كان شائعاً في الشرق القديم، وكان جزءاً لا يتجزأ من الاحتفالات الدينية الكنعانية .

٤ـ١ : لقد أُخبر إرميا أن يُحضر الركابيين من معسكرهم إلى إحدى الغرف الداخلية للهيكل حيث توجد معدات الطقوس والفرائض (أخبار الأيام الأول ٢٨:١٢). ربما كان (يازنيا) قائد الجماعة في يهوذا، وأبوه ليس قريباً للنبي، ويرد الاسم قبل وبعد السبي (ملوك الثاني ٢٣:٣١، ٢٤:١٨، أخبار الأيام الأول ١٢:١٠و١٣، نحميا ١٠:٢، ١٢:١و٣٤) .

وقد ورد اسم (يازنيا) على ختم عثر عليه في (تل النصبة) ويرجع تاريخه إلى عام ٦٠٠ ق.م. وهذا يبين أن هذا الاسم لم يكن غريباً في هذه الفترة[١]،

---

(١) انظر D. W. Thomas «وثائق من عصور العهد القديم» ص٢٢٢ .

ولأنه مثال عملي كان لابد لهذه الرواية الدرامية أن تأخذ طابع العلانية بتقديمها في الهيكل . وحانان بن يجدليا والغير معروف في مواضع أخرى، قد يكون نبياً ذا صلة بالعقيدة الدينية وربما كان متعاطفاً مع إرميا. ولقب (رجل الله) كان يطلق منذ البداية على الأنبياء مثل صموئيل (صموئيل الأول ٩:٦) وإيليا (ملوك الثاني ١:٩) وأليشع (ملوك الثاني ٩:٤ الخ) وآخرين، ويجدر أن يكون اللفظ «رجل التقوى» .

كان لكلمة (بني) في هذا العدد (عدد ١) نفس قوة تأثير لفظ «بني الأنبياء» في القرنين العاشر والتاسع ق.م.، ويبدو أن (حانان) كان رئيس جماعة من التلاميذ ولكن بما أن التعبير غير وارد سوى في سفر إرميا فيصعب التيقن من حقيقة هذا الأمر .

(معسيا بن شلوم) وهو حارس الباب وكان يشغل وظيفة كهنوتية كان يقوم بها ثلاثة أفراد (إرميا ٥٢:٢٤، ملوك الثاني ٢٥:١٨) وقد كانوا مسئولين عن الأموال المخصصة لعمل الإصلاحات في الهيكل (ملوك الثاني ١٢:١)، وكان ينظر إليهم بعين التقدير لما لهم من نفوذ ديني (إرميا ٥٢:٢٤) .

٥ــ١١ : الكلمة طاسات تطلق على أوعية كبيرة كان يصب منها الخمر في أقداح وكؤوس(*)، والرد الركابي يظهر قوة تأثير شخصية يهوناداب بعد مرور مائتي عام على حياة الجماعة في المجتمع ومدى طاعتهم للقوانين التي وضعها والتي كانت تهدف إلى أن تعكس فترة السير في البرية عندما كان بنو إسرائيل يسيرون بأمانة مع إلههم (٢:١ــ٣) .

والطبعة السبعينية لعدد (٧) حذفت كلمة (زرع) واستعاضت عنها بهذه العبارة «لا تمتلكوا كرماً»، ولأن الركابيين كانوا إسرائيليين، فإنهم لم يكونوا (gerim) «غرباء مستوطنين» بالمعنى المألوف، ولكن كان عليهم أن يعيشوا كغرباء وسياح في الأرض وعلى استعداد أن يرحلوا بناء على أمر الله (عبرانيين ١١:١٣، ١٣:١٤، بطرس الأولى ٢:١١)، والطاعة لأوامر يهوناداب حظيت

(*) انظر تك ٤٤:٢و١٢و١٦ (المحرر)

بتأييد من الله للركابيين (١٨و١٩) والتي كانت أمانتهم في تناقض تام مع خيانة إسرائيل .

١٢ــ١٩ : الدروس المستفادة من هذه الحادثة

بعد محاولة إغراء الركابيين بدون جدوى، يستخدم إرميا الآن رفضهم التخلي عن مبادئهم لتقديم درس ليهوذا. فبينما كانت تعليمات يهوناداب تطيعها الأجيال المتعاقبة كانت أوامر الله في سيناء تهمل بل ترفض في الواقع وصار هذا هو السلوك المألوف في الحياة. وسيتبارك الركابيون على أمانتهم، ولكن أندادهم في أورشليم سوف يواجهون أهوال المذبحة الوشيكة، والأصحاح كله يبرز معنى الأمانة والالتزام الأخلاقي، وكالعادة يبين عدم الثقة في الشعب المختار .

٣٦:١ــ٣٢ : كتابة درج السفر

يخبرنا هذا الأصحاح القيم الطريقة التي كتبت بها نبوات إرميا. فقديماً في عصر يهوياقيم أمر الله النبي أن يكتب نبواته، وما أن تم ذلك حتى كان السفر يقرأ بالتتابع، وأخيراً تم تدمير السفر على يدي الملك الغاضب. ثم صار الأمر لإرميا بعد ذلك أن يجمع سجلاً جديداً لأقواله، ويضيف إليه أقوالاً أخرى .

١ــ٧ : أملى الدرج الأول عام ٦٠٥/٦٠٤ ق.م. في السنة التي أحرز فيها البابليون انتصاراً حاسماً على مصر وربما كانت بداية الكارثة باعثاً على جمع النبوات على أمل أن يتوب يهوذا. وربما كان الدرج رقوقاً من الجلد على هيئة كتاب (مزمور ٤٠:٧، حزقيال ٢:٩) وكانت الكتب العبرانية القديمة تكتب محتوياتها على شكل أعمدة متوازية تستوجب فتح الدرج عند الاستمرار في القراءة .

والمحتويات الحقيقية للوثيقة التي نحن بصددها، غير معروفة بالرغم أنه من المحتمل أنها كانت تضم من بين ما تضمه مختارات أدبية وأشعار أعلنت بين عامي ٦٢٦ و٦٠٥ ق.م.، وبمضاهاتها بالنبوة الحالية يتضح أنها قصيرة نسبياً لأنها يمكن أن تقرأ ثلاثة مرات في يوم واحد (الأعداد ١٠و١٥و٢١) .

و(باروخ بن نيريا) (٤) كان أخو سرايا رئيس المحلة للملك صدقيا (٥١: ٥٩) وقد ذكر أولاً في (١٢:٣٢) كمرافق لإرميا وقد خدم سيده بأمانة (١٠:٣٦) وكتب نبواته (٣٦:٤و٣٢) وكان يقرأها بصوت عالٍ أمام الناس (١٠:٣٦ــ١٥)، وعندما سقطت أورشليم أقام مع إرميا في المصفاة، وعندما قتل جدليا قبض عليه للتأثير على إرميا لكي يرحل (٣:٤٣)، وطبقاً لما جاء في (٦:٤٣) ذهب مع إرميا إلى مصر حيث ماتا هناك على ما يبدو وفي كل أجزاء النبوة يذكر باروخ على أنه كاتب إرميا وليس كاتب السفر. والفعل العبري (asur) الذي يصف سجن إرمياً (٥) يرد في (١:٣٣)، (١٥:٣٩) بمعنىَ إلقاء القبض على أو السجن، ولكن المعنى هنا مختلف حيث أن عدد (١٩) يبين أن إرميا كان حراً في أن يهرب عندما يريد ولذلك كان باروخ يتصرف كنائب للنبي حتى يسمع الناس الذين في الهيكل الدعوة للرجوع والتوبة. وهنا يجب ملاحظة الطبيعة الشرطية للنبوات فإذا لم تتحقق التوبة بعد القراءة الجهرية للدرج فإن بني يهوذا سوف يختمون على مصيرهم بأنفسهم .

٨ــ١٠ : من عدد (٩) يظهر أن الصوم كان يعلن في أوقات الأزمات القومية. وكان الشهر التاسع هو ديسمبر من عام ٦٠٤ ق.م. عندما أطاح البابليون بأشقلون في سهل فلسطين ربما كانت هذه الحادثة هي السبب في إعلان الصوم . و(جمريا) هو ابن «شافان» الكاتب الرسمي للدولة تحت حكم يوشيا (ملوك الثاني ٢٢:٣و٨)، فإذا كان «شافان» هذا هو نفسه الرجل المذكور في إرميا (٢٤:٢٦) يكون «جمريا» أخو «أخيقام» الذي عامل إرميا برفق، ولقد كان اسم «جمريا» شائعاً إلى حد ما في القرن السابع ق.م وإحدى رسائل «لخيش» (اللوح الأول) تذكر (جمريا بن هيسيل ياهو) في عام ٥٨٩ ق.م.، و«الدار العليا» كانت هي الدار الداخلية في (ملوك الأول ٣٦:٦،١٢:٧).

١١ــ١٩ : قراءة للرؤساء

حيث أن جمريا كان حاضراً مجمع الرؤساء والقادة في ذلك الوقت (١٢) فلربما أوعز إلى أبيه بأن يكتب تقريراً عن طبيعة ومحتوى القراءة . فإذا كان «اليشاماع» الكاتب هو نفسه «اليشاماع» المذكور في (إرميا ٤١ :١، ملوك الثاني ٢٥:٢٥) فإنه يكون من أصل ملكي .

و«الناثان بن عكبور» ذكر مرة أخرى في (إرميا ٢٢:٢٦) أما عن الآخرين باستثناء «جمريا بن شافان» فلا يعرف عنهم شيء . و«يهودي بن نثنيا بن شلميا بن كوش» غير معروف إلا في هذا الموضع، ولابد أنه كان ذا أهمية في عصره وإلا ما كان هناك داع لذكر نسبه إلى الجيل الثالث، وإذا أمر الرؤساء باروخ أن يجلس فمن الواضح أنهم كانوا يظهرون له المودة، وربما انحدر من عائلة من الطبقات العليا. والاستقبال والحفاوة التي قوبل بها قد تدل على أن إرميا بعض الأتباع بين حكام يهوذا، واستقبالهم المشوب بالخوف للدرج ألزمهم أن يخبروا الملك فوراً بما فيه. وطبيعة الوثيقة شهد لها باروخ الذي كتبها بنفسه بالحبر. ثم اهتم الرؤساء بعد ذلك بسلامة إرميا وباروخ. ومن الواضح أنهم استفادوا من النهاية المأساوية التي لقيها «يوريا» نتيجة لأقواله (٢٣:٢٦)، كما يتبين ذلك من أن الناثان بن عكبور الذي كان قد سلم يوريا (٢٦: ٢٠ـــ٢٣) كان حاضراً في هذه المناسبة. وذكر التقليد اليهودي أن مكان الاختباء عرف باسم «كهف إرميا»، وكان يقع خارج باب دمشق بالرغم من أن تلك الأخبار لم تصل لدرجة اليقين.

٢٠ــــ٢٦ : الملك يسمع عن الدرج

لا شك أن «أليشاماع» توقع استقبالاً فاتراً من يهوياقيم المتعجرف والذي كان يسكن في بيت الشتاء. والكلمة العبرية (beyit) تعني أحياناً جزءاً من البناء (أخبار الأيام الأول ١١:٢٨، حزقيال ٢٤:٤٦) . ففي المنازل المكونة من طابقين كان الطابق الأرضي عادة يستخدم للإقامة الشتوية بينما الطابق العلوي الجيد التهوية كان أنسب لحر الصيف. وكان (الكانون) مصدراً للحرارة في يوم شديد البرودة من أيام الشتاء.

وكلما كان «يهودي» يقرأ عدة أسطر من الدرج كان الملك يقطع ذلك الجزء ويحرقه في النار حتى تم حرق كل الدرج. و«المبراة» أو «سكين الكاتب» كانت تستخدم في عمل وإصلاح الأقلام المصنوعة من الغاب ولقطع أو قص سجلات البردي. والتحدي السافر الذي أظهره الملك وحاشيته في تناقض صارخ مع رد فعل يوشيا عندما سمع سفر الشريعة المكتشف حديثاً وهو يقرأ (ملوك الثاني ١١:٢٢)، والاسم «يرحمئيل ابن الملك» (٢٦) قد يعني أنه كان من سلالة الملك، ولذا فهو أمير أو كان عضواً في أهل بيت الملك (إرميا ٦:٣٩،

ملوك الأول ٢٢:٢٦، صفنيا ١:٨) . وتوضح الترجمة العربية أنه لولا العناية الإلهية فإن إرميا وباروخ كانا سوف يلقيان نفس مصير «يوريا» .

٢٧ــ٣٢ : النسخة الثانية من الدرج

كم مضى من الوقت بعد تدمير الدرج الأصلي وبين عمل النسخة الثانية؟ لا أحد يعرف بالضبط. ولكن ربما لا تزيد عن عدة شهورعلى الأكثر. والنسخة الثانية تشتمل على مادة إضافية تركز على المصير الذي ينتظر حاكم غير تقي. ولأن «يهوياقيم» قد حرق التحذير الأصلي، فإنه سوف يعاقب بحرمانه من شخص يخلفه على الدوام. فابنه «يهوياكين» حكم لمدة لا تزيد على ثلاثة شهور قبل أن يسبى هو نفسه (أخبار الأيام الثاني ٣٦:٩) وإتمام عدد (٣٠) ليس مدوناً في التاريخ، و(ملوك الثاني ٢٤:٦) لا يذكر شيئاً عن ظروف دفنه. لقد كان يهوياقيم مذنباً كشعبه في رفض كلمة الله، ولذا فإن مصيره سوف يماثل مصير الأمة .

١:٣٧ــ٢١ : نبوة إرميا وسجنه

ذكرت هنا حادثتان في الفترة من (٥٨٩ــ٥٨٨ ق.م.) فلربما في ربيع ٥٨٨ ق.م. جاءت الأخبار بوصول قوة الإنقاذ المصرية وبالتالي رفع البابليون الحصار عن أورشليم لمدة قصيرة لمواجهة التهديد الحربي الجديد، ونتيجة لذلك فقد شهد السكان المحاصرون هدنة لالتقاط الأنفاس كان يأمل الكثيرون أن تصبح دائمة .

١ــ١٠ : استئناف الحصار

الاسم (صدقيا) يصلح كعلامة انتقال عن أحداث الأصحاح السابق .

«مُلك الملك» تعبير غريب بالنسبة لشخص كان مجرد دمية في يد البابليين، نصبوه في عام ٥٩٧ ق.م.، وبرغم كل التحذيرات السابقة فالملك والشعب كانوا لا يزالون يسيرون بموجب طرقهم الرديئة في الارتداد. وإذ أرسل إلى إرميا (٢١:١) فقد كان في نية صدقيا أن يطلب منه أن يسأل الله من أجل يهوذا لكي يجعل الهدنة المؤقتة دائمة .

(يهوخل بن شلميا) كان مقاوماً لإرميا وطبقاً لما جاء في (٣٨:٤) كان قد

طلب موته، و(صفنيا بن معسيا) كان عضواً في الوفد السابق إلى إرميا الذي كان حتى تلك اللحظة مطلق السراح. والفرعون المذكور في عدد (٥) كان خفرع (٤٤: ٣٠) والذي حكم من ٥٨٩ إلى ٥٧٠ ق.م.، والذي سار مندفعاً لمساندة صدقيا في ثورته ضد بابل (حزقيال ١٧: ١١ـــ٢١). ومع ذلك فقد تراجع قبل الدخول في معركة حقيقية تاركاً أورشليم لتسقط في يد البابليين سنة ٥٨٧ ق.م.، وعدم تدخل نخو الثاني (٦١٠ـــ٥٩٥ ق.م.) سمح لبابل أن تهاجم أورشليم في ٥٩٧ ق.م. والنتيجة الوحيدة لتدخل خفرع كان رفع الحصار لمدة مؤقتة، ولكن في نهايتها تمت الإطاحة بآمال صدقيا .

ولقد كان رد إرميا فيه إجابة على كل نتائج خداع النفس والتي كان من نتيجتها المنطقية وقوع الكارثة .

(والرجال الذين طعنوا) (١٠) طعنوا في المعركة بالسيوف والخناجر. والمعنى المقصود أنه حتى لو تحولت القوات البابلية إلى رجال مجروحين جروحاً خطيرة ينامون في خيام كمأوى لهم، فحتى والحال هذه فسوف يمكنهم أن ينهضوا ويستولوا على أورشليم. وهذه المبالغة في تصوير المصير الذي يوشك أن يلحق بالعاصمة هو تصوير بليغ ويتسم بالقوة أيضاً .

١١ـــ٢١ : القبض على إرميا

عند رفع الحصار حاول النبي أن يخرج لكي يبحث عن الأرض المشتراه من «حنمئيل» ولكن أسيء فهم نواياه وتم القبض على إرميا بعد الشك في أنه ذاهب إلى العدو .

وباب بنيامين (١٣) كان يقع في الجانب الشمالي من أورشليم وكان مؤدياً إلى أرض بنيامين. و«حننيا» المذكور هنا ليس هو الرجل المذكور في (٢٨: ١٠) والذي قاوم إرميا. وغضب الرؤساء (١٥) يبرز تغييراً ملحوظاً في الموقف بين هؤلاء الرجال وبين سابقيهم تحت حكم يهوياقيم (٢٦: ١٦، ٣٦: ١٩) والذي كان مسبياً وقتئذ في بابل لبعض الوقت .

وقد عملت ترتيبات مؤقتة لحبس إرميا في بيت كاتب الدولة،[1] وفي

(١) يوناثان الكاتب (المترجم) .

حالات كهذه كانوا يستخدمون الجب لحبس الأشخاص المقبوض عليهم، ومثل هذه التجربة كانت أليمة جداً (٣٨:٦و١٣)، فيبدو أن إرميا قد وضع تحت الأرض في حبس منفرد، ومع استئناف الحصار بحث صدقيا مرة أخرى عن مساعدة إرميا، ومع ذلك لم ترد أي أخبار مطمئنة بل كل ما أعلن هو إعلان عن مصير محتوم بسبب الارتداد القومي (٣:٣٢، ٢:٣٤)، وبعد ثلاثين سنة ظهر الأنبياء الكذبة على حقيقتهم (٢:٢٨). ويبدأ عدد (٢٠) بالقول: «والآن اسمع يا سيدي الملك ليقع تضرعي أمامك ولا تردني إلى بيت يوناثان»، وقد أجيب إلى طلبه ونقل إرميا إلى دار السجن الذي في بيت الملك (٢:٣٢، نحميا ٢٥:٣، ٣٩:١٢) بدلاً من الجب الغير صحي تحت الأرض، وأصبح لإرميا الآن شيء من الحرية وقد أعطى قسطاً من الطعام يومياً .

«سوق الخبازين» اسم يدل على عادات الشرق القديم حيث كان لكل حرفة أو صناعة شارع يقتصر على أهل المهنة، وإذ يقرب الحصار من نهايته تحدث المجاعة المتنبأ عنها .

٣٨:١ـــ٢٨ : النبي يسجن ويطلق سراحه ويقابل صدقيا

الأحداث الزمنية لهذا الأصحاح تبرز بعض الصعوبات بسبب التشابه بينها وبين ما ورد في (٣٧:١١ـــ٢١) ففي كلتا الروايتين يُتهم إرميا بالخيانة ويُسجن (٣٧:١٥ـــ٢٠، ٣٨:٦و٢٦) .

وكلا الأصحاحين يتحدثان عن مقابلة سرية مع الملك، وكلاهما ينتهيان بأن يوضع إرميا في دار السجن، ولكن يوجد مع ذلك اختلاف في الروايتين تشمل وصف النجاة في أصحاح (٣٨) والمكان الفعلي لحبس إرميا، وحقيقة أن صدقيا كانت له سلطة كافية لمنع إعدام النبي بتهمة الخيانة، ولربما كان هذا الأصحاح صورة مفصلة لأصحاح (٣٧) بالرغم من أنه قد يشير إلى حادثة مغايرة تماماً حيث أن إرميا كان على دراية كافية بالغضب الذي يعتمل في صدور بني وطنه .

١ـــ١٣ : حبس إرميا وإطلاق سراحه

كان (شفطيا بن متان) من الرؤساء ولا يعرف عنه أكثر من ذلك. كان

الملك قد سبق وأرسل (يهوخل) «يوخال بن شلميا» (٣:٣٧) و«فشحور بن ملكيا» (١:٢١) في مهمة سابقة لإرميا، فلو كان إرميا قد نقل إلى دار السجن في ذلك الوقت (٢١:٣٧) لكان في إمكانه أن يخاطب الناس بحرية كافية طبقاً لما ورد هنا . وما أعلنه في (٩:٢١) كان يستخدم الآن دليلاً ضد إرميا، حيث كان يبدو للرؤساء كنوع من الخيانة. فقد كان لأقوال إرميا تأثيرها حيث أنها كانت تؤدي إلى إضعاف الروح المعنوية للشعب (٤) ومن باب السخرية أن يوجه هذا الاتهام إلى الأشراف والرؤساء (sārim) (انظر التعليق على ١٧:٢٠) أنفسهم من قبل وطن مجهول الاسم في إحدى رسائل «لخيش» (اللوح رقم ٦) وبينما لم يكن صدقيا يريد أن يعلن إرميا تلك الرسائل الانهزامية إلا أنه لم يصرح بتنفيذ حكم الإعدام فيه ربما ظناً منه أنه طالما كان النبي على قيد الحياة فإن الله يمكن أن يرجيء عقاب يهوذا المتنبأ عنه في (١٥:٣٧). والجب (عدد ٦) كان موجوداً في بيت الكاتب، بينما يبدو هنا أنه كان في دار السجن. وهذا يعني وجود موضعين منفصلين للحبس، وكان لمعظم البيوت في أورشليم آبار خاصة (ملوك الثاني ٣١:١٨، أمثال ١٥:٥) لتخزين المياه المتجمعة من الأمطار أو من الينابيع، وكانت في العادة على شكل كمثرى ذات فتحة صغيرة من أعلى يمكن تغطيتها عند الضرورة لمنع الحوادث أو تلوث الماء. وبحلول عام ١٢٠٠ ق.م. كانت الآبار تقوّى بالأسمنت، وكمثال لذلك خزان قمران، والخزان الذي نحن بصدده لم يكن مستعملاً، ولكنه بالرغم من ذلك كان يحتوي على طين لزج مترسب اضطر النبي أن يقف أو يجلس عليه .

عبد ملك (٧) كان عبداً حبشياً للملك صدقيا والذي بسبب جنسيته قد يكون خصياً. واللفظ (خصي) والمحذوفة من الـ (LXX) تدل عادة على موظف في الحاشية أو القصر (٢:٢٩، تكوين ١:٣٩ الخ). ومن الواضح أن الملك كان يبت في بعض الأمور الشرعية عند باب بنيامين، مما سهل على «عبد ملك» أن يكلمه، والرأي بأن مؤن الغذاء قد نفدت مبالغ فيه إلى حد ما حيث أن المؤن قد دامت حتى ما قبيل سقوط المدينة بوقت قليل (٦:٥٢) .

و«الثلاثون رجلاً» (عدد ١٠) يمكن أن يكونوا ثلاثة فقط بشيء من التعديل في النص، وهو رقم أكثر واقعية، بقراءة كلمة (Slsh) بدلاً من (Slsm) التي قد تكون هي الأصل .

وبدلاً من (أسفل المخزن) (عدد ١١) يمكن أن نقرأها (إلى مخزن الملابس) (ملوك الثاني ١٠:٢٢) حيث أن الأخيرة أكثر احتمالاً أن تدل على مكان لقطع الملابس القديمة .

١٤ــ٢٣ : صدقيا يستشير إرميا ثانية

المدخل الثالث، غير مذكور إلا هنا، وربما كان هو (مدخل الملك) (ملوك الثاني ١٦:١٨)، وإن كان الأمر كذلك يكون مدخلاً سرياً بحيث يسمح لاستشارة بين الملك والنبي. يتوجه صدقيا اليائس إلى نفس الرجل الذي كان قد نبذه هو وشعبه طويلاً ، ويقسم بعدم قتل إرميا بسبب تقديم إجابات صريحة على أسئلته. والقسم يبدأ هكذا «حي هو الرب الذي صنع هذه النفس...» فالله هو الذي يأخذ الحياة كما أعطاها ومن ثم فالمتوقع أن يأخذ حياة صدقيا إذا حنث بقسمه. وبعد أن اقتنع إرميا بذلك بدأ يسرد الاحتمالات المخيفة، و«كل» ما يتعلق بطبيعة الحرب قديماً يجب ملاحظته مرة أخرى. فالملوك المتمردون والذين كانوا يستسلمون كانوا في العادة يتعرضون للتشويه ثم يحكم عليهم بالموت، ولذا فالاحتمالات أمام صدقيا لم تكن مبشرة بخير، ومع ذلك فهو يحض على الاستماع بعناية لرسالة الله من خلال إرميا حتى ينجو بحياته. وفي الرؤيا يسمع النبي صوت نساء أفراد الحاشية وبيت الملك وهن يترنمن بأغنية حزينة (٢٢) يعبرن فيها عن عار سبيهن والإذلال الذي يلقينه على يد القوات العسكرية للعدو وعلى المستوى الدبلوماسي، وسوف يكون ذلك مهيناً لصدقيا لأن الإشارة إلى الخديعة قد تكون إشارة لأعضاء الجماعة المؤيدة لمصر في الحاشية والذين قدموا للملك نصيحة غير مخلصة .

«غاصت في الحمأة رجلاك» (٢٢) : وبناء على ما جاء يمكن أن تكون العبارة هكذا «جعلوا رجليك تغوص في الحمأة» وفي العدد التالي «وسوف تحرق هذه المدينة بالنار» أو «هذه المدينة سوف تحترق لتسوى بالأرض» كما في ترجمة أخرى .

٢٤ــ٢٨ : لو تسربت أي كلمة مما دار في المقابلة السرية لأصبح موقف صدقيا في غاية السوء، وسوف يصبح بلا حول ولا قوة لإنقاذ حياة إرميا.

والذريعة التي سوف تقدم عن سبب المقابلة، (٢٦) إذا احتاج الأمر لذلك: أن إرميا كان يتوسل إلى الملك حتى لا يعاد للجب الذي كاد يموت بسببه (١٥:٣٧) وهذا الاحتياط كان لازماً لأن إرميا قد استجوب بعد ذلك (٢٧) من العديد من الرؤساء عن المقابلة بينه وبين الملك، وحتى سقوط أورشليم كان إرميا محفوظاً في دار السجن حتى يكون تحت مراقبة مستمرة .

٣٩:١ـــ١٨ : أورشليم تسقط ويهوذا تقع تحت السبي

يقدم هذا الأصحاح سرداً مختصراً عن الاستيلاء على أورشليم والملك والشعب وإطلاق سراح إرميا على يد البابليين .

١ـــ٣ : سقوط المدينة

(انظر ٥٢:٤ـــ١٦، ملوك الثاني ٢٥:١ـــ١٢) .

لقد بدأ الحصار في يناير من عام ٥٨٨ ق.م.، وباستثناء هدنة قصيرة في الصيف فقد استمر حتى يوليو سنة ٥٨٧ ق.م. عندما انهارت كل مقاومة. وكما أشار إرميا بقوة من قبل، فالساعة المحتومة لا يمكن تأجيلها إلى مالانهاية، وعندما قرر المصريون ألا يهبوا لنجدة أورشليم ركز البابليون على اختراق الأسوار والإطاحة بالمدينة ، والمدافعون الذين انهارت قواهم لم يكن أمامهم خيار سوى الاستسلام. وأقام قادة العدو مجلساً عسكرياً عند الباب الرئيسي لأورشليم. وتشير الماسورية إلى بعض التشويش في حفظ الأسماء البابلية ولا يصعب فهم سبب ذلك عندما نعرف الظروف المسببة لذلك (١٣) حيث من الواضح أن نفس الاسم «نرجل شراصر» قد ذكر مرتين في عدد (٣)، والاسم يعني «نرجل يحمي الملك» وقد وصف بأنه رئيس المجوس وقد كان مسئولاً ، مكانة رفيعة لا نستطيع معرفة واجباته الدقيقة في الوقت الحاضر، ولربما كان هو الملك (نيري جلسر) (٥٥٩ـــ٥٥٦ ق.م.) والذي خلف نبوخذنصر ، بابل بعد أن قتل أولاً ميرودخ الشرير ابن نبوخذنصر في ثورة. وقد ورد سم (نيري جلسر) في القرن السادس ق.م. في النصوص البابلية الشرعية وفي وش أخرى.

وربما كان (سمجر نبو) لقباً وليس اسم شخص، وفي الماسورية فإن

(سمجر) منقولة عن اللقب البابلي المنتسب لموظف من نابو (Nabu) (رئيس الخصيان) كان صاحب مقام كبير وكانت له مهام عديدة دبلوماسية أو عسكرية .

٤ـ٨ : أسر صدقيا

كانت حديقة الملك تقع بالقرب من بركة سلوام (نحميا ٣:١٥) بينما الباب الذي بين السورين ربما كان (باب العين) الذي ورد في (نحميا ٢:١٤، ١٢:٣٧) و(العربة) كانت وادي الأردن العميق شمال البحر الميت، وهي مخرج يبدو أنه كان أفضل طريق للهروب... ومع ذلك فصدقيا وأتباعه قد أسروا وأحضروا إلى نبوخذنصر في معسكره في ربلة بالقرب من أرض حماة .

والحكم بالموت (٦) كان هو المصير العادل على القادة الذين يقودون مقاومة غير ناجحة في وجه الحصار طبقاً لمواثيق الحرب في الشرق القديم، وقلع العينين كان شكلاً آخر من أشكال العقوبة القديمة (قضاة ١٦:٢١). والعبارة بدءاً من «بيوت الشعب» (٨) بمقارنتها بما جاء في (٥٢:١٣) يبدو أنها فقدت عدة كلمات في النقل حيث نقرأ «بيت الملك وبيت الرب وكل بيوت الشعب» .

٩و١٠ : سبي الشعب وإطلاق سراح إرميا

«رئيس الشرط» لقب قديم وهو (حرفياً : رئيس السقاة) الذي احتفظ بلقبه لمدة طويلة بعد تغيير الوظائف. (تكوين ٤٠:٢). في نهاية عدد (٩) «وبقية الشعب الذين بقوا» وهي تعني «وبقية الرجال المهرة» فالفلاحون فقط الذين يبدو أنه من غير المحتمل أن يثيروا أي مشاكل في وجه البابليين قد تركوا هناك (١٠) وقد وزعت عليهم الأرض في الريف .

والكلمة المترجمة (حقول) (Y'gebîm) يختلط معناها (gebim) (خزانات) في ضوء ما جاء في (٥٢:١٦) (كرامين وفلاحين) فقط أعطاهم كروماً وحقولاً.

١١ـ١٤ : العناية بإرميا

أطلق سراح نبي الله الآن وعومل باحترام كبير، وقد كان القبض عليه

مبنياً على الجهل بشخصه وقد عامل أهل ما بين النهرين البسطاء إرميا كرجل الله بنفس الاحترام والإجلال الذي كانوا يولونه لأنبيائهم وعرافيهم في بابل، وقد وضع في رعاية (جدليا) بن أخيقام بن شافان (١٤)، والذي جعل بعد ذلك حاكماً على بقية الشعب (٥:٤٠) وعاش إرميا وجدليا في المصفاة أولاً وقد انضم إليهما بعض الهاربين من قوات يهوذا. وقد مُنحت تلك القوات مكاناً للسكنى بشريطة ألا يقوموا بثورة (٧:٤٠ــ١٢)، وقد دبر ملك عمّوني معاد مؤامرة لاغتيال جدليا حوالي ٥٨٢ ق.م. (ملوك الثاني ٢٥:٢٥، إر ١:٤١ــ ٣) ولكن الله أتم وعده بإنقاذ إرميا (انظر ٨:١)، منقذاً إياه بينما تم القضاء على الآخرين .

والمسيحي له وعد أكيد بعناية الله المحب ورعايته لأبنائه المخلصين (متى ٣٠:١٠، بطرس الأولى ٧:٥ الخ)

١٥ــ١٨ : رسالة إلى عبد ملك

هذا الجزء بعيد عن الترتيب الزمني الدقيق، ومن المفروض منطقياً أن يأتي بعد (٢٨:٣٨) عندما تكلم إرميا مع الملك صدقيا سراً . ففي وقت حرج احتج عبد ملك بنجاح لدى الملك عن ظروف حبس إرميا، وبسبب هذا السلوك البطولي، كوفيء بالتعهد له بمستقبل آمن. وحيث أن إرميا كان محبوساً في دار السجن حتى ذلك الوقت فقد كان من المستحيل عليه أن (يذهب) بالمعنى الحرفي الدقيق. وكان عبد ملك خائفاً من عقابه على يد أولئك الذين أرادوا الانتقام من خادم القصر لاتهامه لهم بسبب سلوكهم الشرير (٩:٣٨)، ومع ذلك فثقته بالله قد أدت لخلاصه، وهذا موقف يمثل السلوك الذي يجب أن تتسم به الحياة المسيحية (أعمال الرسل ٣١:١٦) .

١:٤٠ــ١٦ : إرميا يظل في يهوذا مع جدليا

هذا الأصحاح يتعامل مع أحداث معينة في حياة إرميا بعد سقوط أورشليم، فلأسباب غامضة وجد النبي نفسه وسط مسبيين آخرين، ولكنه أصبح مطلق السراح بعد وقت قصير، وأعطى مطلق الحرية في أن يعيش في بابل أو أن يقيم في يهوذا .

١ــ٦ : قرار إرميا

يتضح من ٦:٣٩ أن نبوخذ نصر لم يكن في يهوذا بالفعل عندما سقطت أورشليم ولكنه كان يقود العمليات من إحدى القواعد العسكرية، ربما في ربلة رامة (١٥:٣١) والمسماة حديثاً (إرام) فقد كانت على بعد حوالي خمسة أميال من أورشليم وقد اختيرت كمركز لترحيل المسبيين إلى بابل. على أي حال وجد إرميا نفسه محاطاً بآخرين من السبايا وعندما أطلق سراحه وجد نفسه مقيداً بسلاسل بالرغم من تعليمات نبوخذنصر بمعاملته معاملة خاصة وربما كان ذلك نتيجة خطأ غير مقصود. ولا شك أن المتسببين فيه قد خافوا العقاب الإلهي، والقصة تكتمل في (١١:٣٩ الخ) بينما الحديث عن الكارثة قد يبدو غريباً على فم جندي وثني من بلاد ما بين النهرين، إلا أن الكلدانيين كانوا مدركين إلى حد ما بالأسباب غير الظاهرة لانهيار يهوذا، وقد كانت سمعة إرميا كنبي قد سبقته ويتضح ذلك من التوصية في ١٢:٣٩ .

وتعهد رئيس الشرط أن يرعى إرميا في حالة قبوله الذهاب إلى بابل . فإذا عرف عن هذا القائد أنه المهتم بمثل ذلك النبي القوي فهذا تدعيم لمركزه كقائد في مسقط رأسه. وفي حين كان يؤخذ الآخرون عنوة إلى السبي فقد أعطى أعداء يهوذا لإرميا الحرية كاملة في الاختيار، فقد شهدت الأحداث الجارية لتقوى ذلك النبي مبينة لخصومه أنه كان يعلن مشورة الله بالحق . وبعد أن اختار إرميا الإقامة في يهوذا، قدمت له كميات من الطعام وهدية كرمز للتقدير من القائد البابلي .

والمعاملة الإنسانية الرقيقة التي لقيها إرميا من عدو الأمة تتناقض تماماً مع ما لقيه إرميا من بني وطنه. اقرأ أقوال يسوع في (متى ٥٧:١٣) وليس بغريب أن يُعامل المسيحيون باحترام أكبر من العالم من معاملتهم من جانب شركة المؤمنين . ذكر بعضهم موضعين للمصفاة: الأول يسمى (النبي صموئيل) على بعد ٤ أميال ونصف إلى الشمال الغربي من أورشليم والثاني (تل النصبة) الواقع على قمة الجبل حوالي ثمانية أميال إلى الشمال من العاصمة. والموقع الأخير ظل محتلاً منذ العصر البرونزي الأول حتى عصر المكابيين .

٧ـ١٢ : جدليا الحاكم :

ربما كانت بعض الوحدات الطليقة لا تزال تحارب حرب عصابات ضد الكلدانيين. والطبقات المحرومة اقتصادياً في يهوذا (٣٩:١٠) كان من الممكن أن تشكل شيئاً من المقاومة ضد البابليين في حالة تملكها للأرض بمفردها. ومسئولية جدليا كانت تكمن في أن يقدم يد المساعدة لتلك البقية في أن تستقر وتفلح الأرض وتدفع الجزية لبابل من محاصيل الأرض. كانت الخطوة الأولى توقف النشاط الفدائي والاتجاه نحو الاستقرار السياسي والاقتصادي. (واسمعيل) (عدد ٨) كان رجلاً من سلالة ملكية تجري في عروقه الدماء الزرقاء، وهو المسئول عن مصرع جدليا بعد سقوط أورشليم بوقت قصير في عام ٥٨٧ ق.م. أي بعد شهور قليلة من وقت هذه المقابلة. وهناك بعض الاختلافات في بعض الأسماء في هذا العدد عما جاء في (ملوك الثاني ٢٥:٢٣). ففي السبعينية وبعض المخطوطات العبرية تذكر (يوحنان بن قاريح) بينما تضيف الماسورية شخص آخر باسم (يوناثان). (عيفاي) القراءة الهامشية في الماسورية بينما النص حسب الحروف الساكنة يقول (أوفاي) .

وفي مقابل (يزنيا) (٢ملوك الثاني ٢٥:٢٣) وبعض المخطوطات العبرية نجد (يازنيا) .

وأول عمل لجدليا كان مهادنة قادة حرب العصابات وكسب ودهم. وثقتهم في مقدرته كالحاكم الجديد ليهوذا، وفي (ملوك الثاني ٢٥:٢٤) تم حث القادة ألا يخافوا من موظفي «بابل» وهي قراءة حسب الماسورية (عدد ٩) و«المدن المحتلة» (١٠) يبدو أنها كانت بقايا المدن التي دمرت تمهيداً للهجوم الأخير على أورشليم. واليهود في موآب وفي أماكن أخرى كانوا لاجئين هربوا عندما احتل البابليون الأرض. لقد كانوا شديدي الثقة في جدليا وفي كفاءته حتى أنهم عادوا ليزرعوا الأرض الخربة :

١٣ـ١٦ : الكشف عن مؤامرة

ليس هناك مجال للشك في إخلاص جدليا فيما يختص بنواياه التي أقسم عليها وهي إعادة الاستقرار والرخاء إلى الأرض. والملك العموني (بعليس)

(١٤) لا ذكر له إلا هنا، قد يكون قد خطط لاحتلال الأرض ومن ثم كان يرغب في إقصاء جدليا عن منصبه. وبما أن اسمعيل، الجلاد المرتقب، كان من بيت داود الملكي، فربما تم تخطيه وصولاً للمنصب الحساس كحاكم. وعندما أحيط جدليا علماً بذلك لم يستطع أن يتقبل حقيقة أن الآخرين كانوا أقل إخلاصاً منه في رغبته في استقرار البلاد، ومصيبته كانت في عدم قدرته على تقييم المواقف الحساسة والناس على حد سواء . وقد حالت شدة ولائه للمهام الملقاة عليه بينه وبين التجرد العاطفي في عمله. هذا الخطأ الذي تكرر من قبل، ومن ذلك الحين وحتى الآن، قد كلفه حياته. قارن ذلك بموقف المسيح في (يوحنا ٢:٢٤) .

٤١: ١ـــ١٨ : تنفيذ المؤامرة ونتيجتها

هذا الأصحاح يكمل قصة الأصحاح السابق ويبين كيف تم إبعاد بقية الشعب ثم إنقاذه على يد يوحانان .

١ـــ٣ : مصرع جدليا

قامت الديانة اليهودية فيما بعد بالاحتفال بهذه المناسبة الحزينة وذلك بالصوم في الشهر السابع، اكتوبر (زكريا ٧:٥، ٨:١٩) ومع ذلك فالسنة التي قتل فيها جدليا غير معروفة على وجه التحديد. لقد تم جمع المحصول قبل قتله (٤٠:١٢) ولكن سواء كان ذلك في عام ٥٨٧ ق.م. أم لا فهذا غير معروف على وجه الدقة. ولربما مرت سنة على الأقل بين سقوط أورشليم ومصرع جدليا، وهي المدة التي سمح فيها للاجئين بأن يعودوا ويزرعوا الأرض .

وعدد (١) يبدو مشوشاً. فبعد العبارة القائلة (من النسل الملوكي) نجد العبرية تقول «وعظماء الملك» ولربما تقصد «أحد قادة الملك»(*) وهذه العبارة غير موجودة في الجزء المقابل من (ملوك الثاني ٢٥:٢٥)، وأيضاً في السبعينية. وقد تحدى القاتل اسمعيل كل قوانين كرم الضيافة الشرقية في قتل مضيفه في عمل صارخ من أعمال الخيانة. ومثل هذه الجريمة البشعة لا يمكن أن يرتكبها إلا شخص قد أعماه الحقد والاستهانة بالإجراءات الانتقامية المحتملة للكلدانيين .

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر)

٤ـ٩ : فظائع أخرى

«شكيم وشيلوه والسامرة» كلها مدن قد ازدهرت في مملكة الشمال، وكانت قد أخليت من سكانها على يد أشور (ملوك الثاني ٦:١٧). وهؤلاء الحجاج قد يكونون من سلالة يهوذا وكانوا قد انتقلوا شمالاً بعد سقوط السامرة في عام ٧٢٢ ق.م. وشكيم هي تل بلاطة في الطرف الشرقي من الوادي بين جبل عيبال وجبل جرزيم. وشيلوه هي سيلون (Silun) الحالية على بعد ٩ أميال شمال بيت إيل، وهؤلاء الرجال كانوا محلوقي الذقون، ومن الواضح أنهم في حالة حداد على الهيكل الذي دمر، ويجوز أن يكون القصد من تقدمتهم المذكور تقديمها على المذبح في المساحة التي كانت مخصصة للهيكل، وإحداث جروح قطعية في الجلد كان دليلاً على الحزن مع أنها كانت محرمة شرعاً (لاويين ٢٨:١٩، ٢١:٥، تثنية ١:١٤، انظر الوصية في إرميا ٦:١٦) وفي السبعينية نجد في عدد (٦) كما لو كان الرجال يبكون عند صعودهم لأورشليم المدمرة. وبينما قد يكون ذلك صحيحاً إلا أن ما ورد في الترجمة العربية صحيح في إبراز شخصية إسمعيل الغادرة. وقد نجح عدد قليل من الرجال في إنقاذ أنفسهم في إظهار ما في حوزتهم من خزائن ثمينة مخبأة من مؤن الطعام. فالآبار الجافة أو الخزانات كانت عادة تستخدم كصوامع تحت الأرض لتخزين الغلال.

ومع أن ما جاء في عدد (٩) (بسبب جدليا). والقراءة حسب السبعينية وترجمات أخرى تقول : «وكان الجب الذي طرح فيه إسمعيل جثث قتلاه وجثة جدليا هو الجب الكبير الذي حفره الملك آسا للدفاع ضد بعشا ملك إسرائيل»،(*) فقبل ذلك بثلاثة قرون كان الملك آسا ملك يهوذا، قد حصّن المصفاة (٩١١/١٠ ــ ٨٧٠/٨٦٩ ق.م) في وجه بعشا ملك إسرائيل (٩٠٩/ ٩٠٨ ــ ٨٨٦/٨٨٥ ق.م) (انظر ملوك الأول ٢٢:١٥، أخبار الأيام الثاني ٦:١٦). وليس هناك سجل تاريخي يدل على تشييد آسا لجب ويبقى تأييد ذلك من واقع علم الحفريات .

١٠ــ١٨ : سبي البقية وإطلاق سراحها

هناك سبايا آخرون يشمل أميرات البيت الملكي اللواتي كن قد وضعن في رعاية جدليا على يد نبوخذنصر. وكان إرميا وربما باروخ من بين أولئك

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر)

المبعدين من المصفاة حيث أن النبي كان ضمن أولئك المقيمين بالقرب من بيت لحم عقب النجاة (٤٢:٢ــ٦)، وهروب إسمعيل يدل على أنه كان خائفاً من الانتقام. وكان يوحانان حاسماً وسريعاً في تتبع إسمعيل كما كان في تحذيره لجدليا من نوايا إسمعيل الإجرامية. و«المياه الكثيرة»[1] التي في جبعون (١٢) ربما تكون إشارة لخزان المياه المحفور في الصخر الموجود في الجب (صموئيل الثاني ١٣:٢) والذي يرجع تاريخه إلى العصر الحديدي الأول. وهذه الحفرة قد حفرت على عمق خمسة وثلاثين قدماً في الصخر وبها درج يؤدي إلى نفق على بعد أربعين قدماً أخرى مؤدياً إلى خزان مياه. وفي القرن السابع ق.م. كان يصنع النبيذ في منطقة الحفرة وكانت الجرار المختومة تخزن في مخازن رطبة محفورة في الصخر. والرأي القائل بأن الكلمة هنا وفي عدد (١٦) يجب أن تكون (جبعة) «Geba» بدلاً من جبعون رأي ليس له قيمة حقيقية .

ومع أن «جبعة» (Jeba) حالياً والتي كانت على بعد حوالي ثلاثة أميال من «جبية» (Gibeah) قد قام «آسا» بتحصينها أيضاً واعتبرت الحد الشمالي ليهوذا، فلا أثر يذكر لأي بناء يشير لوجود بركة عظيمة هناك. والكلمة (رجال الحرب) (١٦) والتي يبدو أنها تتعارض مع عدد (٣) من المحتمل أن تكون توضيحاً للكلمة العبرية (g'barim) أي (رجال) والتي من الواضح أنها وضعت بدلاً من الكلمة (gibborim) أي (محاربون) والتي تتشابه معها في الحروف الساكنة .

سكان (كِمهام) (١٧). كانت (كمهام) جزءاً من هبة الأرض التي أعطاها داود «لكمهام» تقديراً للخدمات التي أسداها برزلاي الجلعادي (صموئيل الثاني ٣٧:١٩) والالتجاء لمصر كان يبدو أفضل من العودة إلى المصفاة والتعرض للانتقام البابلي المحتمل لجريمة قتل جدليا .

٤٢ : ١ــ٢٢ : استشارة إرميا فيما يختص بالهروب إلى مصر

إن محنة اللاجئين تجبرهم على الدنو من إرميا طلباً للنصيحة فيما يختص بالهجرة، وبعد فترة وجيزة يعطيهم النبي رسالة التأكيد والعزاء .

---

(١) معناها في الانجليزية (great pool) أي بِركة عظيمة، انظر كتاب الحياة (المترجم) .

١ــ٦ : الاستشارة

«(يزنيا) بن هوشعيا» ليس هو الرجل المذكور في ٤٠: ٨. ولكن يبدو أنه عزريا بن هوشعيا (٤٣: ٢) والسبعينية تقول «عزريا» هنا وفي (٤٣: ٢)-ولكنها تستخدم اسماً مختلفاً للأب، ولكن يرجح أن لهذا الرجل أكثر من اسم يعرف به .

لم يتعلم الناجون بعد درس الثقة في الله بلا قيد أو شرط في كل ظروف الحياة (فيلبي ٤: ١٩)، فقد ساد عليهم التركيز على ذواتهم مرة أخرى وأصبح اهتمامهم الآن منصباً على مجرد معرفة إن كان الله يوافق على خطتهم للهروب إلى مصر أم لا. وبذلك فإنهم لا يبحثون عن الإرشاد الروحي بمعنى الكلمة (٤١: ١٧)، وبينما يتعهدون بالطاعة فإنهم يشعرون أن الله على استعداد لمباركة خططهم وبذلك فإن طاعتهم تنطوي على قليل من الجهد أو على تضحية زهيدة .

إن درجة الخضوع المطلوبة من المسيحي تتمثل في المسيح (لوقا ٢٢: ٤٢، فيلبي ٢: ٨ الخ)، ولابد أن إرميا قد شعر بقلق وانزعاج شديدين لهذا الطلب لأنه قد وضع في موضع العراف أو الرائي طبقاً للتقاليد القديمة وأن يحمل رسالة من الله إلى سائليه .

ومن إجابة إرميا نستطيع أن نستشف بوضوح عدم موافقة الله على خطة الهجرة .

٧ــ١٢ : بعد عشرة أيام جاء الرد : إنهم سوف يفلحون فقط.إذا هم استقروا (١٠) والكلمة هي (imyasób) وفي السبعينية والسريانية (imsob) والتي يبدو أنها نسخت خطأ. إن عقاب الله للإصلاح وليس لمجرد العقاب أو للانتقام، وينبع هذا العقاب من نفس الاهتمام المسئول الذي يبديه الأب إزاء سوء تصرف ابنه (عبرانيين ١٢: ٥) ولن يخيفهم شيء مثل الثأر منهم إذا بقوا حيث أن الله سوف يوقف أي إجراء إنتقامي «ويردكم إلى أرضكم» (١٢)[1] .

---

(١) في الطبعة الانجليزية «سوف يدعكم تستقرون» المترجم .

وإذا أخذنا الكلمة التي وردت في الماسورية (whesib) فالمعنى يكون «إنه يجعلكم تعودون» والتي يمكن تفسيرها إنها تشير إلى كل الأمة المسبية، وبالرغم من أن هذه الكلمات قد قيلت كرسالة من الله إلى مجموعة صغيرة مختارة إلا أنه يبدو أنه من المستحسن تعديل الحروف المتحركة في الماسورية لتقرأ (w'hosib) لتصبح «وسوف يسمح لكم بالبقاء» .

وفي الفولجات وبعض الطبعات الأخرى تقدم قراءة من هذا النوع ولكنها تحتفظ بها في ضمير المتكلم وليس في ضمير المخاطب .

١٣ــ٢٢ : تحذير ضد الذهاب إلى مصر

يبرز إرميا ما سوف يحدث في حالة تجاهل القيادة الإلهية، وبينما يتصور سامعوه أن الأمان يتوفر في الابتعاد إلا أن إرميا يبرز أن مصر ليست محصنة ضد الهجوم أكثر من أورشليم . وهناك نتيجتان لعدم الطاعة وهما المجاعة والسيف، ونراهما يعملان عملهما في العاصمة المدمرة، وهذا يثبت أن الجماعة لم تتعلم بعد الحاجة إلى الطاعة الغير مشروطة، وبتحذيره لهم فإن إرميا يستنزل على الجماعة أقوى تهديد ووعيد عرفته شعوب الشرق القديم. وهو يندد بخداع ومكر طلب الاستشارة المزعوم الذي لجأوا إليه بينما كانوا قد صمموا على اتخاذ قرار معين، وبذلك لم يظهروا سوى الرفض المتعمد، وبذلك يستحقون نفس العقوبة .

وكثير من المسيحيين أيضاً يتوقعون أن يبارك الله خططهم وهي ليست من صنعه بأي حال من الأحوال.

٤٣ :١ــ١٣ : الذهاب إلى مصر

مع أن الإرشاد الإلهي كان يختلف مع خططهم، إلا أن المجموعة الصغيرة المتبقية منهم قررت أن تلجأ لمصر .

١ـــ٧ : الهروب

بالرغم من قوة حجة إرميا بسبب أمانته الشخصية التي أظهرتها أحداث الأيام الماضية إلا أنهم اتهموه بالكذب لأنه أخبرهم بأشياء ما كانوا يحبون أن يسمعوها، ونسبوا الأخطار التي يمكن أن يتعرضوا لها إلى باروخ، وبذلك فإن هؤلاء المخالفين يريدون أن يقولوا إنه هو الذي سيطر على مشاعر إرميا لكي يقدم رسالة عكسية من الله. ويمكن لإرميا أن يرى أن الموقف ميئوس منه ولا يبالي بالرد على هذا الاتهام. (راجع موقف المسيح في متى ٢٦: ٦٠ـــ٦٣)، وكما لاحظنا في (٤٠: ١١) فقد استطاع كثيرون من بني يهوذا ترك البلاد نحو الأقطار المجاورة قبل سقوط أورشليم بمدة وجيزة بما فيهم بنات الملك (٤١: ١٠) ويحتمل أن تكون الجماعة قد أجبرت إرميا وباروخ على الذهاب معهم إلى مصر .

«تحفنحيس» مدينة على الحدود في منطقة شرق الدلتا، والسبعينية تذكر أن اسمها تافنايس Taphnais وبذلك تربط اسمها بمدينة (Daphnai) (دفناي) الواقعة على الفرع البيلوزي والتي ذكرها «هيرودوت» وهي تقع عند مدينة تل دفنة الحالية (Tell Defneh) حوالي ٢٧ ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة بورسعيد .

٨ـــ١٣ : التنبؤ بغزو مصر

قد احتفظ بعدد (٩) كما هو مع وجود بعض الاختلافات في معظم الطبعات، وبعض عبارات الماسورية ذات معنى غير أكيد .

الكلمة (melet) من المفروض أن تصف الملاط والكلمة (malben) أي «شرفة من الطوب» أو «مصطبة»، وفي ترجمة أخرى نجد القول «في الملاط المرصوف»[1] بينما الترجمات الأخرى تقول «في الملاط تحت الرصيف» ولكن ذلك ليس يقينياً .

---

(١) في الطبعة العربية (ملبن) كما في الأصل العبري وفي كتاب الحياة : الملاط المرصوف (المترجم) .

(وفلندرز بتري Flinders Petrie الذي اكتشف تحفنحيس في القرن التاسع عشر أزال مساحة مرصوفة أمام مدخل القصر الملكي مشيراً إليها بأنها « الرصيف » أو (المصطبة) المذكورة في هذا العدد ، وورق البردي في جزيرة فيلة يتكلم أيضاً عن « بيت الملك » في تلك المدينة الهامة على الحدود .

ولكن كيف كان على إرميا أن يتم مهمته؟ لا نجد هنا إجابة على هذا السؤال، ولكن من الواضح أن ذلك كان ليتم على طريقة تقديم بيان عملي. وذلك على النمط الذي أوضحه إرميا. فإن عبد الله نبوخذ نصر سوف يضع كرسيه على الأرض، والكلمة العبرية (sapriro) أي (ديباجة) ليس لها نظير في أي موضع آخر في الكتاب المقدس. ولذا فمعناها غير مؤكد والمعنى المقترح لها هو «مظلة» أو «سجادة»، ومعنى المثل مع ذلك واضح. فمع أن لاجئي بني يهوذا قد دسوا أنفسهم في مصر الكثيرة السكان إلا أنهم سوف يُكتشف أمرهم وسوف يشعرون بثقل قوة بابل. وهناك نقش على أحد القطع الفخارية يسجل أن نبوخذ نصر قد غزا مصر فعلاً في عام (٥٦٨ـــ٥٦٧ ق.م.) عندما كان (أمازيس) (٥٧٠ـــ٥٢٦ ق.م.) فرعوناً لمصر. وقد كان الهجوم بمثابة حملة تأديب أكثر منه بغرض إخضاع الأرض كلها، ويبدو أن (أمازيس) قد وعي الدرس جيداً لأنه فيما بعد كان حريصاً على الإبقاء على العلاقات الودية مع بابل .

والطبعات الانجليزية تجعل الفعل العبري (atah) (١٢) بأشكال مختلفة مثل (طوى) و(ألبس) أو (نظف). وبينما على غير المعتاد، فتشبيه الراعي هنا، يشير إلى نوع من « الالتقاط » كالتقاط العشب أو الحشرات وما شابه ذلك على سبيل المثال. فالغازي سوف ينظف فريسته وهذا يبدو أفضل معنى للعبارة .

و« عين الشمس » (heliopolis) (١٣) الموجودة في السبعينية هي « بيت شمس » في العربية . والكلمة حرفياً تعني (بيت) أو (معبد الشمس) ، وتدل على مدينة مصرية وهي في الغالب عين شمس بالقرب من ممفيس (Memphis) .

٤٤: ١-٣٠ : نبوة القضاء تحوي آخر أقوال إرميا المسجلة

بعد الوصول إلى مصر يدين النبي سريعاً انغماس اللاجئين في الممارسات الدينية الوثنية، واستبدالهم الوثنية الكنعانية بالوثنية المصرية يبين أنهم قد فشلوا تماماً في فهم معنى الكارثة التي لحقت بأورشليم .

١-٦ : موجز الأحداث الحالية

بعض المستوطنات اليهودية في مصر قد سبقت سقوط يهوذا بوقت غير قليل .

و«مجدل» لفظ كنعاني يعني «برج» أو «قلعة». وباللغة المصرية هي كلمة مستعارة تعني (تحصين) أو اسم مدينة مثل (مجدلي) المذكورة في ألواح تل العمارنة. أما عن (تحفنحيس) فانظر التعليق على ٤٣:٧. (نوف) صيغة محرفة عن (موف) الاسم العبري (لممفيس) وقد كانت عاصمة مصر السفلى (الدلتا). (فتروس) الوصف العام لصعيد أو جنوب مصر المعروف في النقوش الأشورية باسم (Pa-tu-ri-si) (باتوريس). وفي إرميا (فتروس) مرتبطة بنوع خاص بالصعيد (٤٤:١٥) كتمييز لها عن مدن وأرض مصر السفلى (٤٤:١) .

ولا يصدق إرميا أن يفشل أي شخص في ملاحظة نتائج العصيان ضد الله، وفي هذا الأصحاح يعلن نفس التنديد القوي بالخطية كما أعلن في الأيام السابقة تنديده بيهوذا غير التائب .

وإذ يسكن المهاجرون في أرض تعج بالآلهة الباطلة، نجد التحذير القوي لهم بعدم ارتكاب خطايا أسلافهم .

٧-١٤ : التنديد والمحاكمة

العقاب النهائي للارتداد سوف يتضمن محو كل الناجين من البقية المتبقية وهو أمر خطير جداً لأن بقاء الفرد بعد الموت كان مرتبطاً عندهم باستمرار نسله من بعده .

وفي عدد (٩) نجد بدلاً من (شرور نسائهم) صيغة المفرد «شرور نسائه» في الماسورية، بينما السبعينية تقول « شرور امرأتك » واحتفظت السبعينية بالتتابع هكذا « الآباء ــ الملوك ــ الأمراء » كما في عددي ١٧ و٢١، ولكن لا داعي لتغيير ما ورد في الماسورية هنا، فالنساء مدانون لإغراء أزواجهن على عبادة الأصنام وهو تقليد بدأ في الحياة الإسرائيلية منذ عصر سليمان ، وبرغم كل التحذيرات كانت البقية مصممة على اتباع أهوائها وميولها (١٠) وبذلك فإنها تكرر نفس أخطاء الأجيال السابقة . ولكن هذا الموقف سوف يجابه من قبل إله يصر على تنفيذ إرادته، فباستثناء عدد قليل جداً من اللاجئين (١٤ و٢٨) لن يبقى على قيد الحياة واحد من الذين يخططون للهروب إلى مصر . والخطة المدبرة تخلو الآن من آخر مظاهر الرياء والادعاء الكاذب ، والتهديد بالعقوبة (١٣) يشير للحملة التأديبية التي قادها نبوخذنصر عام ٥٦٨ / ٥٦٧ ق.م، وحتى في عقاب البقية العاصية سوف يسمح الله لقليل من الناجين بالتسرب إلى يهوذا وبذلك يسمح بالاتصال بين الشعب والأرض .

١٥ــ١٩ : الرد المخزي للبقية

مما لا يصدقه عقل أن السامعين العصاة يرجعون نجاحهم لطقوس العبادات الوثنية التي تمارسها زوجاتهم. والدليل على أن ذلك هو رأي الأغلبية يبدو واضحاً من ذكر جمهور الشعب الساكن في فتروس .

ورفض الاستماع لإرميا يظهر مدى الارتداد المستمر للهاربين إلى مصر . انظر التعليق على (ملكة السموات) في (١٨:٧) والكلمة النادرة (m'leket) (ملكة) يعتقد أنها إشارة للإلهة الأشورية عشتار (الكنعانية عشتارت Astarte) إلهة الحرب والحب والتي من ضمن ألقابها العديدة لقب « ملكة السموات » ومع ذلك فموضوع العبادة لا يسهل تحديده بالضبط لأن بعض المخطوطات العبرية تذكر الكلمة (mle'ket) ملكة « العمل الخلاق » أو « صنعة اليد » ولذا فهي تدل على النجوم والكواكب . وفي السبعينية ١٨:٧ نقرأ « جند السماء » بينما في مخطوطات قمران نجدها « نجوم السماء » .

فإن كانت عشتار هي المقصودة بالعبادة تكون الإشارة لكوكب الزهرة والذي كان يقدس في كنعان كإله ذكر، وطبيعة تلك الديانة المتعلقة بالنجوم نجدها متمثلة بأجلى بيان في التقليد الكنعاني في عبادة عشتارت (عشتاروث) لأن عبادة البعل قد استؤصلت أثناء الإصلاح الذي قام به يوشيا (ملوك الثاني ٢٣:٤ـــ٢٠). والبقية المتمردة نسبت كل ويلاتها لهذا التصرف وعدم استقرار يهوذا عقب موت يوشيا في مجدو عام ٦٠٩ ق.م.

ونقرأ في بداية عدد (١٩) في إحدى مخطوطات الترجمة السبعينية التي سارت على منوال الطبعة الأشورية هذا القول :(*) «وكل النساء أجبن وقلن» وذلك لبيان أن النساء الآن يجبن بوقاحة على كلمات إرميا . وطبقاً للناموس اليهودي القديم (سفر العدد ٣٠:٧ـــ١٥) كانت قيمة القسم الذي تقسمه امرأة متزوجة تتوقف على موافقة زوجها، وإذا لم يوافق فقد كان لديه سلطة إبطال مفعول القسم .

وهكذا فالعبادة الوثنية التي يدينها إرميا بشدة كانت تستند إلى الموافقة الكاملة للأزواج في المجتمع و«الكعك» (٧:١٨) يعتقد أنه نوع من النماذج التي تصور ملكة السماء .

٢٠ـــ٣٠ : رسالة إرميا الأخيرة

آخر كلمات سجلت لإرميا كانت مواجهة الهاربين بالحقائق الروحية الصارخة للموقف، وهو يؤكد على اعتقاده بأن الوثنية والارتداد هما سبب القضاء على يهوذا وسوف يكونان سبب تأديب للبقية في مصر أيضاً. وإن كان التعبير «شعب الأرض» قد يشير للطبقات التي تملك الأرض إلا أنه غالباً يشير لعامة الشعب كما هو الحال هنا .

وينتهي إرميا من حيث بدأ بقوله بأنه بما أن الله له حقوق خاصة بموجب

(*) انظر كتاب انجيل الحياة (المحرر)

العهد، فلابد أن يأتي وقت يصر فيه على تلك الحقوق ما دامت أمانته لا سبيل للمساومة بشأنها . وبالرغم من مرور قرون على تحمل الله لهم، إلا أن العقاب قد أتى في النهاية لأن طقوس العبادة الوثنية قد تم إجراؤها (٣:٤٤) بدلاً من عبادة الهيكل الشرعية . وقد كان من الممكن ألا تحدث لو أطاع إسرائيل شروط العهد، والموصوف هنا «بالشريعة» و«الفرائض» و«الشهادات» .

وأول هذه الاصطلاحات كان قاصراً على إعلانات الله للبشر من خلال وسائط بشرية وثانيها يأتي من أصل يعني (يحفر) مشيراً إلى قواعد ثابتة من السلوك تضعها سلطة شرعية وتسجلها لإرشاد الأفراد أو المجتمع، بينما الثالثة مشتقة من الأصل الذي يعني «يشهد» أو «يؤكد» أو «ينصح» وكان يستخدم رسمياً للإشارة إلى الشهادة لله، ويصعّد إرميا من حدة المواجهة حتى الذروة بتحدي الشعب أن يستمر في الانغماس في الطقوس الوثنية ثم يرى إن كان الله سوف يعاقبه أم لا .

وسوف تسبق مصيرهم المحتوم الإطاحة بالفرعون (خفرع) رابع ملك في الأسرة السادسة والعشرين والذي تميز حكمه (٥٨٩ــ٥٧٠ ق.م.) بالتدخل في شئون فلسطين. لقد ذهب لنجدة أورشليم المحاصرة (٥:٣٧) ولكنه انسحب تحت ضغط بابل في عام ٥٨٨ ق.م. وبعدها سقطت أورشليم، وبعد الحملة على ليبيا (٥٦٩ ق.م.) أعلن شاب من أقربائه يسمى (احمس Ahmose) نفسه ملكاً على مصر في ثورة، وحاول خفرع أن يهزم أحمس في معركة في عام ٥٦٦ ق.م. ولكنه قُتل، كما كان إرميا قد تنبأ. ولا يُعرف إن كان إرميا قد عاش ليرى تحقيق ذلك أم لا.

ثامناً ــ رسالة إلى باروخ
(٤٥: ١ــ٥)

هذا الأصحاح المختصر يوجز حادثة تمت في السنة الرابعة للملك يهوياقيم (٦٠٥ــ٦٠٤ ق.م)، وهذه الفقرة لا تتبع التسلسل الزمني للحوادث ويجب أن ترد بعد (٨:٣٦). ونجد توبيخاً لباروخ لشعوره بالاكتئاب فيما يخص

مستقبله، ويُعطى الوعد بأنه سوف يبقى على قيد الحياة لتحقيق آماله .

«الكلمات» التي كتبها باروخ بن نيريا (٣٦:٤) كونت محتويات الدرج الموصوف في (٣٦:٢ــ٤) وعدد (٣) الموضع الوحيد الذي يكشف فيه باروخ عن ردود أفعاله نحو الموقف الحالي في يهوذا، وحزنه ينبع من إدراكه لمعنى الأقوال التي كان يسجلها على المستويين الشخصي والقومي على حد سواء . وكان على إرميا أن يذكر باروخ بالأسى الإلهي على تدمير ما كان يحاول جاهداً الإبقاء عليه. ومع ذلك فتلك الكارثة كان لا يمكن تجنبها بسبب العصيان المتعمد والارتداد من جانب أولئك المختارين للدعوة العليا. هكذا سوف تكون الكارثة مروعة حتى أن باروخ سوف يعد نفسه محظوظاً لخروجه منها سليماً معافى (٩:٢١، ٢:٣٨، ١٨:٣٩) .

والمسيحي يجب أن يكون هدفه الوحيد قداسة الحياة التي تشهد للميلاد الجديد في المسيح وتقديس الروح بغض النظر عن الظروف المحيطة والأمر الصادر إليه، كما كان الحال مع بني إسرائيل في القديم، أن يثق في الله وحده ليحفظه ويلبي احتياجاته (انظر متى ٢٥:١٠ــ٣٠، فيلبي ٩:٤، عبرانيين ١٤:١٢ الخ) .

ب ــ وحي ضد الدول الأجنبية

(٤٦: ١ــ٥١: ٦٤)

إن الاقتناع بأن الله له السيطرة التامة على الأفراد والأمم على حد سواء يميز الروح النبوية العبرية. ففي كل مراحل نشاطاتهم شعر الأنبياء أنهم يشاركون في الأحداث التي سوف يكون لها أكثر من مجرد معنى محلي أو قومي، وكنتيجة لهذا الموقف اهتم الأنبياء اهتماماً جاداً بسلوك الشعوب الأجنبية وقد عبر ذلك الاهتمام عن نفسه أحياناً بإدانة الشعوب المجاورة. وفي هذا الجزء من رسالته يقف إرميا على قدم المساواة مع الأنبياء العبرانيين الآخرين في هذا التقليد بإعلان القضاء الإلهي على الشعوب الوثنية (إشعياء ١٣: ٢٣، حزقيال ٢٥ــ٣٢، عاموس ١: ٣ــ٢: ٣) .

وتختلف الطبعة السبعينية في ترتيب الأصحاحات عن الـ MT بوضع هذا الجزء في وسط أصحاح ٢٥ .

١ ــ ضد مصر
(٤٦: ١ــ٢٨)

١و٢ : يبدأ إرميا بمصر لأن فلسطين كانت ردحاً طويلاً من الزمن تحت النفوذ السياسي المصري. وفضلاً عن ذلك فالعبرانيون لم ينسوا أبداً الظلم الذي وقع عليهم هناك في عصر موسى . وقد قتل الفرعون (نخو) يوشيا في مجدو عام ٦٠٩ ق.م. عندما حاول الوقوف في وجه القوة المصرية الذاهبة لنجدة الأشوريين في حاران المحاصرة .

وموقعة «كركميش» كانت إحدى أهم المعارك الحاسمة في التاريخ المصري، فقد احتل المصريون المدينة في عام ٦٠٥ ق.م.، ولكن في تلك السنة هاجمهم نبوخذنصر في تلك المدينة وطاردهم حتى ديارهم . ويذكر التاريخ البابلي أن نبوخذنصر سار على رأس جيش اتجه لمصر ثانية في عام ٦٠١ ق.م. وقد تحمل الجانبان خسائر كبيرة، وبينما كان الموقف مغرياً ليهوياقيم بأن يعلن الثورة ضد

بابل (ملوك الثاني ١:٢٤) إلا أن المصريين لن يهبوا لنجدته عند الضرورة .

٣ــ٦ : الأعداد ٣و٤ تصور القادة المصريين وهم يعطون الأوامر لعرباتهم ووحدات المشاة وهم يستعدون للمعركة. والدرع الصغير (magen) (المجَن) كان مستدير الشكل بوجه عام بينما الكبير (الترس (Sinna) كان إما بيضاوي الشكل أو مستطيل الشكل. إذ كان القصد منه حماية الجسم كله، وكانت الخوذ في الأغلب تصنع من الجلد ويبدو أن الجنود كانوا يلبسونها أثناء المعركة فقط .

وكان المهاجمون واثقين من النصر. إذ أن عدد (٥) يقول : «لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين إلى الوراء وقد تحطمت أبطالهم وفروا هاربين» وفي الـ NEB «ما هذا الذي أرى. إنهم منكسرون ومدبرون إلى الوراء» يرى إرميا ببصيرة نبوية حقة الانهيار الدرامي للقوة العسكرية المصرية التي طالما تمت الاستعانة بها، ويرسم منظراً أخاذاً بعبارات قوية أحسنت صياغتها، فروحهم المعنوية المرتفعة تنهار بمجرد مقابلة قوات بابل، وتقطع عنهم المدد سواء في أرض المعركة أو عند المانع الطبيعي لنهر الفرات، وبذلك يقطع عليهم خط الرجعة أو الهروب .

٧ــ١٢ : «الأنهار» في عدد (٧) تشير لنهر النيل وقنوات الري المتفرعة عنه حيث أن الكلمة وردت في الجمع. والمصريون المتدفقون يشبهون نهر النيل عندما يغمر الأراضي المجاورة (إشعياء ٧:٨).

كلمة (فيقول) (عدد ٨) يبدو أنها إشارة لفرعون كقائد لقوات مصر والذي انطفأ لمعانه منذ أيام شيشنق (٩٤٥ــ٩٢٤ ق.م.) .

وتحت حكم بسماتيك الأول (٦٦٤ــ٦١٠ ق.م.) اعيد تنظيم القوات المسلحة لتتكون أساساً من مرتزقة من الإغريق، وأعدت الأساطيل في قواعد على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وازدهرت التجارة البحرية كثيراً. ويحتوي عدد (٩) على مجموعة من الأوامر شبيهة بتلك التي في عدد (٣). كوش (إثيوبيا)، وفوط (ليبيا؟ أو الصومال؟) كانت تمد مصر بقوات المرتزقة. ويبدو أن اللوديين كانوا أفارقة كذلك (انظر تكوين ١٣:١٠) وربما كانوا

يقطنون ليبيا، ووصف مهارتهم في رمي الرمح تكرار غير ضروري، «القابضون» (Tōpse) منقولة عن السطر السابق .

(جلعاد) (إرميا ٨:٢٢) كانت موطن البلسان في الأمثلة الشعبية، ومهارة المصريين الطبية كان مشهوداً لها منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، والوصفات الطبية العظيمة على ورق البردي يمكن أن ترجع تقريباً لتلك الفترة. والإشارة للعقاقير الكثيرة (١١) تعليق ساخر على عدم مقدرة مصر على شفاء جراح الهزيمة وما يسيء إليها في النهاية أن الآخرين قد سمعوا الآن بهذا الخبر .

١٣ــ١٧ : بعد هزيمة المصريين في (كركميش) ستكون بابل هي يد الله لعقاب الأمة المهزومة وقد شنت الحملة ضد مصر في (٥٦٨ــ٥٦٧ ق.م.) (انظر التعليق على ١١:٤٣)، وأما عن (مجدل) و(تحفنحيس) (فانظر ما جاء في التعليق على ١:٤٤) .

في عدد (١٥) RV نجد القول (لماذا انطرح مقتدروك؟)(١) في الماسورية (nishap) (اكتسح) وتقسم أحياناً إلى كلمتين (nás hap) على نمط ما جاء في السبعينية وتترجم هكذا (لماذا تراجع «هاف» Haf). وفي كتاب الحياة «لماذا فرّ أبيس؟». والإشارة إلى الإله المصري العجل أبيس (هاف) .

في الفكر الشرقي القديم كانت هزيمة أمة يترتب عليها هزيمة آلهتها. وفكرة عبادة أبيس كانت لا تزال سائدة بدليل القول «لماذا لم يصمد العجل المختار؟». وهنا نجد أن الـ MT تستخدم الكلمة (abbircyka) وهي كلمة سامية يحتمل أن تكون جمع لكلمة (جلالة) بإضفاء فكرة الشجاعة والتميز والسمو على حيوان، وبينما تنم عن الفكر الشرقي القديم إلا أنها تبدو أفضل عند إطلاقها على فرعون كرأس للدولة. وبذلك تكون العبارة «لماذا هزم المقتدر فيك ألم يثبت في أرضه؟» .

تبرز الـ MT مشاكل في النقل في عددي (١٦و١٧). ففي عدد ١٦ (كثر

---

(١) في الطبعات الانجليزية (لماذا اكتسح مقتدروك؟) (المترجم) .

العاثرون) نجدها في السبعينية «جمهورك عثروا وسقطوا» وفي عدد ١٧ نجد الكلمة (qârû sâm) (قد نادوا هناك) ولكن في السبعينية جعلت الحروف الساكنة في وضع مختلف لجعل الكلمة في صيغة فعل الأمر (qirû) والاسم (sêm) لتصبح الترجمة (ناد فرعون باسم «الشهرة»). وفي ذلك تقول الترجمة الانجليزية الحديثة «الملك المتعجرف» بينما في ترجمة أخرى تقول «الكثير الضوضاء» ومع ذلك فكلمة «عالي الصوت»[1] تعكس تعبير الاحتقار في الماسورية بصورة أفضل، حيث أنها تصور الفرعون كشخص مدعٍ قد أفلتت منه الفرصة .

١٨و١٩ : كل من (تابور) و«كرمل» اسمان شهيران في تلك البقاع. ونبوخذ نصر في مركز سام بطريقة مماثلة فوق بقية الملوك وحتى فرعون يجب أن يخضع لقوته وجلاله، ولذا فعلى المصريين أن يحزموا أمتعتهم المطلوبة للرحلة الطويلة نحو السبي (حزقيال ١٢:٣) .

٢٠ـ٢٤ : تشبيه الهجوم البابلي العقابي بذبابة الماشية (gadfly)[2] تشبيه عكسي. وفي الماسورية نقرأ التعبير (bâ bâ) (جاء جاء) ولكن على أساس ما ذكر في السبعينية والبشيت والطبعات الأخرى يحسن أن نقرأه هكذا (bâ bâh) (قد جاء عليها) كما في بعض الترجمات. والمرتزقة المذكورون هم «الأيونيون والكاريون» الذي استأجرهم بسماتيك وقد احتفظ بهم خلفاؤه .

والإشارة لمصر أنها تمشي كحية (٢٢) تعليق ساخر يدل على تحقير واحد من أكثر الآلهة القومية علواً وشأناً وأكثر الألقاب الملكية شهرة .

٢٥و٢٦ : كان آمون المعبود الرئيسي لطيبة (نو) عاصمة الصعيد. والعبارة (فرعون مصر وآلهتها وملوكها) محذوفة في السبعينية. إن الله يعاقب مصر ولا يدمرها ولذا فإنها بعد ذلك سوف تُسكن .

٢٧و٢٨ : هذا الجزء مشابه تقريباً لما جاء في (٣٠:١٠) الذي يلخص

---

(١) في كتاب الحياة جاءت (طبل أجوف) (المحرر) .

(٢) في الطبعة العربية نجد الكلمة (الهلاك) (المترجم) .

فكر إرميا بخصوص رد السبي بلغة إرميا. فالسبي سوف يضبط أمة لاهية وضالة ويهديها للعودة إلى التمسك بالالتزامات الروحية للعهد.

٢ ــ ضد فلسطين
(٤٧: ١ــ٧)

هذه الأقوال الشعرية تصف دمار مدن فلسطين على يد عدو من الشمال. والتنويه الزمني «قبل ضرب فرعون غزة» غامض وقد حذفته السبعينية. وقد يكون إتمام هذا الهجوم عندما كان نخو متجهاً في طريقه إلى حاران عام ٦٠٩ ق.م. ونجد صورة هنا لفيضان كاسح سوف يغمر سهل فلسطين (٤٦: ٨) وحيث نجد نفس الصورة عن الجيوش المصرية، ولكن الإشارة هنا للبابليين وسوف يكون الرعب عظيماً لدرجة أن الآباء سوف يتركون أطفالهم يلقون حتفهم. والعبارة الغامضة (لينقرض من صور وصيدون كل بقية) (٤) يبدو أنها تعني أن أي مساعدة فينيقية محتملة سوف تمنع من الوصول لفلسطين و(كفتور) هي وصف العهد القديم لجزيرة كريت، الأرض التي جاء منها الفلسطينيون أصلاً (عاموس ٩: ٧).

وكلمة (الصَّلَع) (٥) كانت إما رمزاً للحداد (إرميا ١٦: ٦، ٤١: ٥) أو وصفاً للقضاء التام على غزة. ومنطقة «أشقلون» إلى الشمال من غزة بحوالي عشرة أميال قد تم احتلالها من قبل منذ العصر الحجري الحديث. وفي عصر العمارنة حكمها ملك مصري (تثنية ٢: ٢٣) وقد جاء ذكرها في (نصوص استنزال اللعنات).

وقد كانت تعرف في الحوليات الأشورية باسم (اس كا إن نا) (As-qu-en-na) وقد أصبحت مدينة خاضعة لسيطرة تغلث فلاسر الثالث في عام ٧٣٤ ق.م.، وقد نهبت لمقاومتها نبوخذنصر في ديسمبر من عام ٦٠٤ ق.م. وأخذ أهلها إلى بابل.

وفد عدد (٥) في الـ RSV وحسبما ورد في السبعينية نجد كلمة (العناقيين) بدلاً من كلمة (وطائهم) أي (واديهم) (أي الكلمة العبرية anāqîm بدلاً من

imqâm) ولكن هذا مجرد تخمين .

وكما في (٤:٤٩) فكلمة (émeq)[1] هنا تستخدم لتعني (قوة) (كما في الـ NEB) كما في كلمة (mq) في اللغة الأوجارية، وبالرغم من أن إرميا يطالب السيف الإلهي أن يكف عن صولاته إلا أنه يدرك أنه يشكل قضاء الله على أمة وثنية .

٣ ـ ضد موآب
(٤٨:١ـ٤٧)

تكون أرض موآب الهضبة المرتفعة الخصبة شرق البحر الميت بين وادي أرنون ووادي زريد. ويرجع أصل الموآبيين إلى لوط (تكوين ١٩:٣٧)، وفي عصر الآباء كانوا على علاقة ودية مع الإسرائيليين. وقد أغرت النساء الموآبيات الشعب المختار على عبادة الأوثان قبل عبور الأردن عند أريحا (سفر العدد ٢٥:١ـ٣)، ومن ذلك الوقت فصاعداً، كانت هناك حروب لا تنقطع بين الشعبين (قضاة ٣:١٢ـ٣٠، صموئيل الأول ١٤:٤٧)، حتى جعلهم داود تحت سيطرته. وفي أواخر القرن الثامن هزمت أشور الموآبيين، ولكن عند انهيار الامبراطورية استعادت موآب استقلالها، ثم أخضعت مرة ثانية على يد نبوخذنصر بعد سنة ٥٨١ ق.م. وبعد ذلك أصبحت تحت النفوذ الفارسي والعربي .

وفي نبوات العهد القديم اعتبر موآب عموماً تحت القضاء الإلهي (إشعياء ١٥و١٦، ٢٥:١٠، إرميا ٩:٢٦، ٢٥:٢١، ٢٧:٣، حزقيال ٢٥:٨ـ١١، عاموس ٢:١ـ٣، صفنيا ٢:٨ـ١١). ويبدو أن إرميا يلخص ما قاله سابقوه، مع تغيير الأقوال السابقة لتناسب ظروف القرن السابع ق.م. وبخاصة أقوال إشعياء في اصحاحي (١٥و١٦) .

١ـ١٠ : إسرائيل الله في مقابل كموش

(نبو) ليس الجبل المسمى بهذ الاسم بل المدينة الموآبية المذكورة في سفر

---

(١) في العربية «ما بالك تفتخرين (بالاوطية) أي الأودية بدلاً من (القوة) (المترجم) .

العدد (٣٢: ٣و٣٨) التي بناها بنو رأوبين، وحجر موآب المقام عام ٨٤٠ ق.م. يسجل كيف احتلت (نبو) على يد «ميشع» ملك موآب في ثورته ضد إسرائيل (ملوك الثاني ٣: ٤)، و«قريتايم» ذكرت أيضاً على حجر موآب وربما تكون هي (القوريات) حالياً على بعد ستة أميال شمال غرب «ديبون» في الأردن . في عدد (٢) نجد تورية في الأصل العبري في استخدام كلمتين behesbon، hasehu (حشبون وحسبو)[1]. والحادثة التاريخية المعنية لا يمكن التيقن من صحتها. وفي كلمة (مدمين) تورية أخرى (madmen tidommi) وموقعها غير معروف ولكنها قد تكون (خربة دمنة) (khirbet Dimneh) على بعد ميلين إلى الشمال الغربي من ربّة Rabbah) ومعظم المدن المذكورة هنا قد عينها موسى لبني رأوبين (عدد ٣٢: ٣٣ـــ٣٨، يشوع ١٣: ١٥ـــ٢٣) .

و(حورونايم) هي (حورونين) في حجر موآب، ولكن مكانها غير مؤكد. و«صغارها» (٤) وردت هكذا في الماسورية (Sᵉirchá)، أما في السبعينية فهناك تغيير طفيف لتصبح الكلمة (sórāh) «حتى صوغر»[2] مما يعطي معنى أفضل .

(وعقبة لوحيت) (٥) و (جبل لوحيت) كان يقع بين صوغر وربة موآب، وفيما يختص بهذا العدد يحسن قراءة ما جاء في إشعياء (١٥: ٥) . وفي عدد (٦) بدلاً من كلمة (عرعر) نجد في بعض الترجمات الأخرى RV, AV كلمة (نبات الهيش heath) أما الـ RSV فإنها تحذو حذو السبعينية وتستعمل التعبير (حماراً برياً árôd) والـ NEB تستخدم كلمة (طائر الرمال) .

وفي ١٧: ٦ وردت الكلمة (عرعر) في قرينة مماثلة وعدلت إلى (شجيرة) في الـ RSV لتصبح مثل طبعة الفولجات، والنص الإنجليزي للجمعية اليهودية للنشر بأمريكا تستخدم كلمة الأثل أو نبات الطرفاء، والتي تبدو أفضل .

والنص الذي ورد لعدد (٧) في الـ MT غامض، والكلمة الثانية (نخزائن) ربما تعد تعليقاً على الأولى لأنه لكلا اللفظين نجد في السبعينية التعبير «في

---

(١) ربما هي نفس الكلمة المترجمة فكروا في العربية (المحرر) .

(٢) انظر كتاب الحياة «بلغ صراخها صوغر» (المترجم)

حصونك» والتي قد تكون هي الصيغة الأصلية .

و(كموش) كان إله موآب الأساسي (سفر العدد ٢٩:٢) وتقديم الأطفال كذبائح كان جزءاً هاماً من ديانته (ملوك الثاني ٢٧:٣) .

وقد أقام سليمان مرتفعاً لكموش في أورشليم (ملوك الأول ٧:١١) ولكنه أزيل تحت حكم يوشيا (ملوك الثاني ١٣:٢٣) .

إن الدمار سوف يلحق بموآب الشرير وسوف يخلو من سكانه. في عدد (٩) في العبرية المتأخرة (جناح) وفي السبعينية نجد الكلمة (Siyyun) «صوَّه» أي «لافتة على الطريق» في ٢١:٣١، وفي ملوك الثاني ١٧:٢٣ «علامة على القبر»، بينما في هامش الـ NEB نجد القول أن كلمة (Sis) قد تكون إشارة إلى زرع المدن بالملح (قضاة ٤٥:٩) ولكن ذلك غير مؤكد .

١١ــ١٥ : نهاية حياة الدعة في موآب

ربما لم تمر موآب أبداً بتجربة السبي بسبب موقعها . حتى وإن كان قد تم غزوها واحتلالها بين آن وآخر. ولذا فقد شبه بالخمر المعتق المستقر في مكانه بدلاً من أن يفرغ من إناء إلى إناء، وهذا التشبيه صائب جداً بسبب شهرة كروم موآب (إشعياء ٨:١٦ــ١١)، ومع ذلك فسوف لا يفرغ خمر موآب بحرص في وقت الكارثة بل سيفرغ بكل استهتار. وفي السبعينية نجد القول «آنيته» (١٢) بدلاً من «آنيتهم» في الماسورية والتي تناسب القرينة أفضل .

وسيخجل الموآبيون من كموش لأنه في وقت الخطر سيكون كموش إلههم بلا حول ولا قوة وسوف لا يقوى على مساعدتهم. وتتضح الفكرة أكثر بمقارنة ذلك بمصير إسرائيل .

١٦ــ٢٠ : الكارثة تلحق بموآب

تذكرنا الكلمات بما جاء في تثنية (٣٥:٣٢) فالعصا والقضيب يرمزان للسلطة والقوة اللذان سيختفيان أمام العقاب الإلهي، والعبارة (اجلسي في الظَّماء» (١٨) تبرز بعض الصعوبات، فبدلاً من الـ (sámá) في الماسورية

(الظمأ) تقول الـ RSV (Sámé) (اليابسة) كما في (إشعياء ٤٤:٣)(*) وربما بدلاً من الكلمة الأصلية (Seáh) (روث) قد عدلها كاتب متأخر إلى (بنت ديبون) (انظر ٤٦:١٩) حيث التعبير «البنت ساكنة مصر» وصف شعري لساكني مصر، ويستخدم إرميا مراراً وتكراراً العبارة «بنت شعبي» لوصف سكان يهوذا (ديبون) هي ديبان الحالية وكانت على بعد أربعة أميال من أرنون وثلاثة عشر ميلاً إلى الشرق من البحر الميت، وقد اكتشف حجر موآب هناك عام ١٨٦٨.

و(عروعير) تقع إلى الجنوب الغربي من ديبون وقد كانت الحد الجنوبي من مملكة الأموريين (مملكة سيحون)، ولا يجب أن تخلط بينها وبين المدن المسماة بهذا الاسم في سفر العدد (٣٢:٣٤) وفي (صموئيل الأول ٣٠:٢٨) ووادي (أرنون) كان إلى الجانب الشرقي من البحر الميت مقابل (عين جدي) يمثل الحد الفاصل بين مملكة بني عمون في الشمال ومملكة موآب في الجنوب (قضاة ١١:١٨).

٢١ــ٢٥ : هذا الجزء جاء نثراً وسط الشعر مدوناً به أسماء المدن الرئيسية في موآب .

(حولون) لم يتم التعرف عليها بعد، ليست مدينة يشوع (سفر يشوع ١٥:٥١، ٢١:١٥).

و(يهصة) (وردت في يشوع ٢١:٣٦) قد تكون مدينة موآبية قبل عصر سيحون .

(ميفعة) مدينة للاويين (يشوع ٢١:٣٧) وربما تكون يافا الحالية تقع على بعد حوالي ستة أميال جنوب عمون .

(بيت دبلتايم) هي «بيت دبلتاين» المذكورة في حجر موآب ولكن موقعها غير معروف .

(بيت جامول) ربما كانت قرية الجميل الحالية على بعد ثمانية أميال إلى الشرق من ديبون .

(*) الأرض الظمأى (كتاب الحياة) المحرر .

و(بيت معون) كانت «بعل معون» المذكورة في (سفر العدد ٣٢: ٣٨) الواقعة حوالي خمسة أميال جنوب غرب (ميدبة)، و«قريوت» ذكرت في عاموس (٢:٢)، و«بصرة» ربما هي «باصر» في (تثنية ٤: ٤٣)، (يشوع ٢٠: ٨)، (٢١: ٣٦) وليست مدينة أدوم المذكورة في إرميا ٤٩: ١٣و٢٢ .

٢٦ــ٣٤ : الأرض المتكبرة تسقط

سوف يسكر موآب من رعب خصمه الإلهي (٢٥: ١٥ــ٢٩). إن خطية الكبرياء أحد الأسباب الرئيسية لسقوطه، ولكن لو كان موآب قد افتخر بأعمال البر في الرب (مزمور ٢٠: ٧، ٣٤: ٢، إرميا ٩: ٢٤) لنجح، وعلى المسيحي أن يتجنب كل كبرياء زائفة (مرقس ٧: ٢٢، رومية ١: ٣٠، يعقوب ٣: ٥ الخ)، بل يفخر بالأحرى بعمل الله الفدائي في المسيح (كورنثوس الأولى ١: ٢٩، غلاطية ٦: ١٤ الخ) حيث بطل به كل افتخار بشري (كورنثوس الأولى ١: ٢٥ــ٣٠) .

والتعبير «يتمرغ في قيائه» في بعض الطبعات الانجليزية يستخدم الفعل العبري (sápaq) والذي يعني «يصفق بالأيادي» (سفر العدد ٢٤: ١٠، مراثي إرميا ٢: ١٥) ويصفق على الفخذ (إرميا ٣١: ١٩). ويبدو أن الإشارة هنا إلى شخص يمسك بأمعائه حين يتقيأ. وفي الماضي كان موآب يعتبر إسرائيل مادة للضحك والآن جاء الدور على موآب ليتحمل الهزء والسخرية.

كل من إشعياء وإرميا كان يحتفظ بمثل قديم عن كبرياء الموآبيين الذائع الصيت (إشعياء ١٦: ٦، ٢٥: ١١، صفنيا ٢: ٨ــ١١) والتي سوف تعود على الأمة بأوخم العواقب .

«قير» (٣١) عاصمة موآبية قديمة تقع على بعد ستة عشر ميلاً جنب أرنون. وإذا كان الاسم الموآبي الأصلي (قره ORHH) تكون قد ذكرت في حجر موآب. ولكن معظم الكتاب العصريين يقولون إنها (كرك).

وعدد (٣٢) مشابه لما جاء في (إشعياء ١٦: ٨) ولكن بصيغة مختلفة. وكانت (يعزير) تقع على بعد عشرة أميال شمال حشبون وإحدى مدن الأموريين التي

استولت عليها إسرائيل (سفر العدد ٢١: ٣٢) .

و(سبمة Sibmah) كانت تقع على بعد حوالي ثلاثة أميال إلى الشمال الغربي من حشبون وكانت تنتمي في الأصل إلى سيحون وكانت كل المنطقة مشهورة بكرومها وفاكهتها الصيفية. وقد اكتشفت هناك آثار معاصر وأبراج الكروم. «ينبوع يعزير» أفضل من «بكاء يعزير» كما في العربية، والصيغة الأوجارية (mbk) تعني «ينبوع» (أيوب ٢٨: ١١) وهي تورية للفعل (Bkh) (يبكي) والتعبير (بحر يعزير) في العربية كما في الماسورية جاء من كلمة (يم Yam) أي بحر بناء على السطر السابق، ويجب تغييرها وإشعياء ١٦: ٨ مع عدد (٣٣) هو نفسه الوارد في إشعياء (١٦: ١٠) بصيغة مختلفة، والمعنى أن الصرخة سوف لا تكون صرخة الفرح للحاصدين بل صوت المحاربين المصممين على إحداث الدمار (انظر ما جاء في ٢٥: ٣٠، ٥١: ١٤) .

وفي عدد (٣٤) (قد أطلقوا صوتهم من صراخ حشبون إلى ألعالة). وفي إشعياء ١٥: ٤ نجد القول «وتصرخ حشبون وألعالة»، ومع ذلك لا يجب الافتراض بأن النص في إشعياء أفضل من نظيره في إرميا. وقد كانت (ألعالة) على بعد حوالي ميلين شمال حشبون، وكانت (ياهص) أبعد من ذلك إلى الجنوب الغربي، بينما كانت (صوغر وحورونايم) في جنوب موآب. العجلة الثلاثية هي العجلة التي عمرها ثلاث سنوات .

(ونمريم) ربما كانت وادي عين نميرة على بعد عشرة أميال من الحافة الجنوبية للبحر الميت.

٣٥-٣٩ : رثاء موآب

من يصعد في مرتفعة أي من يقدم ذبيحة (٣٥) جاءت في السبعينية (من يصعد إلى مرتفعة) ولكن ذلك يبدو أقل دقة مما جاء في العربية (اقرأ إشعياء ١٦: ١٢) .

إن الله سبب نحيب موآب لأنه قد أبطل كل إكرام كريه لكموش. ولمعرفة

علامات الحداد الموجودة في عدد (٣٧) اقرأ ما جاء في (٦:١٦)، والتشبيه بالاناء الغير مرغوب فيه كان قد طبق على يهوياكين في (٢٨:٢٢)، والآن قد جاء الدور على موآب لكي يتحطم وينبذ.

٤٠ــ٤٧ : قضاء الله على موآب

عدد ٤٠ جاء في السبعينية (هذا ما يعلنه الرب انظروا ...)[1] كما تحذف موآب والنصف الأخير من عدد (٣١). «النسر» مستعد للقفز على فريسته صورة ملائمة لنبوخذ نصر (تثنية ٤٩:٢٨، إرميا ٤٩:٢٢)، وانقراض موآب المتنبأ عنه بدأ بإقامة مستوطنة للأنباط في القرن الأول قبل الميلاد وقد انتهى تحت حكم العرب في العصر البيزنطي .

وفي سفر العدد (٢٨:٢١)، (١٧:٢٤) نجد أساس التعليق على عددي ٤٥و٤٦ واللذان تم حذفهما في السبعينية، ووحي بلعام ضد موآب على وشك الإتمام .

والكلمة (mibbén) تعني من بين أو «من وسط» واضح أنها خطأ في النقل من (mibbét) «من بيت» كما في الـ RSV.[2] وقد استخدمت النصوص الأشورية التعبير «بيت عمري» (Bit-Humri) كمرادف للسامرة، وكلمة «بيت» هنا تحمل بالضبط نفس المعنى، وبرغم التنبؤ بالمذابح والدمار أمكن للنبي أن يتأمل في فرصة مستقبلية سيرحم فيها الله موآب. وهناك نبوات مماثلة بالخراب عن إسرائيل ويهوذا ومصحوبة أيضاً بالوعد برد السبي والعبارة «آخر الأيام» قد تشير إلى توقع نبوي عن المسيا .

رابعاً ــ ضد بني عمون
(٤٩:١ــ٦)

اعتبر بني عمون كالموآبيين من نسل جاء نتيجة زواج من المحارم[3]

---

(١) انظر كتاب الحياة (المحرر)

(٢) من حشبون (كتاب الحياة)

(٣) أي جاءوا من زواج محرم نتيجة حبل ابنتا لوط من أبيهن (المترجم)

(تكوين ١٩ :٣٨)، ولكن بالرغم من ذلك فقد أمر الله بني إسرائيل بمعاملتهم معاملة حسنة (تثنية ٢ :١٩) .

وفي فترة الاستيطان كان الموآبيون جيراناً لبني عمون من جهة الجنوب مع الرأوبينيين، بينا كان سبط جاد يقع إلى الشمال الغربي. في عدد ١ في الـ MT توجد كلمة (malkam) «ملكهم» ولكن الحروف الساكنة يجب أن تنطق (milcom) كا في (ملوك الأول ١١ :٥) و«ملكوم» كان الإله الوطني لبني عمون والمعروف في مواضع أخرى باسم موليك Molech. وفي هذه النبوة فإن الخطاب موجه لبني عمون باسم ملكهم. ونجد توبيخاً لهم بسبب طمعهم في نهب بني جاد وسلبه بعضاً من أرضه، وهي حادثة يبدو أنها تمت عندما قام (تغلث فلاسر Tiglathpileser) بأسر سبط جاد وبعض شعوب عبر الأردن (ملوك الثاني ١٥ :٢٩)، وقد زعم بنو عمون أن أصحاب تلك الأرض لن يعودوا إليها مرة أخرى متجاهلين القضية المثارة في عدد (١) بأن أبناء الأسرى سيعودون يوماً ما ويطالبون بأرضهم . (ربة بني عمون) كانت العاصمة الواقعة على نهر يبوك على بعد ١٤ ميلاً شمال شرق حشبون وهي الآن عمان عاصمة الأردن، وقد تعرضت المنطقة لأطول مدة احتلال عرفها التاريخ أكثر من أي منطقة أخرى في الشرق القديم. والإشارة لخراب عاي (٣) محير حيث أنه لا توجد مدينة عمونية تحمل ذلك الاسم. و(عاي) اسم عبري صحيح يأخذ دائماً أداة التعريف (hā'ay) أي الكومة أو (الخراب). وحيث أن الكلمة في العربية كا في الماسورية لا تحمل أداة تعريف فإن ذلك يوحي بشيء آخر غير اسم مدينة، وبما إن (حشبون) ستصبح تلاً خرباً (العبرية : تل) ففكرة «الخراب» مناسبة هنا .

ويمكن مع ذلك تغيير نطق الكلمة إلى (ī) أي خربة فتصبح العبارة «ولولي ياحشبون لأنها ستصبح بلقعاً خرباً» وهناك إشارة غريبة أخرى في هذا العدد إلى (الجدران) أو «الأسوار» والكلمة العبرية (bagg*denot) تقدم تعبيراً رعوياً، وربما كان نقلاً غير دقيق عن الكلمة (big*dūdōt) أي «ذات جروح بالغة» كا في الـ NEB . وهذا يتضمن تعديلاً طفيفاً في الحروف الساكنة في الماسورية ويناسب القرينة أفضل. ومعظم الترجمات تتحدث عن «الافتخار

بالأودية» في عدد (٤) والذي يعد غريباً بعض الشيء . ولو عاملنا كلمة (émeg)[1] طبقاً للاقتراح بخصوص (٥:٤٧) فالعدد يمكن أن يكون هكذا «لماذا تفتخرين بقوتك الزائلة» .

لقد ارتكب بنو عمون ذنباً بحبهم المفرط للماديات الذي لا ينتج عنه سوى الفساد (غلاطية ٨:٦) وقد أدان المسيح بنوع خاص جمع وتكويم الأشياء المادية لذاتها فقط (متى ١٩:٦) .

وعندما يحل القضاء الإلهي ببني عمون سوف يهرب كل واحد بسرعة دون التفكير في الآخرين، ناهيك عن التفكير في التائهين. ولكن حتى هذا القضاء لن يكون نهائياً لأن الله سوف يرد سبي عمون مرة أخرى. ومن الناحية التاريخية ظلت أسرة (طوبياد Tobiad) حتى القرن الثاني قبل الميلاد، كما توضح الحفريات في مصر وعبر الأردن، وفي القرن الأول قبل الميلاد حارب يهوذا المكابي بني عمون (سفر المكابيين الأول ٦:٥) .

خامساً ـــ ضد أدوم
(٤٩: ٧ـــ٢٢)

كان أدوم إقليماً في عبر الأردن احتله بنو عيسو وكان يعرف من قبل بأرض سعير (تكوين ٣:٣٢، سفر العدد ١٨:٢٤) وكان يمتد من وادي زريد حتى خليج العقبة لمسافة تقرب من مائة ميل حيث يضم برية أدوم التي لم تكن بنفس درجة خصوبة الإقليم إلا أنه كان بها مساحات تصلح للزراعة (سفر العدد ١٧:٢٠و١٩). وكان «طريق الملك» (سفر العدد ١٤:٢٠ـــ١٨) يمر على طول الهضبة الشرقية لأدوم. وكان ملوك أدوم الذين خلفوا رؤساء القبائل من عصر الآباء (تكوين ١٥:٣٦ـــ١٩، ٤٠ـــ٤٣) في عداء مع إسرائيل (عدد ١٤:٢٠ـــ٢١، قضاة ١٧:١١ الخ) ولكن بالرغم من ذلك فقد كان محرماً على العبرانيين أن يسيئوا إليهم (تثنية ٧:٢٣ الخ) وهذه النبوة، كتلك الخاصة بموآب، تحتوي على فقرات شعرية تتخللها أقوال نثرية، وهي تجمل الأحاسيس

---

(١) كلمة (emeg) هنا كما في (٥:٤٧) تعني (قوة) (المترجم).

العامة لأنبياء ما قبل السبي وبخاصة أقوال النبي عوبديا في ذم موآب، والفكرة الأساسية هي أنه لا رحمة حيال هذا العدو التقليدي لإسرئيل لأن القضاء الإلهي سيكون نهائياً وتاماً .

٧ــ١٣ : «تيمان» هو حفيد عيسو (تكوين ٣٦:١١) وقد أعطي اسمه للقبيلة التي تسكن في شمال أدوم، والإقليم الذي سكنت فيه، وقد استخدم اسم تيمان أيضاً كمرادف للأرض كلها (حبقوق ٣:٣) والتي اشتهر سكانها منذ القدم بحكمتهم. والددانيون شعب اشتهروا بالتجارة وسكنوا شمال غرب الجزيرة العربية (إرميا ٢٥:٢٣) ونُصحوا بأن يجدوا ملجأ أميناً لا يستطيع أحد أن يقترب منه للهروب من القضاء الإلهي. والأعداد من ٩ــ١٠أ على نسق ما جاء في سفر عوبديا (٥و٦).

وعدد (٩) يمكن أنْ يكون بصيغة استفهامية، أو ممكن أن يكون هكذا «لو أقبل قاطفوا العنب إليك ألا يبقون خصاصة؟ ولو انسل اللصوص ليلاً ألا يقنعون بسلب ما يكفيهم»(*) أي أن الله سوف يجعل أدوم قفراً تاماً مخرجاً كل سكانه من مخابئهم فلا يستطيعون الاختباء ثانية. ونهاية عدد (١٠) والذي يقدم قولاً مقتبساً موجزاً عن جيران أدوم يبدو أنه غير مؤكد، ففي مقابل الكلمة العبرية (w'enennû) (فلا يوجد) تقول إحدى مخطوطات السبعينية (we'én Omer) أي (لا أحد يقول) والتي يبدو أن المعنى يتطلبها .

وفكرة (الكأس) (١٢) أي كأس الغضب الإلهي (انظر ٢٥:٢٨ الخ) تنطبق بصفة خاصة على أدوم هنا لأن ارتداده ووثنيته تتطلبان العقوبة التي نالتها إسرائيل عن نفس هاتين الخطيئتين. (بصرة) كانت مدينة أدومية هامة (انظر ٤٨:٢٤) .

١٤ــ١٦ : هذا الجزء جاء على نسق ما جاء في عوبديا (١ــ٤) والنبوة الخاصة بجعل أدوم صغيراً بين الأمم تم تحقيقها مبدئياً في القرن الثالث ق.م. عندما اكتسحه النبطيون (أو الأنباط). والأدوميون الذين هربوا إلى اليهودية

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

أخضعهم فيما بعد يهوذا مكابيوس (سفر المكابيين الأول ٥:٦٥) ثم ضمهم إلى الشعب اليهودي «يوحنا هيركانوس» وقد تمتع الأدوميون بسمعة طيبة كرجال حرب أشداء لردح طويل من الزمن، وثقتهم في شجاعتهم المادية خانتهم في اللحظة الحرجة .

و«محاجيء الصخر» (١٦) ربما تكون هي «أم البيارة» وهي بقعة تطل على «بترا» عاصمة أدوم .

١٧ــ٢٢ : عدد (١٧) قريب الشبه جداً، إذ يحوي نفس الألفاظ، بالعبارة الواردة في (٨:١٩) وهو يسجل رد فعل المارة الدال على الرعب، ونوع الدمار المتنبأ به عن بابل في (٤٠:٥٠) نجده هنا منطبقاً على أدوم (١٨) و«غابة الأردن»[1] (٥:١٢) كانت واحدة من ثلاث مناطق في وادي الأردن حيث مأوى الأسد الأسيوي وحيوانات مفترسة أخرى أيام ما قبل السبي. ويشبّه الله بوحش مفترس يترك عرينه ليفترس الغنم في المراعي القريبة .

وبالمثل سوف ينتشر العدو ويفترس الأدوميين والذين سوف تسمع صرخات فزعهم حتى البحر الأحمر . وفي عدد ٢١ نجد كلمة (Yam sûp) أو (بحرسوف) أو «بحر الغاب» (خروج ١٨:١٣ الخ) وهو مستنقع البردي في مناطق المستنقعات بين البحيرات المرة وعلامة الحدود المصرية الأمامية عند (زيلو) (Zilu) وهذه المنطقة المذكورة في الوثائق المصرية في القرن الثالث عشر ق.م. قد جفت عند شق قناة السويس .

سادساً ــ ضد دمشق

(٢٣:٤٩ــ٢٧)

ونبوة القضاء الإلهي الآن على الشمال على عاصمة سوريا، دمشق، وولايتين سوريتين «حماة» و«اربد» بالتحديد (Arpad) وقد سقطت الأخيرتان في يد الأشوريين فيما قبل عام ٧٣٨ ق.م. (إشعياء ٩:١٠، ١٩:٣٦، ١٣:٣٧)،

---

(١) وهي «كبرياء الأردن» في الطبعة العربية (المترجم) .

بينما أطيح بدمشق عام ٧٣١ ق.م. (ملوك الثاني ١٦:٩)، وقد عصت حماة ضد سرجون الثاني في عام ٧٢٠ ق.م.، ولكن تم إخضاعها بقليل من الجهد، ويسجل (ملوك الثاني ٢٤:٢) أن القوات الأرامية ساهمت في إخضاع يهوذا فيما بين عامي ٦٠٠ و٥٩٧ ق.م.، ولكن لم يعرف عن الأحداث التي تمت في سوريا في القرن السابع ق.م. سوى النذر اليسير، وقد كانت حماة على نهر (أورونتس Orontes) على بعد حوالي ١١٠ ميلاً شمال دمشق تقع على إحدى أهم طرق التجارة من آسيا الصغرى إلى الجنوب و(أربد) في شمال سوريا هي (تل رفاد) حوالي ٢٠ ميلاً إلى الشمال الغربي من حلب .

وعدد (٢٣) حسب الـ MT غير مؤكد، ففي الـ RSV نجده يقول (Kayyám da agu) «قد ذابوا خوفاً، اضطربوا كالبحر» مع أن ذلك من قبيل التخمين، فدمشق القوية والتي كانت من قبل الرأس المتكبر لملك آرام (إشعياء ٨:٧) وصفت هنا بالضعف إشارة لضعفها تحت حكم الأشوريين عندما ضموها إلى إقليم حماة، وبذلك فقدت نفوذها السياسي. والحديث عن المدينة الشهيرة (٢٥) قيل على لسان مواطن من دمشق وصيغة الـ MT بالنفي «لم تترك» واضح أنها خطأ في النقل حيث (LO) (لم) مع أنها حرف لام (le) فتصبح هكذا «كيف تركت المدينة مهجورة تماماً» .

وعدد (٢٦) متكرر في (٥٠:٣٠) بينما عدد (٢٧) ترديد لما جاء في (عاموس ١:٤) .

والاسم «بنهدد» قد أطلق على عدة حكام سوريين (ملوك الأول ١٥:١٥، ٢٠:١و٢، ملوك الثاني ٦:٢٤، ٨:٧، ١٣:٣) وهم ثلاثة حكام مع أن ذلك لا يمكن التحقق منه في الوقت الحاضر، وحتى عند الرجوع إلى لوحة بنهدد المدمرة والتي وجدت في عام ١٩٤٠ في منطقة بشمال سوريا أي في حلب الآن .

سابعاً ــ ضد قيدار وحاصور
(٤٩:٢٨ــ٣٣)

هذه النبوة الموجزة موجهة إلى قبائل بدوية معينة تقع في الصحراء السورية

شرق فلسطين، وهذه القبائل سوف تعاقب أيضاً، وموجه إليها التحذير بأن تهرب من أهوال الكارثة المدمرة.

«قيدار» (انظر ۲: ۱۰) كان هذا الاسم يرمز لقبيلة عربية بدوية تعيش في الصحراء السورية العربية ولكنه كان يدل على البدو أيضاً بصورة عامة. وقد كانوا يربون الأغنام (إشعياء ٦٠: ٧) ويتاجرون مع فينيقيا (حزقيال ٢٧: ٢١) وكانوا مهرة في رمي الرمح (إشعياء ٢١: ١٦ الخ). وقد ذكر اسم القبيلة مع العرب في بعض النقوش الأشورية.

«حاصور» ليست هي المدينة الشهيرة في شمال فلسطين، ولكنها منطقة سكنها عرب شبه بدو وقد يشير الاسم أيضاً إلى بعض القرى الصغيرة (hsérim) التي ستقرت فيها بعض القبائل العربية (إشعياء ٤٢: ١١) وكلمة (ممالك) عدد ٢٨ (mamlkat) يحسن ترجمتها «رؤساء القرى»، (أما ما ورد في الـ NEB «الأمراء لملكيين» فهو لقب أرفع من أن ينطبق على هذه الحالة).

وتقدم نبوخذنصر نحو قيدار في عام ٥٩٩ ق.م. كما هو مدون في تاريخ بابل.

و«بنو المشرق» عاشوا في الصحراء منذ وقت مبكر (تكوين ٢٩: ١، قضاة ٣:٠، أيوب ١: ٣). في عدد (٢٩) يستخدم إرميا عبارة مألوفة (انظر ٦: ٢٥، ٢: ٣و١٠) ليصف الرعب المتولد من هجوم غير متوقع للعدو. وفي العهد قديم لم تكن النظرة إلى الشعوب الساكنة في هدوء ودعة تتسم بالارتياح يث أن أكثر المواقع المحصنة كان يمكن الإطاحة بها تماماً.

وحياة المسيحي الذي أشتري بثمن (كورنثوس الأولى ٦: ٢٠، ٧: ٢٣) ب أن تقضى في خدمة الله والإنسان، وليس في الانغماس في إرضاء الذات.

وعدد (٣٣) قد تحقق عندما أخضع نبوخذنصر تلك القبائل وهدم ساكنها.

ثامناً ــ ضد عيلام
(٤٩: ٣٤ــ٣٩)

يرجع تاريخ هذه النبوة إلى عام ٥٩٧ ق.م.، السنة التي تبوأ فيها صدقيا

الملك (انظر ٤٦: ١، ١:٤٧ الخ) كانت عيلام تقع إلى الشرق من بابل في سهل خوزستان، وقد كانت مركزاً حضارياً قديماً جداً، ودخلت في معارك مع عدة ملوك أشوريين وهزمت في النهاية على يد أشور بانيبال حوالي عام ٦٤٠ ق.م.، وبعد أن مات استعادت استقلالها، وفي عام ٥٤٠ ق.م. ساعدت قواتها في الإطاحة بإمبراطورية بابل. والنبوة تشير إلى حادثة معينة في تاريخ عيلام لا نعرف عنه في الوقت الحاضر سوى النذر اليسير .

ولا حتى المقاتلون العيلاميون بكل كبريائهم يستطيعون الوقوف أمام تيار القوة الإلهية الجبارة (إشعياء ٦:٢٢، إرميا ٢٥:٢٥، حزقيال ٢٤:٣٢) وسوف يشتتون بين الأمم الأخرى لأنهم أثاروا غضب الله و(الكرسي) الذي سوف يوضع هو عرش إله بار يجلس للقضاء على الشعب، وبرغم هذه الكارثة فإن نبوات إرميا العالمية الشاملة تتحدث عن رد سبي عيلام، ربما في عصر المسيا (انظر ما جاء في ٤٧:٤٨) .

كان العيلاميون موجودين في أورشليم عندما أعطى الروح القدس للكنيسة المسيحية الأولى (أعمال الرسل ١:٢ الخ) .

تاسعاً ــ ضد بابل
(١:٥٠ــ٦٤:٥١)

يتحدث الأصحاحان في هذا الجزء عن سقوط بابل وأرض بابل، وقد كانت وسيلة قصاص العبرانيين، أكثر من مصر، ولكن على الرغم من أنها كانت تستخدم كقضيب تأديب وأداة للغضب الإلهي لعقاب يهوذا، فإن دينونتها تقترب .

ومعظم ما في هذا الجزء من معلومات يرجع لما قبل عام ٥٣٩ ق.م. حيث أنه لم يرد ذكر للفرس كقوة عالمية، وأوجه الشبه التي بين هذه النبوات وبين ما جاء في إشعياء (١٣و١٤) قد يدل على أن عام ٥٨٠ ق.م. هو الوقت المناسب لكتابة هذا الجزء .

٥٠: ١ـــ٢٠ : المناداة بسقوط بابل

ينحدر الكلدانيون من قبيلة شبه بدوية كانت قد استقرت بالقرب من أور في الألف سنة الثالثة قبل الميلاد. ومنذ القرن العاشر ق.م. كانت تعرف أرضهم باسم (كالدو Kaldu) في النقوش المسمارية. وفي القرن التالي كان بعض الحكام الكلدانيين تابعين للملك ادادنيراري الثالث (Adadnirari III) (٨٠٥ــ٧٨٢ ق.م.) وقد اشتهروا عندما اعتلى (نبو بولاسر Nabopelassar) وهو مواطن كلداني، عرش بابل عام ٦٢٦ ق.م. ووضع حجر الأساس لعصر الإمبراطورية الجديدة الزاهر في تاريخ بابل (٦١٢ــ٥٣٩ ق.م.).

١ــ٣ : في ثورة عارمة يتحدث إرميا عن عقاب بابل محقراً آلهتها الحامية لها. وكلمة (بيل Bel) بمعنى رب كان لقب إله العواصف (Enlil)، وعندما أصبح (مردوخ Marduk) رئيساً لمعبد بابل (Pantheom) في الألف الثانية ق.م. أطلق عليه لقب (Bel) أيضاً . وعصر الإبداع البابلي ربما كان مبعثه تكريم ماردوخ «ملك الآلهة» وفي نهاية عدد (٢) فإن الكلمة (أصنامها) (gillûleyhâ) يبدو أنها كانت تشير في الأصل إلى كرات صغيرة من الروث وأطلقت باستخفاف على الأصنام في (لاويين ٢٦: ٣٠، تثنية ٢٩: ١٧، ملوك الأول ١٥: ١٢، ٢١: ٢٦ الخ)،(*) ويستخدم حزقيال نفس اللفظ ليس أقل من ٣٨ مرة في العديد من الأصحاحات. بالنسبة للعبرانيين كان «الشمال» (٣) هو المكان الذي يأتي منه أي شيء يدل على الشؤم أو النحس، ومن ثم فقد استخدم كتعبير دارج وليس على موقع جغرافي محدد في العديد من المناسبات .

٤ــ٧ : إن إسرائيل الذي في السبي الآن يندفع للتوبة عند حدوث الكارثة التي لحقت بالذي قهره منذ مدة وجيزة مضت، وهي الآن تتخذ ذلك الموقف الروحاني الذي سوف يضمن عودتها إلى وطنها. وإسرائيل الآن إذ يحدوها هذا الأمل توجه بصرها إلى صهيون (دانيال ٦: ١٠) وتتعهد بالالتصاق بالرب في عهد أبدي (إرميا ٣٢: ٤٠) . ومرة أخرى يتم توجيه اللوم إلى «الرعاة» وهم «الكهنة والأنبياء» على معصية إسرائيل .

(*) لم يوجد هذا المعنى في هذه الشواهد لكن وجدت كلمة رجس كما في تث ١٧:٢٩ (المحرر) .

ومع ذلك فإن تم تجديد الولاء للعهد فإن سبي الأمة سوف يرد سريعاً. ومع أن أعداء إسرائيل تنصلوا من أي ذنب إلا أن الذين (أكلوا) إسرائيل سوف يدانون (٣:٢) .

٨ـــ١٠ : الكراريز هي التيوس وهي ذكور الغنم، وكما تفعل ذكور الغنم إذ تترك الحظيرة أولاً، هكذا يجب على يهوذا أن يكون في مقدمة الشعوب المأسورة، فيترك بابل متجهاً لموطنه. ومجموعة الأمم القوية (كما ذكرت في ٢٧:٥١ الخ) سوف تضم «البطل المهلك» (الذي يصوب النبال)، والذي يرجع بنجاح من أرض المعركة عالماً أن سهامه قد أصابت هدفها .

١١ـــ١٦ : في عدد ١١، «كعجلة في الكلأ»، وفي ترجمة أخرى (كعجل يدرس) والتي لا تناسب صورة الحيوان المرح. وسوف تنحدر بابل إلى مركز أدنى في الشرق القديم عندما يعاقبها الله، ومرة أخرى سوف يشهق المارة لفرط الدهشة (١٦:١٨، ٨:١٩) وهو نفس التعبير المستخدم عن يهوذا وأورشليم (١٧:٤٩) المستخدم عن أدوم، وما إن تهشم قوة بابل فتذل حتى تتحرر كل العناصر الأجنبية المسبية (١٦) .

١٧ـــ٢٠ : والإشارة لأشور القصد منها سبي مملكة الشمال على يد سرجون الثاني في عام ٧٢٢ ق.م.، وعندما تندحر بابل كما اندحر أشور فالله الرحيم سوف يعفو عن البقية الباقية من الشعب وسوف يعودون ليبدأوا الحياة من جديد (٣٣:٣١) .

وعدد (٢٠) يبدأ بالعبارة النبوية المعتادة عن المسيا مبيناً أن رؤيا المغفرة والبركة تنتمي إلى عصر المسيا .

٢١:٥٠ـــ٣٢ : دينونة بابل

٢١ـــ٢٧ : (مراثايم) و«فقود» (حرفياً : العصيان المزدوج والافتقاد) هما توريتان ساخرتان لموقعين بابليين محددين. الأول هو مات ماراتم **Mat Marratim** منطقة في جنوب بابل بينما الثاني هو (فقود **Puqudu**) وهذا اسم أحد الشعوب البابلية الشرقية (حزقيال ٢٣:٢٣)، وعندما يأتي العقاب الإلهي

فكل شيء سوف يخضع للتحريم (يشوع ٨:٢٦ الخ). في عدد (٢١) في بعض الترجمات «اذهب وراءهم»، في العربية (ah'rehem) (حرِّم وراءهم) ولكن يمكن إعادة نطقها مع تغيير حرف ساكن واحد فقط لتصبح (ah'ritám) أي (آخرها) وهي قراءة أفضل. فبابل المطرقة والتي أطاحت في عنفوانها بالآخرين، جاء عليها الدور الآن لتنكسر، وقد سقطت المدينة نهائياً في اكتوبر من عام ٥٣٩ ق.م. في يد كورش، والذي قيل إنه حوَّل مجرى نهر الفرات حتى تدخل قواته إلى المدينة الحصينة، وبينما نسب كورش النصر السهل لهداية مردوخ فإن إرميا نسب سقوط بابل لفعل إله إسرائيل الذي استخدم مادي وفارس لإتمام أهدافه في تحقيق العقاب (إشعياء ١٣:٥) .

و«العجول» في عدد (٢٧) هم المقاتلون البابليون الشبان (مزمور ٢٢:١٢، إشعياء ٣٤:٧، إرميا ٤٨:١٥) .

٢٨ــ٣٢ : يرى إرميا هنا المسبيين العائدين فرحين بسبب العقاب الإلهي الذي حل ببابل وهو يصور بابل كتجسيد حي للعجرفة والوقاحة (٢١:١٣) ولذلك فهي تعاني الآن من كل نتائج خطية الكبرياء عدد (٣٠) تكرار لفظي لما ورد في (٤٩:٢٦) حيث نجد وصفاً لمصير دمشق .

٣٣:٥٠ــ٤٦ : إدانة أخرى لبابل

٣٣ــ٤٠ : مع أن البابليين لن يطلقوا سراح الأسرى طواعية فالذين يهزمون بابل سوف يفعلون ذلك. ويستخدم إرميا فكرة الولي، وفي (الفادي أو المحامي goël) والذي من واجبه أن يثأر لجريمة قتل تلحق بقريبه ويقوم بدور المحامي لهذا القريب والمدافع عن حقوقه (لاويين ٢٥:٢٥، عدد ٣٥:٣١) وذلك ليصف طبيعة عمل إله إسرائيل. وعندما يأتي العقاب فإن الحكمة الدنيوية المقدسة في نظر الكهنة العرافين سوف تصبح جهالة في نظر الله (كورنثوس الأولى ٣:١٩) وسوف يحل الدمار بهؤلاء المخادعين مع القوات الأجنبية المرتزقة (٣٧) .

وفي عدد (٣٨) فإن كلمة (حر horeb) لها نفس الحروف الساكنة لكلمة

(سيف) (hrb) والأخيرة تبدو أفضل حيث أن سيف العدو سوف يجعل قنوات الري التي كانت سبب رخاء بابل تنضب بالإهمال .

وعددا ٣٩و٤٠ يعكسان ما جاء في إشعياء ١٣:١٩ــ٢٢ بينما يكرر عدد (٤٠) ما جاء في (إرميا ٤٩:١٨) .

٤١ــ٤٦ : التحذير الموجه ليهوذا من أمة قادمة من الشمال في (٦:٢٢ــ٢٤) موجه الآن إلى بابل مع تغييرات ضرورية (انظر ما جاء في التعليق على ٥٠:٣)، و«الملوك الكثيرون» هم حلفاء فارس (٥١:٢٧) المرعبون تماماً كما كان الأشوريون قديماً. فلا عجب إذن بأن يرتعب ملك بابل من الخوف. والأعداد من ٤٤ــ٤٦ تكرر ما جاء في النبوة ضد أدوم في ٤٩: ١٩ــ٢١ ولكنها تردده بالنسبة لبابل .

إن صرخات أدوم الضعيفة يدوي صداها حتى بحرسوف ولكن صيحات بابل الأليمة سوف تسمع في طول بلاد الشرق وعرضها ، وعند سماعها سوف يتعرف الناس على يد الرب .

٥١:١ــ١٩ : رياح التغيير في بابل

١ــ٥ : في عدد (١) حسب الـ RSV نجد القول (ديار الكلدانيين)[*] وهي حرفياً «وسط أولئك القائمين عليّ»، ولكنها عادة تترجم كإشارة لكلمة (ksdym) الكلدان أو بابل (٢٥:٢٦) .

وعدد (٣) تصعب قراءته مع قراءة الحروف الساكنة (ydrk) أولاً بالتتابع ثم تركها غير منطوقة في المرة التالية على يد كتاب الطبعة الماسورية ويمكن قراءته كما يلي «أمام من يوتر قوسه ليوتر رجل القوس قوسه أيضاً، وأمام من تسربل بعدته الحربية» والـ RSV تحذف القول المتكرر وبدلاً من كلتا الكلمتين على، على نجد النهي (لا al)، ولكن حيث أن المعنى يتطلب من رماة الرماح أن يهاجموا بابل، فيستحسن أن يكون النص هكذا «ليوتر الرامي قوسه

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

وليتدجج بسلاحه»(*) سوف يتم تحريم بابل كما حدث لكثير من مدن الشرق القديم. ومع ذلك فإسرائيل لم تفقد وليها بعد وهكذا فإنها لن تباد تماماً .

٦ــ١٠ : عدد (١٠) موجه لأهل يهوذا (انظر ٥٠:٨) لكي يطلبوا حماية أنفسهم، وكأس الخمر (٧) يرمز غالباً للكارثة (إشعياء ٥١:١٧و٢٢، إرميا ١٣:١٢، ٤٩:١٢ الخ). وجرعة واحدة من هذه الكأس كانت كافية لجعل أولئك الذين شربوا منها أن يتصرفوا تصرف المجانين : إن جرح إسرائيل يمكن شفاؤه ببلسان من جلعاد، أما مصير بابل فنهائي، وبعقاب بابل قد برر الله البقية الباقية فيستطيعون أن يخرجوا من السبي لكي يبدأوا بداية جديدة في وطنهم .

١١ــ١٤ : عدد (١١) «اعدوا الأتراس» وفي الـ NEB «املأوا الجعبة» في محاولة لتوضيح العبارة. والكلمة)(selatim) كثيراً ما تترجم أتراس أي ملابس الحرب. وهي غير مؤكدة ولكن ربما ترجع للأصل في اللغة الأكادية (sattu) (ترس) أو (درع) (ملوك الثاني ١٠:١) بينما «المياه الكثيرة» (١٣) تشير مبدئياً لنهر الفرات وهي تشير أيضاً من باب السخرية إلى المحيط السفلي العظيم، وهي فكرة بارزة في الأساطير البابلية القديمة. لقد عاش البابليون على هذه المعتقدات الخاطئة لعدة قرون والآن فهم يموتون على نفس المعتقدات الخاطئة .

١٥ــ١٩ : هذه الأعداد تحمل نفس الألفاظ التي وردت في (١٠:١٢ــ١٦) تقريباً باستثناء حذف كلمة (إسرائيل) من عدد ١٩. والاقتباس يظهر عدم كفاءة آلهة بابل في وقت الشدة، ويقين القضاء الإلهي على بابل .

وعدد (١٦) هو نفس ما جاء في (١٠:١٣). والإدانة الشاملة للآلهة الوثنية كان معلماً بارزاً لنبوات ما قبل السبي واعيد ترديده في العهد الجديد (كورنثوس الأولى ٥:١٠، ٦:٩، ٨:٤، ١٠:٧ الخ) فأناس الله يجب أن يكرسوا تماماً لخدمته .

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

٥١: ٢٠-٢٦ : أداة تنفيذ القضاء سوف تقدم للمحاكمة

الإشارة في عدد (٢٠) لدور بابل القديم «كمطرقة كل الأرض» (٥٠: ٢٣)، ونفس التشبيه موجود في (إشعياء ١٠: ٥) في الإشارة لأشور وهلاك بابل المريع سوف يكون جزاء من الله على الشرور الماضية (انظر تثنية ٣٢: ٣٥، رومية ١٢: ١٩) .

والعبارة (الجبل المهلك) في عدد (٢٥) غامضة ولربما استعملت أصلاً لوصف سكان الجبال قاطعي الطريق المهاجمين الذين كانوا يقومون بغارات مفاجئة على بابل من سلاسل جبال «زاجروس» أو على فلسطين من المرتفعات الشاهقة لجبال أدوم أو موآب. ومع ذلك فالإشارة قد تصف بابل المرتفعة في عز أوجها .

٥١: ٢٧-٣٣ : الأمم تتحد ضد بابل

يستخدم الله الآن شعوباً أخرى لعقاب بابل الشرير . (أراراط) هي (أورارتو urarto القديمة الواقعة في الشمال الغربي لبحيرة (فان Van) في أرمينيا وهي تشتهر بالنقوش الأشورية (ومني Minni) هي «ماناي» في النصوص الأشورية، وكانت تقع أيضاً بالقرب من بحيرة فان، بينما (اشكناز) في الحروف المسمارية (As-Ku-Za) كانت حليفاً لماناي في ثورتها ضد أشور في القرن السابع قبل الميلاد .

والإشارة في عدد (٢٧) «للغوغاء المقشعرة»(*) ويبدو أنها إشارة لطور مدمر في حياة الجراد، تكون فيه الأجنحة مغلقة للظهر على شكل غطاء خشن مثل القرون .

وعلى طريقة إرسال الرسائل في بابل (٣١) يتم الإعلان عن الخراب بأنفاس سريعة متلاحقة .

ويبدو أن «القصب» والآجام كانت تحرق بالنار لمنع الهاربين من الاختباء

(*) أي الجراد المنتصب الشائك (المترجم) .

وسطها حتى لا ينجوا من الهلاك. إن أعداء بابل سوف يحصدون ثمار إبادتها بينما هي نفسها سوف تدمر في تلك الحملات المتلاحقة (قارن إشعياء ١٧:٥، يوئيل ٣:١٣) .

٥١:٣٤ـ٤٠ : شكوى يهوذا ضد بابل

في عدد (٣٤) نجد ضمير المتكلم. فنبوخذنصر قد التهم أورشليم بشهية مفتوحة «كوحش» أو كالتنين، ولهذا الإفراط فإن أرضه سوف تعاقب. وفكرة الجزاء بالمثل (٣٥) هي نفسها الموجودة في (تكوين ١٦:٥). كما نجد مياه ينابيع الحياة (١٣) سوف تنضب معلنة سلطان الله على كل مقاومة، ونفس القوة قادرة على خلاص الخاطيء بالصليب ومده بالقوة اللازمة فيما بعد ذلك. وبداية عدد (٣٩) «وإذ تنفتح شهيتهم»[1]، وبدلاً من (ya'lozû) أي «لكي يفرحوا» نقرأ في السبعينية وبعض الطبعات الأخرى الكلمة (y'uláppû) أي «حتى يغمى عليهم»[2] والتي تناسب المقام أفضل .

٥١:٤١ـ٥٨ : الله يأتي بالدمار على بابل

«شيشك» (٤١) رمز لبابل (٢٥:٢٦)، والمدينة الشهيرة (إشعياء ١٣:١٩) قد خضعت في النهاية لجحافل قوات العدو الذين هطلوا عليها كالطوفان. ونجد إشارة إلى الأرض وإلهها الوثني الحامي لها في عدد (٤٤) حتى أن هزيمة هذا الإله تعني دمار الأرض وهي فكرة مألوفة لشعوب الشرق القديم . والخداع السياسي والفتن الداخلية كانت من السمات البارزة التي تميز إمبراطورية بابل لعدة سنوات قبل سقوطها .

وخلال تلك الفترة كان يطلب من شعب الله أن يلوذ بالصمت (متى ٢٤: ٦، مرقس ١٣:٧، لوقا ٢١:٩) على أساس الاقتناع بأن الله هو الديان القوي لكل الأرض وخليقته مدعوة لكي ترى أعماله الإلهية الأخرى (إشعياء ٤٤: ٢٣) والتي سوف تبتهج بسقوط بابل، ويمكن أن يكون عدد (٤٩) بطريقة

---

(١) «عند مرارتهم» في اللغة العربية (المترجم) .

(٢) «حتى يناموا نوماً أبدياً» في الطبعة العربية (المترجم) .

مختلفة، فبإضافة حرف الجر (L') (لأجل) على (نمط لأجل بابل في السطر التالي) يبدأ العدد هكذا «حتى بابل يجب أن تسقط لأجل قتلى إسرائيل كما سقط قتلى كل الأرض لأجل بابل» وفي RV تعتبر «قتلى إسرائيل» منادى فتصبح العبارة هكذا «كل بابل يجب أن تسقط يا قتلى إسرائيل وعند بابل سوف يسقط قتلى كل الأرض» .

إن الذرى المرتفعة (أبراجها العالية) (٥٣) وقصور بابل لن تكون بمنأى عن يد الدمار وسرعان ما تنهار وتصبح أثراً بعد عين (إشعياء ١٤ ١٣:١٤ــ١٥، إرميا ١٦:٤٩) .

في عدد (٥٨) أثناء حكم نبوخذنصر كانت بابل محاطة بسور مزدوج مزود بتحصينات دفاعية وقد كان هذا السور حسب أقوال هيرودوت يحيط بمساحة ٢٠٠ ميلاً مربعاً والجزء الأخير من هذا العدد يذكرنا بما جاء في (حبقوق ١٣:٢) وقد يكون مثلاً شائعاً .

٥١:٤٩ــ٦٤ : تكليف إرميا لسرايا

هذا الأمر يمكن أن يرجع تاريخه لعام (٥٩٤ــ٥٩٣ ق.م.) طبقاً لعدد ٥٩، ويفهم من الكلام أن صدقيا قد أجبر على زيارة بابل ليقدم ولاءه لنبوخذنصر وعلى هذا فإن سرايا بن نيريا بن محسيا هو أخو باروخ (١٢:٣٢) وقد كان هو الضابط المسئول عن ترتيبات اقامة الجنود (رئيس المحلة) عندما توقفت الجماعة لإقامة معسكرات فأمره إرميا أن يأخذ النبوة التي تنبأها عن خراب بابل ويقرأها بصوت عالٍ للمسبيين فور وصوله إلى هناك. وبعد أن يفعل ذلك (٦٣) فإن إغراق النبوة في نهر الفرات كان يرمز لأن بابل كالدرج لن تقوم ثانية. ويبدو أن كتبة الطبعة الماسورية نسخوا عبارة (ويعيون) من نهاية عدد (٥٨) (حتى تعيا) عند إدخال الأعداد من (٥٩ــ٦٤) ويمكن الاستغناء عنها، ثم يختم الأصحاح بملحوظة بيد الكاتب كان يبدو أن القصد منها فصل المادة السابقة عن أصحاح (٥٢) والذي يمضي على شاكلة محتويات (ملوك الثاني ١٨:٢٤ــ٣٠:٢٥) مع فروق طفيفة .

جـ ـ ملحق تاريخي

(٥٢: ١ـ٣٤)

هذا القسم يتعامل مع الأيام الأخيرة لإرميا، وربما انتزع من كتاب تاريخي أكبر استخدمه أيضاً كاتب سفر الملوك الثاني و لم يكتبه إرميا، وربما وضعت المادة هنا لتبين كيف تمت نبوات إرميا . وتظهر بعض الاختلافات في المحتوى عند مقارنته بأصحاح (٣٩) فيما يختص بآنية دينية قد أزيلت من الهيكل، ومما يدهش عدم ذكر تعليمات نبوخذنصر لحماية إرميا .

١ـ٣ : (حميطل) كانت زوجة يوشيا وأم يهوآحاز وصدقيا (ملوك الثاني ٢٣: ٣١، ٢٤: ١٨). ونص عدد (٣) في الـ MT محير إذ يحمل الانطباع أن الغضب الإلهي كان سبب ما أصاب يهوذا والاثم المتفشي فيها وليس نتيجة له .

٤ـ١١ : بدأ الحصار في أوائل يناير من عام ٥٨٨ ق.م. و«السنة التاسعة» كانت (٥٨٩ـ٥٨٨ ق.م.) و«الشهر الرابع» (عدد ٦) كان شهر يوليو من عام ٥٨٧ ق.م. حيث كان الوقت يحسب من بداية السنة البابلية الجديدة (مارس / ابريل)، وفي عدد (٧) ارتباط مع ما ورد في ٣٩: ٤ـ١٠ ليشتمل على هروب صدقيا. أما فيما يختص بربلة اقرأ ما جاء في ٣٩: ٥. وحبس صدقيا لم يرد في ملوك الثاني ٢٥: ٧ .

١٢ـ١٦ : «عاشر الشهر» في العدد ١٢ بينما ذكر «سابع الشهر» في ملوك الثاني ٢٥: ٨، والاختلاف ربما يرجع لضم المهلة بين وصول نبوزرادان وبداية الدمار أما فيما يتعلق بلقب نبوزرادان انظر ما جاء في (٣٩: ٩) .

وفي نهاية عدد ١٥ (AV, RV) فإن كلمة الشعب (hàamôn) وتعد خطأ في النقل من الكلمة (hàmman) أي (العمال المهرة) وتعد هذه ترجمة غير دقيقة على أحسن الفروض حيث أن المعنى «عمال مهرة» للكلمة (àmôn) غير مؤكد تماماً مع أن الـ NEB تقبلها .

في عدد (١٦) معنى كلمة (yogbin) «حراثين» في الـ RSV و«عمال» في

الـ NEB أو كرامين وفلاحين غير مؤكد أيضاً، ولكنه ربما من أصل يعني خدمة إجبارية، وهكذا فإن الكلمة توحي بعمل بلا أجر أي سخرة .

١٧ــ٢٣: يحتوي هذا الجزء وصف الآنية المستخدمة في الطقوس الدينية والتي أخذت من الهيكل كغنيمة وذلك تأييداً للفقرة المماثلة لها في (ملوك الثاني ٢٥:١٣ــ١٧) .

بعض هذه الأشياء مختلفة «بحر النحاس» (ملوك الأول ٢٣:٧ــ٢٦) كان عبارة عن حوض كبير قطره عشرة أذرع مستنداً على أربع مجموعات من الثيران النحاسية المتجهة للجهات الأصلية الأربع، وكان يتم تحطيم أجزاء كبيرة منه حتى يسهل حمله. لقد نهبت أورشليم من قبل مرة (ملوك الأول ٢٥:١٤) والآن تنهب مرة أخرى، وبينما كان النحاس أكثر المواد شيوعاً في الاستعمال كان هناك أيضاً الفضة والذهب وأباريق النحاس .

والهدف من (العمودين) (٢٠) غير معروف على وجه اليقين (ملوك الأول ١٥:٧ الخ) ولكنهما ربما استخدما كمباخر، ومثل هذه الأعمدة كانت شائعة في الألف الأولى قبل الميلاد في معابد على الطراز السوري والإشارة إلى الثماني عشر ذراع (٢١) يوحي بأن الطول المعطي في (أخبار الأيام الثاني ١٥:٣) كان عبارة عن طول العمودين معاً . و«الرمانات» (٢٢) كانت شكل شائع للزينة في الشرق القديم وقد وجدت على ثوب رئيس الكهنة (خروج ٣٣:٢٨) . ووصف الزخرفة على العمود الثاني تأتي فجأة بلا مقدمات مما يوحي بفقد بعض الكلمات من النص والكلمة (rûhâh) (٢٣) في الـ MT والمترجمة على الجوانب[1] من المحتمل أن تكون قد نسخت خطأ بدلاً من الكلمة (rewah) المترجمة (فسحة) (انظر تكوين ١٦:٣٢).

وفي (ملوك الأول ٢٠:٧و٤٢) كل رأس عمود له ٢٠٠ رمانة مرتبة على صفين .

٢٤ــ٢٧ : (سرايا) كان حفيد حلقيا رئيس الكهنة في عهد يوشيا والذي يرجع نسبه إلى هارون (أخبار الأيام الأول ١٣:٦ــ١٥))، بينما (صفنيا) من

---

(١) (للجانب) في الطبعة العربية (المترجم) .

الجائز أن يكون هو الشخص المسمى بهذا الاسم في (٢٩:٢٤ــ٣٢، ٣٧:٣) . و«الوكيل على رجال الحرب» (خصى) كان على ما يرجح ذا رتبة عالية ويدير شئون رجال الحرب. لو كان (شعب الأرض) (EVV) فلاحين حقاً فربما قتلوا نيابة عن الفارين .

٢٨ــ٣٠ : «السنة السابعة» كانت (٥٩٨ــ٥٩٧ ق.م.) طبقاً للحساب البابلي، والأرقام المعطاة هنا تختلف عن تلك الموجودة في (ملوك الثاني ١٤:٢٤و١٦) فالعدد (٣٠٢٣) قد يكون العدد الحقيقي للذكور المسبيين بينما العدد المذكور في سفر الملوك قد يضم العدد الكلي للمسبيين. و«السنة الثامنة عشر» (٢٩) هي (٥٨٧ــ٥٨٦ ق.م.) بالحساب البابلي . وملوك الثان ٨:٢٥ يتبع النظام اليهودي في الحساب كما يفعل ملوك الثاني ١٢:٢٤ بالنسبة لعدد ٢٨ . والسنة الثالثة والعشرون كانت هي (٥٨٢ــ٥٨١ ق.م.) .

٣١ــ٣٤ : والسنة التي تبوأ فيها (أويل مردوخ) ابن نبوخذنصر الحكم، والذي حكم لمدة عام واحد فقط هي (٥٦١ــ٥٦٠ ق.م.) شهدت معاملة أفضل للأسرة الملكية اليهودية .

والألواح المستردة من بوابة عشتار المدمرة في بابل تؤكد أن يهوياكين تلقى هبات من الملك، هذه الحقائق التاريخية البارزة تأتي كخاتمة هادئة لفترة تتميز بمأساة روحية مثيرة . ورسالة إرميا التي طالما سخر منها بنو وطنه قد تحققت في نفس الوقت تقريباً وسطرت في التاريخ وقد جلب الله أخيراً العقاب الذي تنبأ به إرميا على شعبه العاصي المرتد وبدأ السبي القاسي وبالرغم من تلك الكارثة المرعبة يتردد صدى الأمل أن الله سوف يرد سبي شعبه آتياً بالبقية الأمينة لتسكن الأرض من جديد .

مراثي إرميا

المقدمة

١ ــ اسم السفر ومكانته

هذا السفر الشعري الصغير كان لا يحمل اسماً في الأصل، ولكن الافتتاحية المميزة للماسورية استخدمت كلمات رثاء (آه، كيف!). والكتاب المقدس العبري استخدم كلمة (ekah) وأطلقت عليه السبعينية (Threnoi) أي «النواح» والذي أضافت إليه الفولجاتا Vulgate العنوان الفرعي «يحوي مراثي إرميا النبي»، وقد استخدمت الطبعات الإنجليزية عنوان «مراثي» وطبقاً لتقليد التأليف القديم خصصته بالقول «مراثي إرميا».

وأشار كتّاب التلمود والمعلمون اليهود إلى السفر ببساطة باسم (qinôt) أي «المراثي» أو بالاسم (êkâh).

وقد جاء ترتيب السفر الثالث من الأسفار القانونية في الأدراج الخمسة التي تلي المؤلفات الشعرية الثلاثة في الـ Hagiographa أو القسم الثالث من الأسفار القانونية.

وكانت المراثي تقرأ بصورة منتظمة في التاسع من شهر آب، في منتصف يوليو، في ذكرى خراب هيكل أورشليم.

وقد وضعت السبعينية المراثي بعد نبوة إرميا وسفر باروخ من الأبوكريفا[1] وقد حذا حذوها طبعات أخرى بما فيها الفولجاتا. وفي التلمود فإن المراثي كانت تلي نشيد الأنشاد وفي ترتيب مختلف للأسفار الشعرية والأدراج.

٢ ــ الخلفية التاريخية

كان الشعر الجنائزي من النوع المتمثل في «المراثي» شائعاً في الشرق الأدنى

(١) الأبوكريفا أي الأسفار الغير قانونية (المترجم).

القديم، وكان السومريون أول من كتب مؤلفات حزينة تخلد ذكرى سقوط بعض مدنهم العظيمة على أيدي الأعداء، ومن أشهر مؤلفاتهم البكاء على خرائب مدينة أور. ولذا فقد اتبع كاتب المراثي تقليداً أدبياً يحظى بقدر كبير من الاحترام لردح من الزمن، عندما بكى على خراب أورشليم وتدمير يهوذا في عام ٥٨٧ ق.م. وانفعالاته الشعرية المستفيضة كانت تتضمن سرداً حزيناً للآلام التي عانى منها سكان يهوذا أثناء وبعد حصار أورشليم، وكانت تحوي أيضاً اعترافاً بخطية الأمة نيابة عن الشعب. ومن رأي الكاتب أن هذا العامل الأخير كان السبب الحقيقي لسقوط يهوذا، ولا يمكن التساؤل عن حادثة معينة يحتفل بذكرها في تلك الأغنيات الحزينة أو عن الطبيعة القاتمة للكارثة التي ترسمها تلك الأغنيات بكل وضوح.

٣ ــ تركيب السفر، كاتبه، وتاريخ كتابته

يحوي السفر خمس قصائد شعرية، تكون كل منها أصحاحاً مستقلاً. والأربعة الأولى منها مكتوبة بطريقة معينة بحيث تكون الحروف الأولى من كلماتها وفقاً لترتيب الحروف الأبجدية وهي بذلك ذات مستوى عالٍ ومعقد من التركيب، والإثنى والعشرون حرفاً ساكناً في الأبجدية العبرية مستخدمة هنا على التوالي للتحكم في طول كل من القصائد الأربع الأولى، وهي أيضاً تحدد بدايات الفقرات أو اجزاء القصائد،ومع ذلك فهذا النظام الدقيق غير متبع بطريقة آلية لأنه مع أن الحروف الساكنة قد جاءت في ترتيبها الأبجدي المعتاد في القصيدة الأولى إلا أن الحرف (Pe)كان يسبق الحرف الساكن (ayin) في المرثيات الثانية والثالثة والرابعة موجداً بذلك شيئاً من عدم الانتظام.

والأصحاحات الثلاثة الأولى تتبع نظام المجموعات بوضع كل ثلاثة سطور في مجموعة (strophe) واحدة، مع وجود استثنائين فقط إذ نجد أربعة سطور للمجموعة في (٧:١، ١٩:٢) وهما حالتان عارضتان. وأجلى مثال للنمط الأبجدي البسيط ورد في القصيدة الثالثة حيث بدأت كل من الأعداد الثلاثة في المجموعة الشعرية بنفس الحرف العبري الساكن.

وتحوي القصيدة الرابعة سطرين فقط في كل مجموعة، بينما لا تسير الخامسة على هذا النمط الأبجدي اطلاقاً، بل تحوي إثنى وعشرين سطراً وهي تشبه بعض المزامير ذات الرثاء المشترك كمزموري ٤٤، ٨٠ ومع أنه يوجد تشابه واضح في التركيب بينها إلا أن كل أصحاح يمثل نموذجاً خاصاً مستقلاً في الشكل والمضمون .

والقصيدة الأولى مرتبة على شكل ثلاثة سطور لكل مجموعة شعرية فيها تصوير لأورشليم وهي تبكي على خرابها وتصرخ إلى الله طلباً للانتقام. وتتبع المرثاة الثانية نفس النمط إلى حد كبير، باستثناء قلب الترتيب الأبجدي للحرفين الساكنين (pe) و(ayin) كما أشرنا من قبل. وفكرة هذه القصيدة أكثر تطوراً حيث أن الكاتب يرى أن أحد الأسباب الهامة للدمار الذي حل بالمدينة راجع لإهمال الأنبياء تحذير الشعب بوضوح من اقتراب المصير المحتوم. وكنتيجة للعقاب الإلهي فالأنشودة الحزينة تنبر على أن أي رجاء في المستقبل يجب أن يكون مؤسساً على توبة الأمة .

والقصيدة الثالثة تختلف في التركيب عن الأخريات لأنها مكونة من سطور مفردة مجموعة على شكل ثلاثيات ومبتدئة بنفس الحرف الساكن للأبجدية العبرية. هنا نجد تجسيداً للأمة وحثاً لها على أن توجه توبتها إلى الله وتثق في رحمته الإلهية لرد السبي وعقاب الأعداء .

والأصحاح الرابع شديد الشبه بالثالث باستثناء أن كل مجموعة شعرية تتكون من سطرين بدلاً من ثلاثة . وبعد ترديد أهوال الحصار وإلقاء اللوم على الكهنة والأنبياء بسبب الانحطاط الروحي، تتجه القصيدة نحو استعادة الحياة الطبيعية في المجتمع وعقاب الأعداء التقليديين ومن بينهم الأدوميين .

والقصيدة الخامسة هي صلاة لإنقاذ البقية الباكية من أحزانها واستعادتها لفرحتها ورخائها. وهي تحوي سطوراً مساوية لعدد الحروف الساكنة في الأبجدية العبرية ولكنها باستثناء ذلك مختلفة تماماً في الشكل عن الأصحاحات السابقة .

وقد نسبت (المراثي) لإرميا بإجماع التقليد اليهودي بالرغم من أن السفر

غير معروف الهوية. وقد درجت السبعينية والفولجاتا على اتباع نفس النسبة لإرميا إلا أن السبعينية في (مراثي إرميا) قدمت للسفر بالعبارة التالية : «وحدث أنه بعد أن اقتيد إسرائيل إلى السبي وبعد خراب أورشليم أن جلس إرميا يبكي ورثى أورشليم بهذه المرثية قائلاً...» والتي أضافت إليها الفولجاتا العبارة «بروح مرة متنهداً ونائحاً» .

وربما نتج هذا التقليد في التأليف عن سوء فهم ما جاء في (أخبار الأيام الثاني ٣٥:٢٥) الذي قال إن إرميا كتب مرثيات على الملك الراحل يوشيا وأن تلك كتبت في المراثي . وقد ظن يوسيفوس أن المرثية المنسوبة ليوشيا تحوي الأصحاح الرابع من سفر المراثي، ولكن يبدو أن ذلك غير مرجح لأن الأخير كان يتحدث عن مدينة وشعبها وليس عن ملك مائت . وكثير من المصادر الأدبية التي ذكرها كاتب أخبار الأيام لم تعد موجودة، وعلى الأرجح فإن «المراثي» التي أشار إليها كانت تحوي بعض هذه المجموعات من الأناشيد الجنائزية والتي انقرضت أيضاً وقد اقترح العديد من المعلقين أن الآراء التقليدية في التأليف يجب أن تترك جانباً بسبب الاختلافات الأدبية الهامة التي توحي بتشابه أكبر في الأسلوب بين المراثي وبعض المزامير والجزء الأخير من سفر إشعياء وأجزاء من سفر حزقيال عنه بينها بين مجمل نبوات إرميا. ولكن هذا الرأي لا يلبث أن يتداعى بسبب الزعم الذي لا أساس له من الصحة بأن أجزاء من سفر إشعياء لا تنتمي في حقيقة الأمر إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وهو موقف ليس له سند من الواقع .

وحيث أن إرميا يعكس فكر الكتّاب القدامى بين آن وآخر فليس هناك سبب يدعو كاتب سفر مراثي إرميا ألا يحذو حذوه، هذا إذا لم يكن السفران لشخص واحد .

وتأييداً لفكرة أن إرميا هو كاتب (المراثي) هذا التشابه الواضح في الملامح والأسلوب والموضوع الذي ينبر عليه السفران كالاعتداء على عذراء بنت أورشليم والتوسل إلى قاضي النقمة العادل لتوقيع العقاب الإلهي لينصب صرفاً على تلك الأمم التي ابتهجت بانهيار يهوذا .

ومهما يقال من آراء مؤيدة أو معارضة لفكرة أن إرميا هو كاتب سفر المراثي فلا يمكن أن يكون هناك شك في تجانس الأسلوب والمضمون لكلا السفرين، وأن كل القصائد كتبتها يد واحدة لشخص كان شاهد عيان على الكارثة التي لحقت بيهوذا. وعلى فرض أن كاتب سفر المراثي شخصية مجهولة فيبدو من غير المحتمل أن أي إنسان آخر خلاف إرميا كان يمكن أن يتغلغل فيه هذا الشعور الدافق الحزين لانهيار المقاومة في أورشليم ثم يظل رابط الجأش ليسجل مشاعره بمثل تلك الروعة المحركة للعواطف، وتلك العبارات الجياشة التي يحركها إحساس دافق من الأعماق. إن عدم معرفة كاتب هذا السفر الذي أمامنا لا يقلل من شأن السفر. وحين يلزم فسوف يشار إلى كاتبه ببساطة هكذا «الكاتب».

أما تاريخ كتابة السفر فيمثل قليلاً من الصعوبات. فالسفر نفسه يقدم دليلاً كافياً من داخله على أن كاتبه شخص كان شاهد عيان على أهوال عام ٥٨٧ ق.م. والأصحاحات الأربعة الأولى قد تكون قد كتبت بعد ترحيل بني يهوذا إلى بابل بوقت قصير، والقصيدة الأخيرة قد تكون قد كتبت في مرحلة متأخرة عن ذلك، بالرغم من أنه لا يوجد شيء يقيني يفيد ذلك. ولا يوجد سبب يدعونا للاعتقاد بأن السفر قد كتب فيما بعد عام ٥٥٠ ق.م. سواء كانت بعض أجزائه قد كتبت في أوقات مختلفة أم لا .

٤ ـــ أنماط الشعر العبري

إن الكثير من نبوات ما قبل السبي ونبوات ما بعد السبي جاءت في قالب شعري. وقد كان لذلك أثره على الشكل الطباعي لبعض الطبعات الحديثة. وبما أن سفر مراثي إرميا يتكون أساساً من الشعر فمن المرغوب فيه أن نعلق بإيجاز على طبيعة شعر العهد القديم .

فمنذ القدم اشتهر العبرانيون في كل بلدان الشرق الأدنى بالغناء والموسيقى، وأكبر مجموعة من الشعر العبري هي بالطبع سفر المزامير إلا أن الأجزاء الشعرية متناثرة بشكل واضح في كل أجزاء العهد القديم. وأحد الملامح الشائعة لمثل هذا الشعر هو أنه شعر مرسل ومتوازن ويتجلى ذلك بكل وضوح في سفر

المزامير. ففي أبسط صور هذا الشعر نرى هذا التركيب متجلياً في أن الشطر الثاني يردد نفس الفكرة التي كان قد عبر عنها في الشطر الأول. ولذلك فالوحدة الأساسية للقصيدة هو الشطر وهو عادة يحوي نصف التوازن، وهو هام لأنه يكون فكرة كاملة وبذلك يتمتع بوحدة وتطابق من الناحيتين النحوية والتركيبية. ولسوء الحظ فليس هناك تسمية موحدة لوصف وحدات التوازن حتى إن المصطلحات : «شطر» و«نصف شطر» و«نقطة التوقف» تستخدم جميعها بصور مختلفة لتعبر عن فكرة «السطر».

وباستخدام هذه الوحدة الأساسية في البناء الشعري أظهر العبرانيون براعتهم في إنشاء كل الأنواع المعقدة من التوازن الشعري، ونتيجة لذلك فالصلة بين الشطرين الأول والثاني من البيت الشعري قد تعطي أنواعاً مختلفة من الوزن الشعري، فنوع منها يفيد الترادف في المعنى وآخر يعطي المعنى المضاد وثالث للتوافق بين الضدين وآخر يفيد الانطواء، ونوع يصل للذروة وآخر رمزي وهكذا. وحين تكون الوحدة مكونة من ثلاثة سطور (شطرات ثلاثية) فجميع المكونات الثلاثية تؤدي للتوازن الشعري. والميزان الشعري كما هو مفهوم في القصائد الموزونة غير متواجد في الشعر العبري القديم، ولذا فليس هناك شيء (كالتفعيل) كوحدة القياس سواء في التشديد أو كمية الحركة. ومع ذلك فالشعر العبري يبرز نوعاً من التشديد خاص به مع وضع النبرات أو علامات التشديد على مختلف الكلمات لاستخدامها لتحديد موسيقى الفقرة. وكل كلمة رئيسية في بيت يمكن أن تحمل نبرة واحدة. أما الكلمات الفرعية فإما أن تترك بلا نبرات أو ترتبط مع كلمات أخرى بشرطة صغيرة لوضع نبرة واحدة عليهما لتكون الوحدة المطلوبة، والمجموعات المكونة بهذه الطريقة تؤدي إلى أنماط إيقاعية منتظمة بالرغم من أن ذلك لا يحدث بطريقة آلية جامدة.

وكل ما هو معروف الآن عن الشعر القديم في الشرق الأدنى يوحي بأنه كانت هناك درجة من الحرية في التشديد والحركة متاحة لمؤلفي الشعر السامي لم يكن معروفاً لليونان أو الرومان. ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نعرف أن عقد المقارنات بينه وبين الشعر الكلاسيكي قد يكون مضللاً حيث أنه في الشعر العبري فإن عدد المقاطع الغير مشددة والتي يمكن أن تتواجد وسط

المقاطع المشددة غير ثابت. فالشعر العبري مهتم أساساً باعتبارات فكرية أكثر منها صوتية أو إيقاعية، وهدفه الأساسي موازنة الفكرة بفكرة أخرى مضادة باستخدام مقاييس مقطعية مشددة لا تلتقي في أغلب الأحيان مع وحدات ذات قياسات موحدة صارمة القياس. وبغض النظر عن الإيقاع الغير موجود في الشعر العبري فإن كتَّاب العهد القديم استفادوا كثيراً من كل الأشكال الأدبية الأخرى الموجودة في الكتابات الشعرية بما فيها القافية والجناس وكل أشكال الحديث، وتجانس بدايات الكلمات أو الأصوات. فبعض القصائد نظمت في أشكال طبقاً للترتيب الأبجدي وهو الشكل المألوف في مزمور ١١٩. ومراثي إرميا كما ذكرنا من قبل، يتبع أيضاً النمط الأبجدي مع شيء من التنويع .

٥ ــ الفكر اللاهوتي في مراثي إرميا

ككل الشعر الموحي به نجد أن الصور الخيالية العبرية تركز على القيم الأبدية الخالدة وتقدمها جميعاً في رونق وبهاء أمام أنظار الجنس البشري. وليس سفر مراثي إرميا استثناء من تلك القاعدة برغم الحقيقة البارزة بأن الألحان التي فيه قد وضعت بنغمة منخفضة لتناسب المقام .

فالسلطان الإلهي والعدالة والأخلاق والدينونة ورجاء البركة في المستقبل البعيد كلها موضوعات تنساب في رونق مهيب من قصور الأنغام بسفر مراثي إرميا. والقصيدة في كثير من الحالات تكون ذات مغزى عام **(sui genesis)** وربما أدى هذا الاتجاه العام دون باقي أسفار العهد القديم إلى القول بأن سفر «مراثي إرميا» به القليل من الأفكار اللاهوتية هذا إذا وجدت به أية أفكار لاهوتية على الاطلاق. ومع ذلك فإذا كان سفر أيوب يصف الكارثة ونتائجها على صعيد الحياة الشخصية فسفر مراثي إرميا يمكن أن يقال إنه يتعامل مع الألم على الصعيد القومي كما يتعامل مع الكارثة الكبرى التي أودت بالمجتمع ككل في يهوذا .

وهذا الموضوع الأخير هو الموضوع الرئيسي في كل القصائد حتى وإن كان كل أصحاح يمكن أن يعتبر منظومة مستقلة في حد ذاتها . وفي بعض

الأحيان يبدو أن الكاتب نفسه لا يكاد يصدق أن الخراب الذي تنبأ به قد حدث فعلاً، ومع هذا فالمدينة المدمرة تحمل شهادة صامتة على هذا الحدث المفجع، ومن ثم فعلى عاتق الكاتب أن يحدد بكل ما أوتي من قوة المعنى الحقيقي الكامن وراء هذه الأحداث الدرامية التي غيرت الأوضاع .

وفي ضوء مشاعر إرميا فأسباب انهيار يهوذا ليس بالشيء الذي يصعب اكتشافه، فالكاتب يعرف تمام المعرفة أن أهل يهوذا كانوا مرتدين لمدة طويلة، ومما زاد الطين بلة أنهم تجاهلوا الدروس المستفادة من سبي مملكة الشمال وأن سبب ذلك هو رفض التزامات وتبعات العهد. والآن وبعد أن لحق مصير مماثل بيهوذا، أصبح كل واحد مدركاً بشدة للعقوبات الخطيرة التي وقعها إله بار وقدوس بمرتكبي الخطية .

إن القصائد تقدم في حقيقة الأمر دفاعاً عن البر الإلهي في ضوء مواثيق العهد، وكسفر أيوب فهي تظهر أن الله، وليس الإنسان، هو الشخصية المحورية في مآسي التاريخ . وكما نرى من قصائد المراثي فإن المأساة الحقيقية الكامنة وراء تدمير يهوذا تكمن في أنه كان في الإمكان تجنبها. فالأسباب الحقيقية للمأساة ترجع للناس أنفسهم والذين كانوا مصممين على اتباع اغراءات الديانة الوثنية الزائفة والفاسدة مهما كلفهم ذلك من ثمن باهظ، لأنهم فضلوها على المثل والمبادىء الأخلاقية والأدبية الرفيعة والمتمثلة في عهد سيناء.

والسخرية الكامنة وراء ذلك تكمن في حقيقة أنه قد تم تحذير الناس مراراً وتكراراً عبر الأجيال وعلى مر العصور على يد خدام الله المتنوعين من مغبة الانغماس الدائم في طرق الحياة الفاسدة وأن ذلك لن ينجم عنه سوى العقاب المريع، ولكن كل تلك التحذيرات قد ذهبت أدراج الرياح. وبينما يعتبر سفر أيوب دفاعاً عن الله ومحاولة تفسير وتبرير طرق الله مع الناس فإن المراثي عبارة عن تعليق حزين على دفاع الأنبياء عن قناعة تامة بأن أولئك الذين يزرعون الريح سوف يحصدون العاصفة، فرماد أورشليم المدمرة يشهد فوراً لذلك الإعلان، ويمثل دفاعاً عن البر الإلهي (١٨:١) .

والاعتراف بخطية الأمة كالسبب الحقيقي وراء الدمار جلب معه إحساساً

قوياً بالذنب (١:٨، ١٤:٢، ٣: ٤٠ الخ) وهذا بدوره يجبر الكاتب على تقديم اعتراف كامل بالخطية نيابة عن الشعب المرتد وقادتهم كخطوة أولى نحو المطالبة بالغفران الإلهي ورد السبي. وحتى وإن كانت قد جاءت النبوة بذلك الدمار قبل وقوعه بوقت طويل إلا أن قسوة الضربة التي حلت أخيراً بيهوذا يبدو أنها قد أخذت بتلابيب الكاتب وفاجأته .

وفي القصيدة الثانية فإنه يحتج على الله موجهاً له نوعاً من اللوم على هذا الفعل القاسي، إلا أنه مع ذلك يعترف بأن العدالة الإلهية مكملة للبر الإلهي، وينعي حماقة شعب العهد لطيشهم وعدم اكتراثهم بأنهم عاشوا لمدة طويلة في عدم إدراك واضح لتلك الحقيقة . وكما هو الحال مع إرميا فالكاتب يرى شعاعاً من الأمل يتخلل أحلك السحب قتامة، فمع أن أرض يهوذا قد أخربت إلا أن الكارثة ليس ميئوساً منها لدرجة فقدان الأمل في أي توقع لرد السبي والتجديد، ومع ذلك فطبيعة ومحتوى القصائد تعطي الانطباع بأنه يصعب أن نقرر ذلك بوضوح مع أن الكاتب يتمسك دائماً بالتأكيد بأن الله يحفظ تعهداته ووعوده (مراثي ٣: ١٩ـــ٣٩) .

فمن الممكن أن يضع المرء ثقته في إله أمين يمكن الاعتماد عليه، وفي تسليم كامل لإرادته السامية يصلي حتى ينظر الله بعين الرضى مرة ثانية إلى شعبه المرتد ويردهم إلى سالف مجدهم. وكاتب المراثي مثله مثل كاتب سفر أيوب يعترف بأن رد الفعل الإيجابي لاختبار الألم أمر حتمي للنضج الروحي، ويمثل هذا الإدراك أساساً لتوقعاته بأنه، لصلاح الله، فاختبار التجربة سوف يعقبه عصر رد كل شيء والبركة (مراثي ٣: ٢٥ـــ٣٠) لشعب تائب نادم. ومثل هذا المطمح كان ركناً ثابتاً في مواثيق العهد (تثنية ٣٠: ١ الخ) لأن الله لن يرفض شعبه تماماً كما أشار بولس (رومية ١١: ١ الخ) .

وليحذر القاريء من بذل أيِّ محاولة لاكتشاف تطابق منطقي تعليمي أو تطور في الفكر اللاهوتي بين قصيدة وأخرى، فبينما القصائد المنفردة تبرز درجة من الالتزام الخارجي في التركيب (الشكل) إلا أن تسلسل الفكرة ليس موجهاً توجيهاً صارماً بأي حال من الأحوال، بل إن هذا التسلسل يتجه بحرية دون

نظام معين كما يتناسب مع الاندفاعات التلقائية لروح هدها الحزن. ومع ذلك فالمشاعر الدينية المرموز إليها في القصائد لا تخضع لزمن معين بطبيعتها، وإذا لم يكن السفر قد استخدم فعلاً بطريقة ما بواسطة مسببي بابل كوسيلة لتخليد ذكرى سقوط أورشليم (إرميا ٤١ : ٤، زكريا ٧ : ٣). فليس هناك أدنى شك أنه يصلح كأنسب وسيلة ليحمل الإحساس بتوبة الأمة والاتكال على مراحم الله في المستقبل .

سادساً ـــ النص العبري والترجمة السبعينية

بسبب طبيعة القصائد فمن المرجح بأن النص العبري قد تم حفظه جيداً ونتيجة لذلك لم يطرأ عليه أي تغيير في النص، ومع ذلك فهناك بعض الأمور الغامضة بين حين وآخر يمكن ملاحظتها في التعليق. ويبدو أن مترجمي الطبعة السبعينية استخدموا نصاً عبرياً شديد الشبه، إن لم يكن متطابقاً مع النص الماسوري المألوف .

وهناك بعض الاختلافات في الطبعة السبعينية مع ذلك، وقد تكون تلك الاختلافات ناشئة من النص اليوناني نفسه والذي لحقه بعض التلف أثناء عمليات النقل .

التحليل

١ ـــ المرثاة الأولى (١:١ـــ٢٢)

أ ـــ أورشليم المدمرة (١:١ ـــ ٧)

ب ـــ الدمار يعقب الخطية (١:٨ ـــ ١١)

جـ ـــ طلب الرحمة (١:١٢ـــ٢٢)

٢ ـــ المرثاة الثانية (٢:١ـــ٢٢)

أ ـــ عداء الله تجاه شعبه (٢:١ ـــ ٩)

ب ـــ الآلام الناتجة عن المجاعة (٢:١٠ـــ١٣)

جـ ـــ الأنبياء الصادقون والكاذبون (٢:١٤ـــ١٧)

د ـــ صلاة مليئة بالدموع إلى الله (٢:١٨ـــ٢٢)

٣ ـــ المرثاة الثالثة (٣:١ـــ٦٦)

أ ـــ رثاء المحزون (٣:١ ـــ ٢١)

ب ـــ تذكر المراحم الإلهية (٣:٢٢ـــ٣٩)

جـ ـــ نداء للتجديد الروحي (٣:٤٠ـــ٤٢)

د ـــ نتائج الخطية (٣:٤٣ـــ٥٤)

هـ ـــ الراحة واستنزال اللعنات (٣:٥٥ـــ٦٦)

٤ ـــ المرثاة الرابعة (٤:١ـــ٢٢)

أ ـــ استرجاع ذكرى الأيام الأولى (٤:١ ـــ١٢)

ب ـــ الخطية ونتائجها (٤:١٣ـــ٢٠)

جـ ـــ العقاب المتنبأ به على أدوم (٤:٢١و٢٢)

٥ ـــ المرثاة الخامسة (٥:١ـــ٢٢)

أ ـــ طلب الرحمة (٥:١ ـــ١٠)

ب ـــ طبيعة الخطية (٥:١١ـــ١٨)

جـ ـــ طلب رد السبي من الله (٥:١٩ـــ٢٢)

الشـرح

١ ـــ المرثاة الأولى (١:١ـ٢٢)

أ ـــ أورشليم المدمرة (١:١ـ٧)

في هذه الأعداد الافتتاحية نجد موضوع السفر، وهي تحكي كيف لحقت الكارثة البشرية بالمملكة الجنوبية وعاصمتها مدينة أورشليم. فبعد عبارة موجزة تعكس أسباب الدمار نجد توسلاً لطلب الرحمة .

«كيف» (١) هو التعبير العبري المميز للرثاء (ekâh) وقد درج العبرانيون على أن يبدأوا مرثياتهم بها (إشعياء ١:٢١) وهذه الكلمة غير متداخلة في التركيب الإيقاعي للمرثية .

كانت أورشليم في الأوقات العادية عاصمة يهوذا ومركزاً تجارياً زاهراً ينبض بالحياة كما كانت مركزاً للعبادة على مستوى الأمة بأسرها، والآن فهي أطلال مهجورة مجردة من كل سالف عظمتها وخالية من سكانها .

ولكي يزيد من الإحساس بمأساة الدمار يستخدم الكاتب صورة المرأة المهجورة من زوجها وأطفالها، وهي تنعي بمرارة أمجادها الزائلة وتتأمل في حالتها المحزنة الراهنة في ألم شديد وخوف. إن فكرة الترمل كانت تستخدم كثيراً لتصوير أعماق الشعور بالوحدة واليأس البشري .

وبينما الكاتب هو المتحدث الرئيسي إذ يصف مشهد الخراب فهو أيضاً يمثل العاصمة المهجورة وهي تنعي خطيتها السابقة. والعبارات الوصفية (السيدة) و(تحت الجزية) تمثل المستوى الذي انحدرت إليه تلك المدينة المتكبرة يوماً ما، فهي التي كانت قديما حاكمة لأقطار كموآب وأدوم قد صارت هي نفسها تحت السبي، مخربة ومنهوبة .

والترجمة الماسورية لهذا العدد (عدد ١) يمكن إعادة تجزئتها كما في الترجمة

العربية و معظم الترجمات الحديثة، ليصبح فقرة ثلاثية الأسطر تتفق مع الإيقاع الوارد في بقية المرثية .

وبينما يحصل الآخرون على انتعاش الجسم والعقل نتيجة للنوم إلا أن أورشليم مستيقظة (٢) بالليل تبكي وتنتحب دوماً بالحزن، يضايقها منظر الأهوال الليلية، ولا تجد سبيلاً إلى الراحة البشرية. والتعبير (محبيها) قد استخدمه إرميا (٢٠:٢٢) ليقصد أمماً كمصر وشعوب عبر الأردن وصور وصيدا الذين حاولت يهوذا جاهدة أن تتحالف معهم ضد بابل. وهؤلاء (الأصحاب) قد خانوا أورشليم في ساعة شدتها، وسلك بعضهم مسلك الغدر لدرجة أنهم ساهموا في دمارها والقضاء عليها بمساعدة بابل، عامدين متعمدين، على سلبها ونهبها. وقد انهارت كل مقاومة عندما تم اللحاق بالهاربين، وتم أسرهم في المسالك الضيقة حول أورشليم، وذلك يؤدي إلى المعنى المجازي الأكبر عن الضيق أو الشدة التي تلحق بشخص والذي تعبر عنه الكلمة (mésar) (بين الضيقات) وفي الـ RSV «في وسط أحزانها» والـ NEB «في ضيقتها الشديدة».

إن الطرق لأورشليم والتي كانت من قبل غاصة بالحجاج الذاهبين إلى الهيكل للاشتراك في طقوس الأعياد قد أصبحت مهجورة تماماً الآن (٤) .

و(الأبواب) تعني المساحة التي بداخل أبواب المدينة، وقد كانت في العادة إحدى المساحات الضيقة والمفتوحة داخل أسوار أشهر المدن الفلسطينية، وكان يجتمع فيها التجار لبيع بضاعتهم للمواطنين، وفيها أيضاً كانت العدالة تتخذ مجراها على يد الشيوخ أو الحاكم (تثنية ١٩:٢١، راعوث ١:٤و١١، صموئيل الثاني ٢٤:١٨ الخ) .

وشاباتها اللاتي بقين على قيد الحياة يهدهن الحزن على فقدان الأمل في أي زواج أو أطفال وبدلاً من كلمة (مذللة) في العربية (nûgôt) فمعظم الطبعات تستخدم كلمة (nhûgôt) من كلمة (náhag) أي «يطرد» وهكذا تقول الـ RSV «عذاراها قد طردن»، ومع ذلك فالعربية معناها أفضل هنا، ولا داعي لأن تعتبر كلمة (nûgôt) صيغة مختصرة من (n'hugot) كما فعل بعض المعلقين. أما بالنسبة لأهل المملكة الجنوبية الذين طالما فضلوا أن يعتبروا أنفسهم كالرأس

وليس كالذنب (تثنية ٢٨: ٤٤) قد أصبح صعود أعدائهم حقيقة مرة .

ومع ذلك فالكارثة كانت عقاباً لخطية الأمة. والكاتب يعرض بوضوح السبب الحقيقي للكارثة التي لحقت بيهوذا. والفكرة بأن الله قد عاقب الأمة على معاصيها بأن جلب عليها كارثة السبي مفصلة في المرثيات التالية.

والإشارة للرؤساء (٦) قد تكون إشارة لصدقيا ومستشاريه الذين هربوا من أورشليم وأسروا قبل تمكنهم من الهرب (إرميا ٣٩: ٤، ملوك الثاني ٢٥: ٤) وصورة (الأيائل) التي لا تجد مرعى تتناقض بشدة مع الصورة المرسومة في مزمور ٢٣، حيث يقود الرب القطيع ويرشده. وأعظم مدد وعون يقدمه المسيح، الراعي الصالح، الذي وضع حياته لأجل الخراف (يوحنا ١٠: ١١). ومما يثير الشجن ويحرك العواطف في كارثة السبي مقارنة الحالتين الماضية والحاضرة .

الكلمة (mârdûd) في الماسورية (تيهان) قد اعتقد أنها خطأ في النقل من الاسم المشتق من الفعل (nârar) المرار أو يكون مراً[1] وهذا الإحساس بالألم نجده هنا وفي (٣: ١٩) في الـ RSV، والإشارة لتفرس الأعداء «رأتها الأعداء» (٧) إشارة لأمم مثل عمون وموآب وأدوم وهم الأعداء التقليديين للإسرائيليين (عوبديا ١٢) .

ب ــ الدمار يعقب الخطية (١: ٨ــ ١١)

فكرة خطية أورشليم التي تم تقديمها في عدد (٥) هي تحت الفحص الآن عن كثب، وفي النهاية تصبح إحدى الموضوعات اللاهوتية الرئيسية في السفر. وإذ يستمر الكاتب في تقديم صورة امرأة فإنه يؤكد أن محبيها القدامى قد رفضوها لأنها تنجست بالانغماس في الخطية .

والعرى أو كشف العورة كناية عن سوء السمعة، فالانثى المتكبرة قد

---

(١) في الطبعة العربية «في أيام تطوحها» (عدد ٧). ولكن في الطبعات الانجليزية «في أيام بلواها ومرارتها» وفي كتاب الحياة «أيام شقائها» (المترجم) .

أصبحت امرأة ساقطة بالاشتراك في الطقوس اللاأخلاقية لعبادة البعل، وهي تئن وتتجه بعيداً لأن محبيها السابقين قد أعرضوا عنها وتجنبوها.

في عدد (٩) الكلمة (tum'al) (نجاسة) تستخدم للإشارة إلى الطقوس كما إلى الصفات الأخلاقية. فمملكة يهوذا مدانة من الناحيتين. فالقانون الأخلاقي لعهد سيناء جعل ذلك الشرط أمراً بالغ الخطورة بالنسبة لأولئك الذين كان المفروض أنهم يظهرون قداسة الله، والمسيحي بالمثل يناشد دائماً بأن يتجنب كل ما يدنس شخصيته (متى ١٥:١٨، كورنثوس الأولى ٣:١٧ الخ) لأن ذلك يقلل من تأثير وفاعلية الشهادة المسيحية .

وهكذا كانت أورشليم غير مبالية بالتزاماتها الروحية، حتى أنها ما فكرت أبداً في أن عصيانها المتكرر لمباديء العهد يمكن أن يجلب عليها الدمار كنتيجة حتمية بالرغم من الإنذارات النبوية المتعاقبة .

وكان انهيارها لذلك حدثاً مرعباً فيه العبرة لمن يعتبر. ومع ذلك فالآن تدرك أورشليم حماقة جرائمها ضد الله وتصور كما لو كانت تقطع التتابع الروائي بصيحة الحزن والتنهد التي ترسلها من الأعماق كما في عدد (١١) أيضاً .

وكإمرأة جميلة يتم اغتصابها قد تذللت أورشليم بسبب نهب الغزاة الوثنيين الذين دخلوا مقادسها وحملوا الغنيمة. و«مشتهياتها» (mah'muddim) كلمة نادرة لا توجد إلا في الجمع وتعني «الأشياء الثمينة» وترد بهذا المعنى في عددي ٧و١١. ففي الهجوم الذي تم في عام ٥٨٧ ق.م. جرد البابليون الهيكل من كل زينته الثمينة، وأزالوا أثمن ما فيه من لوازم العبادة إلى بابل (إرميا ٥٢: ١٧-٢٣) أما عن دخول الشعوب الوثنية محراب الله المقدس، فقد كان أسوأ مصير يمكن أن يلحق بهيكل الأمة المقدس، حيث أنه كان محظوراً على الإسرائيليين أنفسهم، من غير الكهنة الدخول إلى القدس .

ولكن الآن فإن أولئك الأجانب الذين كانوا ممنوعين من دخول محفل الإسرائيليين نراهم يدنسون البيت المقدس بأسوأ الوسائل الداعرة . والإشارة (للمشتهيات) في عدد (١١) فيه إشارة لسكان أورشليم الذين يبيعون أعز

ممتلكاتهم ليشتروا الطعام، وهذا يعكس سوء الأحوال التي سادت قبل انهيار المقاومة مباشرة في عام ٥٨٧ ق.م. ومثل تلك المحاولات كانت ضرورية لإطالة أمد الحياة فقط . والكلمات (انظر يارب) عبارة عن تدخل آخر في الحديث من جانب المدينة يصلح لتغيير شخصية المتحدث لبقية المرثاة .

جـ ـ طلب الرحمة (١:١٢ـ٢٢)

عدد (١٢) قد أصبح تعبيراً كلاسيكياً عن الحزن حسب الترجمة التقليدية. هناك بعض الصعوبة فيما يتعلق بالنص في الـ MT وكيفية ترجمته. فالكلمتان الأولى والثانية (lō lekem) تعنيان حرفياً «ليس لكم» واذا ترجمتا على صورة استفهامية كما في العربية يكون معناهما «ألا يؤثر ذلك فيكم بالمرة؟» وهذا يشير إلى عذاب تجارب أورشليم الحالية والدرس الذي يمكن للمراقب المدقق أن يعيه من وراء تلك الأحداث. أما إذا ترجمت الكلمتان كأمنية، فالعدد يمكن أن يبدأ هكذا «ألا يمكن أن يحدث ذلك معكم على الإطلاق؟» وهذه الترجمة تبدو أقرب إلى الموقف الراهن منه إلى القراءات التقليدية. وشبيه بذلك رثاء المسيح الشهير لأورشليم اللاهية العابثة (متى ٢٣:٣٧، لوقا ١٣:٣٤) .

ويمكن الحصول على معنى أفضل من السطر الأول لعدد (١٣) عندما تنتهي العبارة الأولى بكلمة (نار)، وعندما تقرأ الكلمة (wayyirdennah) (يخضع) كالكلمة (yoridennah) من الفعل (yarad) «ينزل» فيكون السطر هكذا «من العلاء أرسل ناراً، جعلها تخترق عظامي»[1].

وباستخدام صور النار والشبكة (الفخ) والإغماء يعطي الكاتب تعبيراً واضحاً عن كل أهوال الحصار التي لحقت بأورشليم، فالنار تحرق كل المنازل في داخل المدينة، والشبكة تمنع أي شخص من محاولة الهروب. وفكرة الإغماء تكمل صورة المجتمع الخائر العزيمة ذي الروح المعنوية الضعيفة. وبداية عدد (١٤) حسب الماسورية غامضة إذ الكلمة (nisqad) تبرز مشاكل معينة،

---

(١) هذه الترجمة مطابقة تقريباً لطبعة الكتاب بالعربية حيث تقول «من العلاء أرسل ناراً إلى عظامي فسرت فيها» (المترجم).

وحيث أنها لا ترد إلا هنا في العهد القديم كله فمعناها غير مؤكد ربما قيّد أو ربط، أما الترجمة السبعينية وعدد من المخطوطات الأخرى فتغير في الحروف الساكنة قليلاً لتصبح الكلمة صيغة من الفعل (sâqad) «يكون يقظاً» وتترجم هكذا «جعلت حراسة على معاصيَّ» ثم (al) أي (على) لما ورد في الماسورية (ôl) (نير) التي تتفق مع السياق العام للفقرة. وفي مقابل (nisqad) من الممكن أن تقرأ (hiqsáh) من الأصل (qâsah) أي يكون (ثقيلاً) لجعل العبارة هكذا «جاعلاً نير معاصيَّ ثقيلاً»، وأبسط تعديل للنص أن نقرأ الكلمة (niqsah) بدلاً من الكلمة (nisqad) في السبعينية وتترجم هكذا «ثقيل هو نير معاصيَّ» والفقرة تعني أن آثام أورشليم قد أصبحت معقدة وتشدها لأسفل كحمل ثقيل فوق رقبة الحيوان، ومثل هذا الحمل الثقيل يعوق المدينة من أن تحاول تجنب العقاب الذي تستحقه تماماً، وهكذا فالنير تشبيه آخر يضاف لقائمة التشبيهات للتعبير عن مدى المصائب المتضمنة في سقوط أورشليم .

(الجماعة) (١٥) في العادة تنطوي على معنى مفرح ولكن هنا فهي قوات العدو المتجمعة بناء على النداءات الإلهية للاحتفال بتصفية محاربي يهوذا ومقاتليها (والمعصرة) صورة تمثل الطريقة التي يتم بها سحق كل مقاومة في أورشليم، ودم المدافعين ينسكب كعصير العنب مندفعاً من وعاء ضخم، وبسبب ما لها من مركز متميز في ضوء مواثيق العهد فأورشليم «البنت العذراء» قد اعتبرت نفسها حصينة لا يمكن اقتحامها (١٢:٤) والآن فهي تعلم مقدرتها الحقيقية، وأنها كانت ترتئي فوق ما ينبغي. وعلى المسيحي أن يثق في المسيح وحده لكفايته (كورنثوس الثانية ١٢:٩، غلاطية ٢:٢٠ الخ) لأنه عندما يظن أنه قائم بمفرده، فهو معرض لخطر السقوط العظيم .

وعلى نقيض المسيحي الذي يجد أعظم عزاء في مخلصه، فإن مدينة أورشليم ليس لها من يواسيها في وقت شدتها، ولذلك فمصيرها التعس أشد قسوة وعدد (١٧) يبدو أنه جملة اعتراضية يرفع فيها الكاتب مرثاة بالنيابة عن المدينة المضروبة والتي يصورها كباسطة يدها في حركة تنم عن الحزن والضراعة. والله ممثل هنا كقاضٍ بار قد عاقب شعبه المتمرد أخيراً على عصيانهم الذي طال مداه. لقد تلوثت أورشليم بانغماسها في الطقوس الحسية الفاسدة للديانة

الكنعانية، والآن قد جاء وقت عقابها المتنبأ عنه (رؤيا ٢٢: ١٠)، وهناك مناشدة دائمة للمسيحي أن يبتعد عن كل أشكال النجاسة (كورنثوس الثانية ٧: ١، أفسس ٥: ٤ الخ).

في عدد (١٨) تعود أورشليم لترفع مرثاة تائبة عن الخطية التي جلبت كل هذا العقاب الشديد، وفي بقية هذا الأصحاح لا توجد فكرة العصيان ضد إرادة الله أو أي شكوى من طبيعة العدالة الإلهية على النقيض من سفر أيوب. ودينونة الله العادلة تقبل دون نقاش في خضوع روحي مع الاعتراف بأن خطايا الأمة الجسيمة ورفضها المتكرر لالتزامات العهد قد جلب عليها الفناء المتنبأ عنه والدمار للأمة بأسرها. إن دينونة يهوذا عادلة لأنها قد خرجت من لدن إله بار (تكوين ١٨: ٢٥)، وفي المقابل فإن المصائب التي لحقت بأيوب قد قصد منها أن تخدم هدفاً مختلفاً عن ذلك حيث أن السفر يتضح منه أن أيوب لم يكن خاطئاً، بل كان رجلاً باراً مستقيماً في نظر الله. وبينما قاسى الجميع في انهيار أورشليم فقد كان ذلك الانهيار ضربة موجعة موجهة للشبان والنساء، أمل المستقبل في يهوذا، وقد اقتلعوا بشدة من وطنهم وأخذوا سبايا إلى بابل، وعلى المستوى القومي — كما على المستوى الشخصي — ففكرة الانقراض كانت دائماً فكرة بغيضة جداً عند اليهود. والمحبون المذكورون في عدد (٢) كانوا حلفاء فشلوا في أن يهبوا لنجدة مملكة الجنوب عندما كانت جيوش بابل تدمر الأرض. ومصر بنوع خاص اعتقدت أنه من الحكمة تجنب المواجهة المباشرة مع الجيوش الكلدانية.

و(الكهنة) و(الشيوخ)، وهم القادة الذين أهملوا تحذيرات إرميا تأييداً للأكاذيب المهدئة للأنبياء الكذبة، قد تحملوا صدمة الحصار وأخيراً خروا صرعى أثناء محاولتهم البحث عن طعام. إن دوامة الاضطرابات النفسية الحادة معبر عنها بكلمة (mé'eh) (أمعاء، أحشاء، بطن) والتي كان يعتقد أنها مكان العواطف، و(Léb) (القلب) والذي اعتبره الساميون مقر الذكاء والإرادة والهدف. فبعد تحمل عقاب الحصار والدمار يبدو أن أورشليم قد أدركت أن المطلوب هو طريق جديد تماماً حيث أن عصيان الأيام السابقة قد جلب عليها لعنة لا بركة، وأخيراً فالابنة الضالة تعود لوعيها.

وفي نهاية عدد (٢٠) يقصد أن (الموت) في البيت هو نتيجة للسيف. ومع ذلك فالكلمة العبرية (māwet) يمكن أيضاً أن تعني (وباء) (طاعون) كما في (إرميا ١٥: ٢، ١٨: ٢١) حيث أن الوباء داخل البيوت قد أنجز ما أنجزه السيف في الشوارع. ولابد أن ذلك كان فيه اشباعاً لأعداء الإسرائيليين (٢١) بأن يعلموا أن الله الذي قد جلب مثل هذا الخراب في الأيام السالفة على أعداء الشعب المختار قد صب الآن كل هذا الغضب والعقاب على خاصته.

والإشارة إلى «اليوم الذي ناديت به» في نهاية عدد (٢١) غامض. فإذا كان (اليوم) يشير لكارثة يهوذا، فالفعل (تأتي باليوم) يجب أن يكون في الزمن التام. وإذا كان يشير للوقت الذي ينظر فيه أعداء الإسرائيليين المستهزئين الفرحين ذل العقاب بأنفسهم، فيجب ترجمة الفعل للتعبير عن المستقبل «سوف تأتي» وقد اتجهت بعض الترجمات لجعل الفعل في صيغة الطلب فانتهجت صيغة الأمر، بينما اعتبرها بعض مترجمي اليهود من العصر الوسيط أمنية للمستقبل لتصبح العبارة هكذا «إئت أنت باليوم»(*) فأورشليم تصلي حتى تلحق الشرور بأعدائها أيضاً ليقفوا مدانين أمام الله كما حدث لإسرائيل ويهوذا على إثمهم، إن أورشليم تدرك تماماً الآن أن عقابها قد نجم عن خطية سالفة انغمست فيها بإرادتها واستمرت تمارسها. وإدراك سبب العلة هنا هو الموضوع الرئيسي للأصحاحات التالية. في هذا الجزء أيضاً نجد وميض الأمل في المستقبل عندما يتلقى أعداء إسرائيل الجزاء الدفاق على أفعالهم الرديئة. ويضع هذا العدد الأساس اللاهوتي لسفر المراثي مع الفكرة بأن بر الله الذي يستلزم عقاب الخطية يجب أن ينظر إليه أيضاً كالأساس لأي رجاء يمكن أن تحظي به الأمة في المستقبل، وحتى يصبح ذلك حقيقة واقعة يجب أن تكون هناك «نقطة تحول» أو «تجديد» وخضوع تام لإرادة الله المعلنة. والعدد الختامي لهذا الأصحاح يثير موضوع القضايا الأخلاقية المتضمنة في الصلاة لأجل الانتقام الإلهي.

في العهد القديم كانت هذه الطلبات ترفع عادة لأن إسرائيل كانت قد عوقبت لشرها وكانت ترغب أن يعامل ديان الأرض باقي الشعوب الخاطئة

(*) أسرع بيوم العقاب (كتاب الحياة) (المترجم).

بنفس الطريقة، وكان هذا الاتجاه يستند على الإحساس بسلطان الله الأدبي على الجنس البشري، وكان يتسم بالإلحاح في الطلبة بسبب الرغبة بأن يحدث العقاب في هذه الحياة إذا كان لابد للعدالة أن تتخذ مجراها. والحكمة من ذلك يبدو أنها الحاجة لتأسيس عدالة الله في المقام الأول أكثر من الرغبة في إعادة الخاطيء للطريق السوي وسلوك الأمم الشريرة كان في الواقع، إنكاراً للناموس الإلهي وقد سمح لهم ذلك بالانغماس في أفعال شريرة لا ضابط لها ضد الشعوب الأخرى. وبما أن العبرانيين كانوا يعتبرون أن الجرائم ضد الجنس البشري بمثابة جرائم ترتكب ضد الله ذاته، فقد كانوا يصلون لله دون مواربة أو غموض أن يؤسس بره وعدالته بعقاب الأشرار. أما في العهد الجديد فإن تنفيذ النقمة من الأشرار أمر متروك لله وحده (رومية ١٢:١٩) .

٢ ــ المرثاة الثانية (٢:١ــ٢٢)

هذه المرثية تصف ــ بتفاصيل أكثر من ذي قبل ــ طبيعة الكارثة التي حلت بمملكة الجنوب، وحيوية الوصف ودقته ووضوحه يحمل علامة بارزة على أن المتحدث كان شاهد عيان .

أ ــ عداء الله تجاه شعبه (٢:١ــ٩)

إن الغضب الإلهي موجه ضد مملكة يهوذا كسحابة رعدية على استعداد للانطلاق بقوتها الرهيبة. ثم تتغير الصورة نوعاً ما، فنرى سيلاً منهمراً من السحابة سوف يؤدي إلى الخسوف الكلي «لابنة صهيون» وهذا التعبير يرد بصورة متكررة في إشعياء وإرميا (انظر إشعياء ١:٨، ٤:٤، ٥٢:٢، ٦٢:١١، إرميا ٤:٣١، ٦:٢و٢٣ الخ) وهو تعبير بارز في المراثي .

لقد دخل في روع الأمة أنها احتلت مركزاً بارزاً لأنها أصبحت في علاقة مع الله بموجب العهد، ويبدو أنها لم تكن مدركة أن مثل هذا المركز ينطوي على التزامات هامة على الصعيدين الأخلاقي والروحي، والآن فإن سقوطها كان مفاجئاً كما كان عظيماً وقد حط من شأنها إلى درجة مذهلة حتى وصلت إلى مستوى أقل من الشعوب الأخرى . فلم تسو عاصمة الأمة المجيدة بالأرض فقط، ولكن المحراب المقدس بنوع خاص، والذي طالما اعتبر غير قابل للهدم، قد دنسه الغازي. لقد تم تدنيس المسكن المقدس (مزمور ١٣٢:٧) بما لحق به من دمار لايضاح مدى الغضب الإلهي على الشعب المختار وكلمة (مساكن) تشير للأماكن التي كان يعيش فيها الرعاة مع قطعانهم، وهكذا فإنها تعني المساحات الريفية الخلوية في يهوذا . وفي الفقرة التالية هناك مقارنة بين تلك المساكن الغير محصنة وبين المدن الحصينة. والأمة التي قصد الله أن تكون كهنوتاً ملكوياً وأمة مقدسة (خروج ١٩:٦) قد دنست نفسها بالانغماس الخطير في عبادة الأصنام والفساد .

والآن فقد أتم الله إذلال يهوذا نهائياً بإلغاء مركزها المتميز وجعلها في مركز

أقل من مركز الأمم الأخرى، والتي حاولت يهوذا جاهدة دون كلل أن تقلدها .

وفي العهد الجديد فإن كفر ناحوم سوف تلقي مصيراً مشابهاً لكورزين وبيت صيدا (متى ١١: ٢١) لأنها هي أيضاً قاومت أعمال الله وتفقده لها .

في عدد (٣) كلمة (qere) (قرن) تصور رمزاً محبوباً في العهد القديم للقوة والسلطان. والمعنى المراد أنه حتى القلاع شديدة التحصين لن تستطيع وقف الموجات الكاسحة للغضب الإلهي إذ تكتسح مملكة الجنوب. ولم يعد الله يستخدم قوته كحاجز بين شعبه وبين أعدائه. ونتيجة لذلك فالنار الآكلة التي تنبأ عنها عاموس (٢: ٤) قد أحرقت مساكن يعقوب. وفي عدد (٤) يشبه الكاتب الله بإنسان وبأنه يمثل عدواً قوياً لشعبه وأنه اتخذ منهم موقف العداء لطول انغماسهم في الخطية والوثنية، ونفس القوة التي كثيراً ما أنجزت المعجزات في العصور الغابرة لصالح أمة العهد تقف الآن ضد هذه الأمة في موقف الدينونة والقضاء. وصورة «الخباء» في عدد (٤) تدل على وجود غاز ينهب كل شيء وأي شيء يجذب انتباهه، ومع ذلك فلم يعد يوجد شيء ذو أهمية تذكر في حياة الأمة المنهوبة. استخدم المسيح النار كرمز للعقاب (متى ١٨: ٨، ٢٥: ٤١، ١٣: ٤٢ الخ) . فبسبب الارتداد المستمر لشعب العهد، تقسى قلب الله نحوهم وجلب عليهم العقاب الذي يستحقونه.

«النوح والحزن» (٥) محاولة غير كافية لتمثيل ما تعنيه بالعبرية كلمتان مترادفتان (ta'niyyah) (النياح) و(aniyyah) (الرثاء ـــ النوح) مظلته (أي مظلة الله) عدد ٦ أو (خيمته). ومع أنه تعبير ضعيف إلا أن القصد منه أنه مسكن الله المقدس ويمثل حضور الله وسط شعبه، ولكن الآن ـــ وبسبب شر الأمة ـــ فقد أزيل الهيكل المقدس كما لو كان مجرد خيمة لا قيمة لها، ولذلك فالاحتفالات التي نص عليها الناموس لا يمكن أن تقام مرة أخرى لأن الطقوس الدينية قد أنهيت على حين غرة. وفعل الوساطة بين الله والناس عن طريق المذبح، حيث كان الأمناء يطلبون ويجدون المصالحة مع الله على مر العصور قد أصبح في خبر كان. وأهم من هذا كله، مع ذلك، دلالة ذلك وما يعنيه

بأن أي قدر من الإجراءات الطقسية الظاهرية لا يستطيع أن يحول مجرى القضاء الإلهي ضد شعب مدان للرفض المستمر لعهد الحب.

ويصف عدد (٧) نهب أورشليم في أخطر مراحله، فحتى هيكل سليمان الفخم، رمز كبرياء الأمة لقرون طويلة لم يسلم من الدمار الذي كان شاملاً و«أسوار القصور» هي أسوار الهيكل ككل لارتباطه بذكر المذبح والمقدس.

لقد كان الهيكل يشكل جزءاً من مجموعة مبانٍ، وقد استغرق بناؤه سبع سنوات في مقابل ثلاثة عشرة سنة لإقامة القصر الملكي. وهذا الاختلاف قد يوحي بأن الهيكل قد يكون القصد منه في الأصل أن يكون معبداً ملكياً.

وفي الحادثة التي أمامنا (فالصوت) (قارن ١:١٥) هو صوت قوات العدو المنتصرة وليس صوت الاحتفالات الدينية للعابدين من العبرانيين. و«السور» المذكور في عدد (٨) كناية عن مدينة أورشليم باعتباره حاوياً لكل ما بداخله. والدمار المخطط شهادة قوية على السلطان المطلق لخالق يهوذا. وكما يقيس البناء الارتفاعات بدقة في أثناء عملية التشييد هكذا فإن الله كان دقيقاً في عملية الهدم ليؤكد أنه لا يبقى حجر على حجر.

وهذا المصير كان لابد أن يلحق بأورشليم مرة أخرى في أوائل العصر المسيحي (متى ٢:٢٤، مرقس ٢:١٣، لوقا ٤٤:١٩، ٦:٢١). وقد محيت كل دفاعات المدينة بعد الدمار كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعتها، في (تثنية ١٤:٥، ١٥:١٢، ٢٧:١٤) كلمة (Sa'ar) (أبواب) استخدمت كإشارة للمدينة نفسها. إن سقوط أورشليم كان دفاعاً شهيراً عن طبيعة إله يهوذا البار، واستنكاره التام للخطية والذي طالما كان موضوع التحذيرات المتكررة لكل أنبيائه تباعاً، وقد وضح ذلك الآن بشكل واقعي يستطيع الجميع أن يروه ويفهموه.

وما أن تم سبي الكهنة والرؤساء المدنيين حتى لم يتبق أحد ليعلم البقية القليلة من أهل يهوذا عن تقاليد ناموس موسى (حزقيال ٢٦:٧، عاموس ١١:٨)، فقد كان الكهنة مسئولين عن اتخاذ القرارات المتعلقة بالنواحي الدينية

للتوراة، بينما كان يشرف موظفو البلاط والملك على الناموس المدني. وبالنسبة لمجتمع أقر المعيشة بموجب التوراة فأن يحرم من دستوره المنظم لوجوده كان يعد بمثابة تدمير للحياة الروحية كما كان يعد هلاكاً للمجتمع. وأن يفقد الشعب الرؤية الروحية ففي ذلك هلاك له (أمثال ٢٩:١٨)، وعلى المسيحي كذلك أن يثبت نظره دائماً في المسيح رئيس الإيمان ومكمله (عبرانيين ١٢:٢) .

وليس كل الأنبياء في زمن إرميا ، سواء كانوا قائمين بخدمة الطقوس أم لا ، بالضرورة كذبة ، كما هو الحال مع أوريا (إرميا ٢٦:٢٠—٢٤) . وحتى أولئك الأشخاص الذين هاجمهم إرميا كان معترفاً بمركزهم في المجتمع ، وقد هوجموا ليس بسبب إقرارهم بأنهم أنبياء بل لكونهم أنبياء . كذبة وحقيقة السبي قد أوضحت إرادة الله أخيراً لكل ذي عيان ، وقد أسكتت أولئك الذين كانوا يرفعون رايات الآمال الكاذبة بالسلام والرخاء . وبالمثل فإن أولئك الذين كان يمكن أن يساندوا إرميا في هجومه لم يكن لديهم ما يقولونه في ذلك الوقت .

ب ــ الآلام المترتبة على الجماعة (٢:١٠—١٣)

في تعليم عصر الآباء كان (الشيوخ) هم رؤساء الأسباط إلا أنه في سفر العدد (١١:٢٥) عُيّن سبعون شيخاً للمشاركة مع موسى في حكم الشعب (خروج ٢٤:١). وفي فترة الاستيطان والاستقرار كان لكل مدينة شيوخها الذين يمارسون السيطرة على مجريات الأمور المحلية (تثنية ١٩:١٢، ٢١:٢، قضاة ٨:١٤ الخ) .

والهيئة القومية المعروفة باسم «شيوخ إسرائيل» كان لها نفوذ قوي قبل وبعد السبي، وكانوا أي الشيوخ يطلبون تعيين ملك (صموئيل الأول ٨:٤)، وكان مركزهم يتطلب اعتراف. العديد من حكام إسرائيل ويهوذا بما فيهم الملك سليمان (ملوك الأول ٨:١—٣) وآخاب (ملوك الأول ٢٠:٧)، وياهو (ملوك الثاني ١٠:١)، وحزقيا (ملوك الثاني ١٩:٢)، ويوشيا (ملوك الثاني ٢٣:١) .

أما الآن فبعد دمار الأرض لم تكن لدى الشيوخ أية حقوق مدنية يباشرونها

وأضحوا عاجزين قد هدهم الحزن على كارثة السبي. ووضع «التراب» على الرأس كان علامة مميزة على الحزن (أيوب ٢:١٢، حزقيال ٢٧:٣٠)، و«المسوح» كان يلبس كدليل على الحزن على الموتى (تكوين ٣٧:٣٤، صموئيل الثاني ٣:٣١ الخ) وليدل على التوبة عن الخطايا (ملوك الأول ٢١:٢٧، يونان ٣:٥ الخ) أو كرمز على البكاء على الكوارث الشخصية أو القومية (استير ٤:١، أيوب ١٦:١٥). وكان عادة يصنع من شعر الماعز وكان أسود اللون والإشارة في عدد (١١) «للأحشاء» و«الكبد» تعني الاضطرابات العاطفية الحادة (١:٢٠).

والكبد بنوع خاص (kabed) يعني ثقيل، والذي يعد فعلاً أثقل عضو في الجسم البشري كان يعتبر منذ القدم أحد مواطن الانفعالات النفسية من حيث ارتباطه بردود الأفعال النفسية العميقة، ذات الطابع الاكتئابي بنوع عام.

وفي بعض الترجمات نجد (القلب) بدلاً من الكبد، مع نسبة نفس الانفعالات إليه.

والحزن الموصوف هنا قد حدث نتيجة لتذكر المصير المريع الذي لحق بالأطفال الصغار أثناء حصار أورشليم، وهو موضوع يتكرر ذكره في الأعداد من (١٩ــ٢١) وفي (٤:٤و١٠). والمناظر المحزنة المذكورة هنا دلائل واضحة على رؤية شاهد عيان، والذي يبدو أنه كان مندهشاً وثائراً لفرط ما رأى حتى أنه لم يستطع محوه من ذاكرته. وإذ كان الأطفال يلفظون آخر أنفاسهم كانوا يتضورون جوعاً باحثين عن الطعام، وكلمة (الحنطة والخمر) تدل على الإعاشة المعتادة (تثنية ١١:١٤)، حتى أنهم وهم يزحفون وسط الحطام باحثين عن فتات الطعام انهاروا في سيرهم وماتوا.

ففي نهاية المطاف كان يبحث الأطفال عن الأمان الذي عرفوه وهم صغار، وفي اثناء هذا الموقف العاجز ماتوا جوعاً.

هذا المنظر المحزن والمأساوي يتناقض تناقضاً صارخاً مع منظر الأطفال السعداء المرحين الذين يلعبون في شوارع أورشليم، وهو الموقف المتنبأ عنه عند

رد سبي الأمة (زكريا ٨:٥) . ولأن الظروف التي أدت إلى سقوط أورشليم فريدة في نوعها في ضوء روابط العهد، يستحيل على الكاتب أن يقدم لها أي عزاء (١٣) بمقارنة أوجاعها الحالية بأوجاع الآخرين . لقد تدفق العقاب الإلهي على صهيون بنفس الطريقة التي يتدفق بها ماء البحر من فتحة في أحد الجدران الواقية .

ومن المناظر المحزنة في الكثير من آلام البشر أن نرى الأبرار يشتركون مع الأشرار في تحمل عواقب الخطية، ويسوع المسيح يعتبر المثال الأسمى على ذلك (بطرس الأولى ٢:٢٢ الخ) . وإذا فصلنا سقوط أورشليم عن التسلسل التاريخي للعلة والأثر، فقد نعتبر أعمال الله في إبادة السكان شيئاً ينم عن الظلم والقسوة، وعدم المحبة، ولكن عند رؤية الحدث ككل نرى دمار الأمة إتماماً للكثير من الوعيد بالعقاب على تعمد ارتكاب الخطية ضد الله.

وهكذا فالأفعال التي حركت العقاب الإلهي كانت أفعالاً محرمة في المقام الأول، ومع أنه من الممكن نظرياً اعتبار الأطفال الرضع والصغار أبرياء إلا أنهم كانوا مع ذلك جزءاً لا يتجزأ من أمة آثمة ومتمردة، وككل الأطفال فإن مصيرهم كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمصير والديهم الذين لم يظهروا أي بادرة لتربية أطفالهم بموجب التقاليد الأخلاقية والروحية للعهد .

إن الآباء كانوا مسئولين عن مصير أطفالهم بمعنى آخر أيضاً. فالقوانين الحربية في الشرق الأدنى القديم كانت تسمح لسكان المدينة التي تستسلم بتجنب السيف ولكن بالمقاومة العنيدة ضد البابليين، كما فعلوا مع الله، فقد ختموا على مصير المجتمع بأسره .

وكان من خصائص عهد سيناء أنه يحمل في ثناياه مسئوليات ملزمة لطرفي العهد، ولكن يبدو أن أهل يهوذا في القرن السابع ق.م. كانوا في حالة من اللامبالاة تجاه تلك الحقيقة الهامة. وهكذا فبينما كان بعض الأفراد أبرياء نسبياً، إلا أن الجماعة التي كانوا جزءاً لا يتجزأ منها كانت مذنبة دون جدال، وبذلك فقد حل عليها القضاء الإلهي .

واللامبالاة التي كان عليها الآباء الذين اتسموا بالأنانية والفجور تجاه مصير

أبنائهم تبين مدى الفساد الذي انحدر إليه أهل يهوذا، فبدلاً من أن يربوا أطفالهم في خوف الرب وإنذاره نراهم قد باعوهم للبعل ليصبحوا في عبودية نفسية وروحية له .

وعلى الآباء المسيحيين تقع مسئولية في غاية الأهمية من نحو غرس القيم الروحية المسيحية في أبنائهم، بينما على الأبناء من ناحية أخرى أن يكونوا مطيعين لوالديهم مقدرين لهم (أفسس ٦:١، كولوسي ٣:٢٠، تيموثاوس الأولى ٥:٤) .

جـ ـ الأنبياء الصادقون والكاذبون (٢:١٤ـ١٧)

يأخذ الكاتب على عاتقه مهمة توبيخ «الأنبياء» المعاصرين وهو موضوع يشكل جزءاً هاماً من رسالة إرميا. وهنا أيضاً وضع على عاتق الأنبياء جزءاً كبيراً من المسئولية فيما يختص بالمصير الذي آلت إليه الأمة، فبدلاً من مواجهة الشعب بمقتضيات واجباتهم نحو التزامات العهد، فقد أعلنوا رسالة كاذبة تماماً تحمل في طياتها بشائر السلام والرخاء في المستقبل (إرميا ٢:٥، ١٠:١٥، ١٤:١٣، ١٦:١٩ الخ). ونتيجة لذلك فقد شجعوا سكان يهوذا على الانغماس في عبادة البعل اللاأخلاقية على حساب تجاهل البر والمباديء الأخلاقية لعهد سيناء بالرغم من الإنذارات العنيفة لعاموس وهوشع وغيرهم .

ولفشل الأنبياء في افتضاح خطية الأمة وقصاصها فقد أصبحوا مشتركين في المسئولية إلى حد كبير عن الاتجاه الأكيد نحو الدمار والسبي .

وأشد نقد ممكن أن يوجه لهؤلاء الأنبياء الكذبة أن نصف أقوالهم بأنها رؤى مضللة. وقد ظهر عدم جدوى هذه الأقوال في بيانات عملية مع تطور الأحداث الواضح. والآن، ومما زاد الطين بلة أنه بالإضافة إلى الأضرار التي لحقت بأورشليم كانت هناك الإهانات اللفظية التي عبر عنها أعداء أورشليم بالشماتة والحقد الأسود (١٥) والذي أفصح عن نفسه بالعديد من إشارات التحقير والإذلال (اقرأ إرميا ١٩:٨، ٢٥:٩ الخ). لقد ظلت عاصمة داود مفخرة لكل سكانها لعدة قرون (اقرأ مزمور ٥٠:٢) والآن فقد ارتد كل ثناء

على مدينتهم على شكل تعبيرات. لقد أفصح أعداء يهوذا عن كل ما يجيش بصدورهم من كراهية دفينة نحو يهوذا العاجزة المنبطحة بلا حول ولا قوة.

ولقد تم عكس وضع الترتيب العادي للحرفين العبريين الساكنين (ayin) و(pe) في الترتيب الأبجدي للقصيدة في عدد (١٦) كما في المرثيتين التاليتين لأسباب غير معروفة. لقد أوضح أنبياء ما قبل السبي أنه ليس عند الله تغيير ولا ظل دوران (١٧).

ويؤكد الوحي لإرميا بصفة خاصة على طول أناة الله ويكشف عن الطبيعة المشروطة للنبوة بمعنى أن الإنسان نفسه يلعب دوراً كبيراً في إتمام أغراض الله إما لمنفعته أو لهلاكه. والإشارة لما قرره الله إشارة للتهديد بالعقاب على عدم الطاعة لإرادة الله كما هو مبين في أسفار موسى الخمسة (لاويين ٢٦:١ــ٤٥، تثنية ٢٨:١٥ــ٦٨)، وحيث أنه قد تم رفض كل ما تنطوي عليه التزامات العهد من روحانية بإصرار من قبل الشعب فلا يمكن أن يكون هناك أدنى شك فيما يختص بالمصير الذي سوف يحيق بالأمة. فالقوة العسكرية لممالك الأعداء، وهي تعمل كوكلاء عن الله، سوف تتمم أغراض الله.

د ــ صلاة لله بدموع (٢:١٨ــ٢٢)

يتغير الموضوع فجأة في عدد (١٨) وهي ظاهرة تتكرر في هذا السفر. فالكاتب يدعو المدينة المنكوبة للتضرع لإلهها. يبدأ عدد (١٨) هكذا: «صرخ قلبهم»، وفي الـ RSV «صرخ عالياً» وفي الـ NEB «صرخ بكل القلب» وذلك إشارة جماعية للشعب ويستمر بالقول هكذا «ياسور بنت صهيون»، ونجد هنا كلمة «سور» في تناسق مع كلمة «السيد». اقرأ (زكريا ٢:٥) لمعرفة فكرة الله كسور واقٍ. إن أورشليم تبكي الآن في حزن مرير لأنها أهملت أن تجعل «الحق يجري كالمياه والبر كنهر دائم» (عاموس ٥:٢٤ RV)، وهي تؤمر بأن تداوم على البكاء، «لا تعطي عينيك راحة RSV»، وفي العربية «لا تكف حدقة عينيك»، «فالحدقة» كناية عن العين ككل وهي جزء شديد الحساسية. ففي أوقاتِ الاضطرابات العاطفية الحادة يكون البكاء نشاطاً علاجياً أساسياً،

وأولئك الذين يكبتون الاضطرابات العاطفية بتعمد تجنب الدموع فإنهم يقعون فريسة لاضطرابات عاطفية أشد وربما في انتكاسات تصيب الجسم. اقرأ ما فعله المسيح على قبر لعازر (يوحنا ١١:٣٥)، ودموعه التي ذرفها على أورشليم (لوقا ١٩:٤١) ونصيحة بولس في الرسالة إلى رومية (١٢:١٥) .

«الهَزِع» (١٩) وحدة زمنية تقسم ساعات الليل الاثنى عشر إلى نصفين متساويين وكان الليل يقسم إلى ثلاثة أقسام كل منها أربع ساعات (قضاة ٧:١٩) ومن ثم فالإشارة هنا تكون لإطلاق صيحة رثاء على فترات معينة من الليل، والهدف من ذلك على ما يبدو إيقاظ البقية الناجية وتذكيرهم بأن آلامهم كانت جزاء وفاقاً على خطايا سالفة .

ومنع الشخص من النوم قد استخدم في العصور الحديثة كسلاح نفسي قوي لانتزاع الاعترافات عن انحرافات أيديولوجية أو عن أي أخطاء أخرى سواء كانت حقيقية أو وهمية، ونادراً ما يفشل هذا السلاح في تأدية وظيفته. والبلاغة الشعرية لهذا السفر الحزين تتمثل في بعض الأوصاف ذات التعبيرات البليغة والتي من بينها العبارة (اسكبي كمياه قلبك)، والتي تعبر عن صلاة مخلصة وهي إحدى العبارات الرائعة البليغة .

وفي مشهد آخر من مشاهد الكارثة نرى المنظر المرعب للأطفال وهم يموتون من الجوع . إن هذا المنظر المروع لهؤلاء الأطفال وهم ينهارون ويغشى عليهم تحت أطلال أورشليم دون أن تمتد إليهم يد المساعدة لا شك أنه قد ترك انطباعاً عميق الأثر على فكر الكاتب، كما كان يمكن أن يكون له نفس التأثير على أي شخص ذي حساسية مرهفة. ويبدو أن هؤلاء الأطفال كانوا قد زحفوا من بيوتهم نحو شوارع المدينة الرئيسية في بحث يائس عن الطعام . وفي تجسيد لصهيون نراها تحول وجهها بعيداً من هول الصدمة عن هذا المنظر المرعب في صلاة يائسة لله (٢٠) مذكرة إياه بأن هؤلاء الأشخاص الذين أصابتهم الكارثة هم مختاروه، والكاتب محق في حثه لبني وطنه أن يعبروا عن عواطفهم الجياشة أصدق تعبير، لأنه في مثل تلك الظروف يسهل عليهم الإفاضة عما في دواخلهم. وكنتيجة لانسكاب هذا الحزن فإنهم يمضون قدماً نحو تفريغ

ما في قلب الإنسان، لأن مثل هذا الحزن المقدس إذا قاد إلى التوبة فإنه سوف يضمن نجاتهم في النهاية (كورنثوس الثانية ٧:١٠) .

لا تحوي تلك الأعداد الختامية توبيخاً أو تقريعاً بل تجسم اعترافاً بأن تلك الأحداث المأساوية المصاحبة لسقوط أورشليم نجمت عن تحدٍ متواصل لشروط العهد، ولكن لأن صهيون لا تزال تعتبر نفسها داخل إطار الرحمة الإلهية حتى وهي في حالة العقاب، فالكاتب يحس إحساساً غامضاً أنه يوجد بعض الأمل في رد سبي الأمة في المستقبل البعيد .

والحالة المريعة التي وصلت إليها العاصمة تبدو واضحة بالإشارة إلى أكل لحوم البشر، إحدى الجرائم البشعة التي يمكن أن ترتكب في حق الإنسان، ويبدو أن العبرانيين لم يلجأوا إليها إلا كالمنفذ الأخير الوحيد عندما سدت أمامهم كل السبل في الحصول على الطعام (ملوك الثاني ٦:٢٦—٢٩) .

«الكاهن والنبي» اللذان طالما زيفا المثل الروحية العليا المرتبطة ببيت الرب وقد لقيا حتفهما الآن في مكان ارتكابهما لجريمتهما، فلا العبادات ولا الممارسات الطقسية ولا الاحتفالات الدينية يمكن أن تعتبر أسمى من المعبود والذي تعتبر العبادة الروحية له أساس الديانة الحقيقية، فالله يريد خدمة القلب البشري في أسمى صورة أخلاقية وروحية ممكنة، ولذلك فإصراره الدائم على النهضة الروحية وليس على الممارسات الآلية للطقوس في جو من العبادات النافلة .

وكهنة الله، كالرب نفسه، يجب أن يتسربلوا بالبر (صموئيل الأول ١٥:٢٢، عاموس ٥:٢١ الخ) أما تكريس الذبائح والثياب الكهنوتية فلا تمثل إلا المظهر الخارجي فقط .

والمؤمن بالمسيح مشترك في كهنوت ملوكي، تعتبر القداسة المؤهل الرئيسي. وكما أوضحنا من قبل فإن قتل الشبان والنساء (٢١) كان أمراً بالغ الخطورة بنوع خاص لأنه كان يمنع ظهور جيل جديد، وبالرغم من انتشار الدمار يعترف الكاتب أن الكلدانيين ما هم إلا آلات دمار تعمل تحت توجيه إلهي لعقاب الإسرائيليين غير التائبين. لقد تعلمت صهيون الآن الدرس المرير بأن زرع

الريح لا ينتج إلا العاصفة، وأن هذه الصلة الوثيقة بين العلة والنتيجة مبنية أساساً على عدم تغير الطبيعة الإلهية وأمانتها، ومن ثم لا نرى الكاتب هنا يبدي تذمراً أو يحس بالظلم، وتشبيهه للأعداء المحاصرين ليهوذا بالطيور الجارحة التي تحلق فوق فريستها تشبيه بليغ جداً (متى ٢٤:٢٨، لوقا ١٧:٣٧). والكلمة MT (môéd) (١٥:١) هي كلمة ميعاد بمعنى لقاء أو مكان محدد . وتطلق على المواسم المقدسة والأعياد السنوية كما تطلق على المشاركين فيها في مواضع معينة. ولذلك في (إشعياء ٣٣:٢٠) وصفت صهيون بأنها «مدينة أعيادنا» وأطلقت الكلمة (môed) على الهيكل في (مزمور ٧٤:٤)[1].

ويبدو أن إرميا قد استخدم عبارة «خوف من كل جهة» (إرميا ٦:٢٥، ٢٠:٣) لتأكيد أهوال الحصار والفناء على يد الأعداء، وباعتبار نفسها أم لكل سكانها فإن أورشليم تستخدم التشبيه والعبارة التي تطلقها الأم على أولادها (٢٢) والمركز الرفيع الذي يحتله الأطفال في قلوب أمهاتهم، وبخاصة الذكور منهم، جعل من هلاكهم في ميعة الصبا أمراً بالغ الحزن .

---

(١) في الطبعة العربية (معهدك) ولكنها «موضعك المقدس» أو محفلك (المترجم) .

٣ ـ المرثاة الثالثة (١:٣ـ٦٦)

هذه المرثاة تأخذ شكل الأبجديات في سطور ثلاثية يحتل فيها كل حرف أبجدي ساكن الحرف الأول من كل جملة في الفقرة، وبذلك تشكل ترتيباً متناسقاً رائعاً. وتسلسل الفكرة لا يسير على هذا النمط مع ذلك بل ينتقل عبر الفقرات المختلفة بطريقة عرفناها قبل ذلك .

وهذه المرثاة تبلور الموضوعات الرئيسية في المراثي من عدة وجوه، ونجد فيها تلميحات مسبقة لآلام يسوع المسيح حيث أنها تحوي تشابهاً محدداً مع (إشعياء ٥٣) ومزمور (٢٢) .

أ ـ رثاء المصابين (١:٣ـ٢١)

لقد وصفت آلام شعب يهوذا كما لو أن شخصاً واحداً فقط قد اختبرها. ومن الممكن أن نفسر هذا الأصحاح بأنه سجل لمشاعر إرميا نفسه أو تجسيد حي لآلام الأمة في شخص غير معروف .

ويذكر «قضيب سخط» إله غاضب يعكس الكاتب فكرة (إشعياء ١٠:٥) ونجد إشارات مشابهة في كتابات أنبياء القرن الثامن ق.م، والتي كانت تؤكد لأمة غير مؤمنة بأن الله بإمكانه أن يستخدم جيوش الأمم الوثنية وسيستخدمها لعقاب الإسرائيليين لمخالفاتهم المتكررة للناموس، ولذلك فالكاتب ينسب حجم المعاناة التي اجتازت فيها الأمة لتدخل الله المباشر في شئون شعبه، وقد فرض الله تلك المعاناة من قبيل الحكم العادل وليس من قبيل الغضب الإلهي .

وفي تناقض صارخ مع الهداية الرحيمة التي أظهرها الله في سفر الخروج والفترات اللاحقة، نراه الآن قد رد يده (٣) ضد شعب العهد مسبباً رعباً عظيماً .

وبينما نرى الأسلوب الشعري يتضح تماماً في التعبير «لحمي وجلدي» (٤) فإن هذه الفقرة المليئة بالصور البلاغية تعبر بوضوح أيضاً عن اتساع دائرة الكرب الذي حل بالأمة وشموليته. لقد عبر عن المأساة باستخدام لفظ (العلقم)

(٥) حيث كلمة (rôs) (المزارة) تصف نباتاً ثماره غامضة الأوصاف ولكنه يرتبط دائماً بالأفسنتين (تثنية ٢٩:١٨). لقد كان هذا النبات شديد المرارة ولذلك استعمل كناية عن الاختبارات القاسية والمؤلمة، وتعليقات الكاتب عن (موتى القدم) تدل على أن انطباعاته عن الحياة بعد الموت لم تكن سارة (إشعياء ١٤:٩)، ولا شك أنها تختلف عن المشهد الذي يقدمه المسيح المصلوب لواحد من الذين ماتوا معه (لوقا ٢٣:٤٣)، ووضع الأسرى داخل أسوار (٧) في مساحات ضيقة حتى يموتوا بسرعة كان نوعاً من التعذيب الذي اتبعه الأشوريون ثم انتشر استخدامه بعد ذلك، وكانت السلاسل تصنع من البرونز. وكان السجن من الضيق بحيث لا يسمح حتى للصلاة أن تصعد إلى الله. ولكن الظروف التي أدت إلى السجن بل والسجن نفسه كانا من صنع السجين نفسه .

والإشارة إلى (حجارة منحوتة) (٩) استمرار للصورة القهرية المؤلمة المبدوءة بعدد (٧) والحبس الإجباري والمكروه في جميع الحالات، كان مقيتاً بصفة خاصة للشعوب البدوية. ويغير الكاتب المنظر فيصور الله كحيوان مفترس على استعداد أن يمزق كل من يقف في طريقه إرباً إرباً. لقد سبق للأمة أن فقدت أفرادها على يد الأعداء الأشرار الذين كانوا يعملون بسلطان إلهي. وفي استعارة درامية أخرى يشبه الله بصياد ماهر يطلق سهاماً مميتة على فريسته (١٢) وهذه السهام تجد هدفها في تلك الأعضاء الحساسة مثل الكلى (Kélayot). وفي تعريفات الأسفار الخمسة للذبائح كانت كلى الحيوان تعتبر أحد مواضع الحياة، وهذا ينطبق على كلى الإنسان أيضاً. وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تنسب إليها العواطف من فرح (أمثال ٢٣:١٦) وحزن (أيوب ١٩:٢٧، مزمور ٧٣:٢١).

وفي عدد (١٤) إشارة الكاتب لنفسه بأنه قد أصبح (أضحوكة) تعكس بالتأكيد اختباراً مألوفاً لإرميا، ولكن وإن كان الشخص المقصود مادة للسخرية أمام مواطنيه فقط، فقد أضحت أورشليم الآن أضحوكة لكل الشرق الأدنى قديماً .

ويصور عدد (١٦) نوعاً من العقاب إذ يتم خلط المواد الغذائية بالحصى قبل توزيعها (خروج ٣٢:٢٠) ولقد تم اكتشاف قدر كبير من حوادث تناول

طعام مخلوط بالرمال بطريقة غير مقصودة في الآثار إذ نرى أسناناً مهشمة في الموميات المصرية: ومع ذلك ففي حالة يهوذا فالأسنان قد كسرت وطحنت لأن الله قد أعطى شعبه حجارة ليأكلوها كعقاب لهم على تقديسهم تماثيل البعل. والآب المحب الذي يعرف كيف يعطي عطايا جيدة للذين يطلبون (متى ١١:٧، لوقا ١١:١٣) يطلب أولاً من أبنائه أن يعيشوا مطيعين لإرادته، ولكن شعب العهد كانوا مقصرين في الالتزام به ردحاً طويلاً من الزمن. وعدد (١٧ب) يمكن أن يكون هكذا: «لقد حرمتني من الصحة. ولقد نسيت كل شيء عن السعادة»، هكذا كان الألم مريراً وهكذا كان ثقل المعاناة طاغياً حتى أن الكاتب لم يستطع أن ينسى. ولا رجاء في المستقبل إلا بإدراك بأن التوبة الجادة هي السبيل الوحيد للنجاة .

ب ـ تذكر المراحم الإلهية (٣:٢٢ـ٣٩)

إن إحساس الكاتب يشبه إحساس أيوب بأنه «هوذا يقتلني لا أنتظر شيئاً»[1] (أيوب ١٣:١٥ AV)، ففي تعبير رائع عن الإيمان بمراحم الله الدائمة ينظر الكاتب إلى المستقبل البعيد بأمل متجدد. واللفظ العبري (hesed) المستخدم لوصف هذه المراحم معناه الأساسي الولاء أو التكريس تجاه عهد بنوع خاص، وتجاه الله كمؤسس للعهد. ومن خلال الثقة بتلك الرابطة ينبثق إظهار المراحم الإلهية حتى إن كلمة (hesed) يستحسن أن تتحول في هذا العدد لتصبح (الولاء للعهد) أو (مراحم العهد) .

ويؤكد الكاتب على عدم محدودية المراحم الإلهية، والحفاظ الدائم على هذه القيم الروحية العليا بفضل تجددها. وهذا التأكيد يبلور الفكرة الفلسفية الرئيسية عن نظرية القيمة والقائلة إنه إذا أردنا الاحتفاظ بالقيم فعلينا أن ننميها باستمرار. ولكن الله أعظم بكثير من أي قيمة عليا، إنه المحبة (رسالة يوحنا الأولى ٤:٨و١٦). وثبات الله وعدم تغيره يصلح أساساً متيناً لآفاق واسعة من الرجاء في المستقبل .

---

(١) وترجمتها الدقيقة في الـ AV «مع أنه يقتلني إلا إني سوف أثق به» (المترجم).

وبعد العبارة الأولى من عدد (٢٢) نجد القول «إننا لم نفن» أي لم نهلك، مما يبين بأن ذلك قد حدث نتيجة لمحبة الله الأمينة تجاه شعبه. وباستثناء الكلمة (tàmnû) فالـ (RSV) تحذو حذو البيشيتا[١] والتارجوم (Targum)[٢] وتقرأ الكلمة (tàmnû) مع (hasdê) وتجعل يهوه (Yhwh) كالفاعل لتصبح ترجمة العبارة «إن محبة الله الثابتة لا تتوقف أبداً» وبذلك نقدم المعنى بصورة أفضل.

ولأن الله هو نصيب يهوذا فأي أمل في رد السبي يجب أن يكون مؤسساً بثبات عليه (٢٦) وانتظار مشيئة الله كان مهماً بالنسبة للعهد القديم (مزمور ٣٧:٩، هوشع ١٢:٦، صفنيا ٣:٨ الخ) كما هو مهم بالنسبة للعهد الجديد (رومية ٨:٢٥، غلاطية ٥:٥ الخ).

وللمؤمن رجاء حي لأنه يؤمن بإله حي مواعيده أكيدة كأحكامه (كورنثوس الثانية ١:٢٠). والإشارة «لحمل النير» (٢٧) يعكس تعاليم حكماء العبرانيين كما في سفر الأمثال. وهذه الأثقال يستحسن أن تحمل في سن الشباب عندما يكون لدى المرء القوة المناسبة، وعندما تكون شخصيته بحاجة للانضباط أكثر مما يكون عليه الحال في سنوات النضج.

والصمت كنوع من الخضوع لإرادة الله موجود بصفة متكررة في سفر المزامير (مزمور ٣٩:٢، ٤٩:١٧). ووضع الفم في التراب عادة شرقية للتعبير عن الخضوع التام، وإعطاء خده لضاربه (٣٠) تعبير عن التسليم الكلي للأسير. وقد ضُرب حاكم الأمة فعلاً على خده بواسطة العدو المحاصر كما تنبأ ميخا النبي (ميخا ٥:١) والآن فأورشليم مستسلمة لإرادة الله في مواجهة آلامها (إشعياء ٥٠:٦). وهذا الموقف يتمثل في يسوع المسيح في أسمى صورة قبل صلبه (متى ٢٦:٦٧، لوقا ٢٢:٦٤، يوحنا ١٨:٢٢، ١٩:٣) حيث قاست الضحية البريئة لأجل خطية البشر طاعة لإرادة الله (متى ٢٦:٣٩ الخ) ودون أي شكل من أشكال الانتقام (بطرس الأولى ٢:٢١). ولأن الرحمة الإلهية ذات طابع هداية ورد للنفس (مزمور ٢٣:٣) فالآلام الواقعة على الأمة سوف تزول في

---

(١) البشيتا هي الطبعة السورية.

(٢) التارجوم هي الطبعة الآرامية القديمة.

النهاية لأنها لا تمثل أي هدف من أهداف الله نحو شعبه. فالآب السماوي لا يضرب أبناءه لأنه يريد ذلك (من قلبه) (٣٣)، وإن كان الله يؤدب المسيحي على فترات كجزء من عملية النمو الروحي (عبرانيين ١٢:٦) فإننا لا ندرك إدراكاً كافياً أن الكوارث التي تلحق بالشعب مرتبطة عادة ارتباطاً وثيقاً بطريقتهم الخاصة في الحياة. ومع أننا نعزو الألم لله باعتبار أنه أساس كل الوجود، وكل شيء إلا أن حدوث الألم على المستوى الفردي هو المحصلة النهائية لسلسلة من الأسباب والمسببات. وفي الأعداد من ٣٤ــ٣٦ فإن العدالة السامية التي تميز طبيعة الله تتضح بالإشارة لكرامة الإنسان وحقوقه الشخصية تحت الناموس. فالله لا يمكن أن يسمح بالإساءة إلى الأسرى (مزمور ٦٩:٣٣) ويجعل إطلاق الأسرى إحدي أهم أعمال عبد الرب (مزمور ١٤٦:٧، إشعيا ٤٢:٧) كما أوضح المسيح في عظته الأولى في الناصرة (لوقا ٤:١٨) من هم على وجه التحديد (الأسرى) الذين كان يشير إليهم الكاتب؟ ليست.هناك إجابة محددة على وجه اليقين، وشمول المعنى الذي يفهم من التعبير يمكن أن يكون وصفاً شعرياً ملائماً للجنس البشري على وجه العموم .

فالبشر الزائلون والمرتبطون بأمهم الأرض لهم وعد بالتحرر من قيود بيئتهم الثقيلة بقوة الله التي تحرر الأسير من عبودية الخطية والذات. وبالنسبة للمسيحي فالإيمان بعمل المسيح الكامل يحقق الانتصار (كورنثوس الأولى ١٥:٥٧). وبما أن الإنسان قد خلق على صورة الله، فحقوق الفرد وكرامته ذات أهمية عظمى للخالق، وبالتحديد فالإنسان له حقوق أساسية معينة من بينها الفرص المتكافئة أمام القانون، وعندما يحرم شخص من حقوقه القانونية أو تسلب منه هذه الحقوق، يحدث تشويه لصورة الله السامية داخله . وما جاء في عدد (٣٥) يدعم فكرة الحقوق البشرية الطبيعية أو الفطرية عندما يستنكر (أن يحرف حق الرجل أمام وجه العلي) .

فالله لا يوافق من قلبه على أي محاولة لحرمان الإنسان من حقوقه القانونية (٣٦) أو لإدانته ظلماً .

وفكرة أن الله هو المتصرف الأول في شئون البشر (٣٧) فكرة أساسية في تعليم أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد، وهي توحي أيضاً بالهجوم على نوعية

الأنبياء الذين عارضوا إرميا وأشاعوا الآمال الكاذبة بين الشعب .

وكإشعياء (٤٥:٧) فإن كاتب المراثي ينسب كل القيم الأخلاقية (الخير والشر) إلى إله إسرائيل الواحد الحقيقي والذي هو أساس الوجود ومنبعه. وحيث أنه لا يحدث شيء للفرد دون علم الله فعلى الإنسان أن يتحمل المصيبة بصبر دون أدنى احتجاج واثقاً في مراحم الله الذي يخرج الخير من الشر (رومية ٨:٢٨)، وهذا الموقف بنوع خاص يجب أن يكون هو الحادث عندما يعاني شخص بريء ظلماً (بطرس الأولى ٢:٢١ــ٢٥). ولكن عندما يعاقب مرتكب الاثم على معاصيه فليس لديه أي سبب للشكوى (بطرس الأولى ٢:١٩) .

جـ ــ دعوة للتجديد الروحي (٣:٤٠ــ٤٢)

إن الحياة التي لم تتقدم إلى الله في توبة وإيمان ليس لها بقاء في الأبدية. ولأن العهد مع إسرائيل عهد أبدي فلا بد للأمة أن ترجع في توبة وندم إلى إلهها، وما أن تحدث توبة صادقة حتى يبطل العقاب العادل الذي فرض عليها، وتستعيد الأمة توافقها مع الله .

تلك المبادىء الأساسية كانت جوهرية في رسالة إرميا، ولكن كان على يهوذا أن يتحمل عذاب السبي قبل أن يدرك قيمة هذه المبادىء ويقدرها حق قدرها. إن المطاليب والمسئوليات المتعلقة بالعلاقة الروحية مع الله تظل ثابتة وعلى شعب إسرائيل كما على كل أتباعه أن يعيدوا النظر في الإهمال الذي طال مداه لمطاليب العهد .

عدد (٤١) «لنرفع قلوبنا وأيدينا»، وفي ترجمة أخرى NEB «لنرفع قلوبنا لا أيدينا». وهذا بلا شك يناسب سياق الكلام أفضل بكثير من الارتباط المربك بين قلوبنا وأيدينا» والذي يعد نادراً. وطلب التجديد الروحي مرتبط بالدافع الداخلي وليس بالإجراءات الطقسية الخارجية والتي كانت السمة المميزة لأيام ما قبل السبي (يوئيل ٢:١٣) .

وعملية التطهير الروحي يجب أن تبدأ بإدراك أن الأمة ما زالت تحت

الدينونة الإلهية بسبب شرها. وعند الاعتراف الكامل والأمين بالخطية أمام الله فإن الله يغفر لشعبه خطاياه الماضية (يوحنا الأولى ١:٩). وفي هذا العدد نجد البداية نحو الصفح في الإدراك بأن الأمة قد أخطأت وعصت .

د ــ نتائج الخطية (٣:٤٣ــ٥٤)

عدد (٤٣) يستخدم ضمير المخاطب المفرد المذكر بالقول «التحفت» . و«الغضب» هو غضب الله المقدس الذي يعاقب الخاطيء الذي تقسى قلبه (مراثي ٢:١، رومية ١:١٨) . وإدراك حالة الفساد واليأس التام المعبر عنه هنا يمثل الأحوال السابقة لأي تجديد روحي حقيقي، فهناك إحساس متزايد ببشاعة الخطية في نظر إله بار وقدوس، ونوع الحاجز الذي أقامته بين الإنسان وصانعه، وعجز الإنسان المطلق عن تخطي ذلك الحاجز لإنجاز خلاص نفسه . وهذا الخلاص يجب أن يكون بالإيمان وليس بالأعمال سواء كان في عهد الناموس (حبقوق ٢:٤)، أو في عهد النعمة (أفسس ٢:٨) .

والله الذي يجل عن الوصف والذي يسكن في نور لا يدنى منه لا يمكن أن يطرب لتوسلات وبكاء الخطاة (٤٤) حتى يعترف بالخطية ويتم التكفير عنها ، تلك الخطية التي طالما جعلت الله يتركنا ويصم آذانه عنا (إشعياء ٥٩:٢) واعتراف الأمة بنفسها (كوسخ) باستخدام التعبير الوصفي (s'hi) والذي يرد هنا فقط في الطبعة العبرية، وفي القرينة يدل على شيء مرفوض وغير صالح للاستعمال. والتعبير المقابل له في العهد الجديد (كورنثوس الأولى ٤:١٣) نادر الاستعمال أيضاً وهو يصور آلام الرسل .

والمأساة المفجعة لمثل هذا الموقف المخزي أنه قد حدث فعلاً لأمة طالما افتخرت بإلهها، والآن (فنفس مصدر ونبع قوة الأمة قد ارتد ليصير رعباً ضد خطايا الشعب، وبعقابهم جعلهم موضع السخرية في الشرق الأدنى . والترجمات الحديثة لعدد (٤٧) حرفياً «الرعب والحفرة». والكلمة الأخيرة (الحفرة) كلمة مخففة للدمار الشامل. و(الهلاك والسحق) عبارة أخرى في كلمتين على وزن واحد (hasset whassaber) والتي لا يمكن أن تستبدل

بكلمات أخرى لها نفس قوة الأصل. ومن جلال وبراعة الشعر العبري أنه في قدرة كاتب معين أن يوازن الفكرة التي يعبر عنها بأصوات معينة تدل على معاني تلك الكلمات[1].

والعدد الذي نحن بصدده يذكرنا بطريقة وأسلوب إرميا. فالوعي المتزايد بخطورة الخطية ونتائجها المدمرة قد أتاح الفرصة لمزيد من انسكاب الحزن. والاسم (سَحْق) عدد (٤٨) مشابه لأصل الفعل العبري الذي يعني (يكسر أو «يمزق» أو «يحطم» وهكذا يوحي بالقضاء التام على الحياة المنتظمة في المملكة. وقبل أن يرد الله نصيب شعبه يجب أن تكون توبتهم قاطعة عدد (٤٩) فلا يجب أن يبكوا كبكاء الندابات المحترفات في الجنائز (متى٩:٢٣) ولكنهم يجب أن يظهروا بأمانة سلوكهم في الحياة. إن الدموع تعبير عن تغييرات عميقة في حياتهم العاطفية والروحية. والمنطقة الفاصلة في عدد (٥٠) وتمثلها كلمة حتى المقصود منها تأكيد المسافة التي تفصل بين الله والإنسان، والطريقة التي يمكن بها تضييق تلك الفجوة عندما تؤدي التوبة والاعتراف إلى غفران خطية الخاطيء، فالله أمين وعادل حتى يغفر معصية الخاطيء التائب (يوحنا الأولى ١:٨) ولا يمكن أن يظل بعيداً عن أولئك الذين يبحثون عنه بإخلاص وصدق. ولهذا السبب نتوقع أن يهتم الله بكارثة الأمة حالما تحدث التوبة الحقيقية. وأهوال الحصار والدمار الذي تلاه لم يكن بعيداً عن فكر الكاتب وهو يتخيل الخضوع الذليل للعاصمة والتي كان مصيرها كمصير «ثباتها» عدد (٥١) .

وعدد (٥٢) بداية قسم يجسد فيه الكاتب آلام الأمة بأسرها، ويجد أنه من الصعوبة بمكان أن نفهم شدة الكارثة التي دمرت يهوذا، والتي أوجدت الشماتة في عيون أعداء الأمة التقليديين، والإشارة للجب عدد (٥٣) يذكرنا (بإرميا ٦:٣٨) .

وكلمة (Bôt) عادة تعني (حفرة) أو (خزان) أو (بئر) ولكنها أحياناً تعني (قبر). وربما كان المعنى هنا أن الأمة قد دفنت بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وأن رجمة حجارة تذكارية قد نصبت فوق مكان الدفن، ثم تتغير

---

(١) وهو ما يعرف في الانجليزية بكلمة (onomatopoeia) (المترجم) .

الاستعارة وتشبه الأمة بشخص قد غرق تماماً بسبب أمواج الدمار الكاسح (يونان ٢:٣ الخ) وكل أمل في المستقبل يبدو مفقوداً. اقرأ مزمور ٦٩:٢ لتجد تشبيهاً مماثلاً لشدة العذاب في وقت الكارثة .

هـ ـــ العزاء واستنزال اللعنات (٣:٥٥ـــ٦٦)

يصور الكاتب الأمة في أشد حالات البؤس، ولكن لأن الخاطيء في حالة توبة الآن، فقد سمع طلبه للرحمة والمغفرة .

والعدد (٥٦ب) MT غامض إلى حد ما، والصيغة (lerwhati) من كلمة (rewahah) وهي نفس الكلمة العربية «راحة» توحي بأن الله سوف لا يمتنع عن تخفيف المعاناة عن المتألم في حزنه. وهذه الكلمة تعقبها الكلمة (l'saw'ati) المشتقة من الكلمة (sawah) «صرخة لطلب النجدة»، ولكن الـ RSV تمزج القراءتين معاً في عبارتها لتقول : «لا تغلق أذنك عن صرختي إليك طلباً للمعونة». ويبدو أن ما تعنيه الماسورية هو «لا تغلق أذنك عن دعواي طلباً للمعونة حتى أحصل على الراحة» مع أن ذلك غير مؤكد . والعدد التالي عبارة عن استجابة مميزة من الله الذي يجيب أولاده المخلصين حينما يطلبونه بالحق (إشعياء ٩:٥٨، ٢٤:٦٥) وحين يلقي الخاطيء بنفسه على الرحمة الإلهية يجد الله معه كمحام يدافع عنه (يوحنا الأولى ١:٢)، وكفادٍ له يتفوه بكلمات التعزية والطمأنينة، فالله هو الـ (gōel) أي القريب المعين[1] عدد (٥٨) الذي جاء لمعونة شعبه المأسور في الخطية وفدائهم (اقرأ لاويين ٢٥:٢٥ــ الخ، ٤٧ــ ٥٤، راعوث ١:٤ــ١٢) .

وفداء المسيحي قد تم بدفع ثمن غالٍ، دم المسيح على الصليب. وإذا كان عمل المسيح الذي أكمل على الصليب قد فدى العالم إلا أن الناس لا تزال تحتاج أن تختبر كأفراد خلاصاً شخصياً بالإيمان بالمسيح. وبرغم الإدراك بأن الأمة قد عانت بسبب خطية العصيان، إلا أنه لا يزال هناك شعور غامض يخامر كاتب السفر بأن هناك شيئاً من الظلم قد وقع على الأمة، فربما كان

(١) قد دافعت عن دعواي (كتاب الحياة) المترجم .

اليهود بسبب مركزهم كالشعب المختار حساسين دائماً للإساءة أو الإصابة التي تقع عليهم من الخارج مهما يكن مصدرها. وبالتالي وجدوا أنه من المستحيل تجاهل هذه الأعمال العدوانية، ونتيجة لذلك قد استنزلوا اللعنات على أعدائهم بينما هناك أقوال مماثلة لذلك في الشرق الأدنى تحظى بقدر كبير من التأييد والدفاع (مزمور ١٣٧: ٩). وهنا نجد الكاتب، يتصرف كنائب عن الأمة، إذ يخضع دعواه للمتصرف الأعلى في شئون الناس، ومع أنه يدرك أن عقاب وإذلال يهوذا قد نجم عن الحنث بالقسم والالتزام بوفائه لمدة طويلة إلا أنه لايزال في إمكانه أن يلقي بنفسه على رحمة القاضي ويتوقع أن يسمع حكماً عادلاً منصفاً

(نقمة) أعداء إسرائيل (٦٠) ولكن كلمة (الحقد) تناسب القرينة أفضل. ومثل تلك الأشياء كانت جزءاً لا يتجزأ من الحرب الشاملة في الشرق الأدنى القديم . والسخرية أو أغاني التعيير كانت أيضاً شائعة للتعبير عن الاحتقار والازدراء بالعدو .

وهناك أمثلة على تلك الأغاني في العهد القديم (انظر سفر العدد ٢١: ٢٧ــ٣٠، إشعياء ٤٧: ١ــ١٥، حبقوق ٢: ٦ــ١٩) .

هنا يصلي الكاتب طلباً لعقاب أولئك الذين كانوا أدوات الغضب الإلهي على إسرائيل، ليس بسبب الدمار الذي ألحقوه بها فحسب، بل بسبب الشماتة التي أظهروها في تنفيذهم لفعلتهم وفي جعل إسرائيل موضوعاً للتعيير في أغانيهم .

ولكن هناك اتجاه مغاير لذلك نحو أعداء الإنسان مقدم في تعاليم المسيح كما في حياته العملية . (انظر متى ٥: ٤٤، لوقا ٦: ٢٧و٣٥، ٢٣: ٣٤، كما في رومية ١٢: ٢٠ مقتبساً أمثال ٢٥: ٢١)، وبينما نجد تأكيداً بأن الله سوف يعاقب أولئك الذين ظلموا إسرائيل في كل من الناموس والأنبياء (تثنية ٣٢: ٣٤، إشعياء ١٠: ١٢ الخ، إرميا ٥٠: ٩ الخ) إلا أن تدهور الإحساس بالمسئولية تجاه العهد قد ولّد الفكرة بأن مجرد تعرض الشعب المختار لأي شيء بخلاف البركة الدائمة أمر غير وارد بالمرة. ومع أن هذه الفكرة قد نبذت فجأة

باجتياز الشعب لآلام الدمار والسبي إلا أن الأمة لا تزال تشعر أنها يمكن أن تدعو الله شرعاً وقانوناً ليعاقب أعداءها بسبب المركز المتميز الذي تمتعت به مرة والذي تتطلع إليه الآن مرة أخرى .

وفي عدد (٦٥) فإن «غشاوة القلب» هي حرفياً «غطاء القلب» سواء كان المقصود منها عدم حساسية الفكر أو تصلب الإرادة . وبما أن أعداء إسرائيل هم الذين سوف تنصب عليهم تلك اللعنة فتصلب القلب أقرب من غطائه وفي ذهن الكاتب أن مثل تلك الحالة سوف تدعو الانتقام الإلهي لينصب على أولئك الذين كانوا قبلاً أدوات عقاب يهوذا .

والإحساس بالخصوصية التي ترتبط بالشعب المختار كالمعنيين أساساً لتقبل البركة الإلهية وحدهم يتضح هنا كما في مواضع أخرى من العهد القديم . ويبدو الكاتب مهتماً أساساً بعقاب أعداء الأمة التقليديين وليس بتجديدهم الروحي من خلال الألم .

في عدد (٦٦) (سموات الرب) نجد في السبعينية «تحت السماء يارب» وفي الطبعة السورية «تحت سماواتك يارب» والتي نجدها أيضاً في الـ RSV والـ NEB .

٤ ــ المرثاة الرابعة (٤: ١ــ٢٢)

أ ــ تذكر الأيام الماضية (٤: ١ــ١٢)

في جو من الذكريات الحزينة، يقارن الكاتب بين الأحوال السعيدة للأيام الغابرة والموقف الحالي في المدينة والأرض التي ذاقت الذل والهوان على يد قوات الأعداء. وصورة «الذهب وحجارة القدس» عدد (١) تستخدم كناية عن شعب يهوذا. وبينما كانت الإشارة للأمم الأخرى بأنهم من معدن رخيص كانت إسرائيل تعتبرنفسها أنها من الذهب النقي والأحجار الكريمة . ولكن بسبب انقلاب محزن في مصائر الأمم فإن هذا المركز الرفيع قد تغير فجأة، فهذا الذهب قد فقد بريقه والحجارة المقدسة قد تناثرت في كل مكان، في الشوارع وسط القاذورات والأنقاض .

والصورة المزدوجة لتدمير الهيكل وذبح المدافعين عن أورشليم وهم بلا حول ولا قوة تذكار حي للأحداث التي وردت في (ملوك الثاني ٢٥: ٩، إرميا ٥٢: ١٢ــ٢٣، مراثي إرميا ٢: ١٩) . وبالنسبة لأولئك الذين اعتبروا أنفسهم، كالذهب النفيس فإن الاختبار الذي اجتازوا فيه والذي جعل قيمتهم كالمعدن الرخيص في نظر أعدائهم كان اختباراً له أبعاد نفسية وروحية محزنة . و«إبريق الخزف» عدد (٢) كان وعاء نبيذ خزفي يستخدم لتخزين عدة سلع، وقد اكتشف العديد من تلك الأواني في عدة مناطق في فلسطين وأماكن أخرى .

في العدد الثالث استرجاع لأهوال حصار أورشليم عام ٥٨٧ ق.م. وأثناء المراحل الأخيرة للهجوم كانت ظروف المجاعة قد تجاوزت الحد (مراثي إرميا ٢: ١٩) وقد أثرت في الصغار بنوع خاص .

ففي ذلك الوقت كان هؤلاء الأطفال يلقون معاملة أسوأ مما تقدمه الطبيعة لصغار بنات آوي أو صغار النعام حيث كانت النعامة تعتبر عادة قاسية ولا تلبي حاجات صغارها (أيوب ٣٩: ١٣ــ١٧)، وبسبب نقص الطعام فالأمهات المرضع لم يستطعن اشباع حاجة أطفالهن الجوعى. ومناظر الأطفال الصغار، المثيرة للحزن، وهم يتسولون الطعام دون جدوى يبدو أنها قد حفرت نفسها

بعمق في ذهن الكاتب الذي لابد أنه قد شهد الأحداث الموصوفة هنا، وفي المرثيتين الأوليتين. هكذا كان حال الانقلاب في مصائر الأمم حتى أن أولئك الذين كانوا يعيشون على الأطايب ويلبسون القرمز كدليل على الثراء (٥) قد أخرسهم الخوف فزعاً بسبب الكوارث التي حلت بمدينتهم المحبوبة. وفي المجتمع الشرقي القديم فإن التغيير الذي يجعل أولئك الذين نشأوا في بيئة من الترف ينامون منبطحين فوق أكوام الرماد باكين مولولين كان عادة ينشأ بسبب سقوط المدن. ونتيجة لذلك فعبر عصور التاريخ الشرقي القديم فالخوف من هجوم العدو ومن أن ينتهي هذا الهجوم بالدمار والسبي لم يكن بعيداً عن إدراك الفرد موجداً نوعاً حقيقياً من القلق النفسي حتى في أوقات السلم والازدهار .

وفي حالة يهوذا بالذات فإن دمارها كان يمكن تجنبه تماماً لو التفت شعبها الضال لأصوات التحذير من أنبياء القرن الثامن والسابع قبل الميلاد. ولكن والحال هكذا فمواطنو المملكة المدمرة لا يحق لهم أن يلوموا أحداً سوى أنفسهم بسبب الكارثة التي أحاقت بهم مؤخراً، وبدلاً من أن يقتادوا الأمم الأخرى إلى طريق الحق الإلهي فإن شعب يهوذا المتمرد العاصي قد اقتيد إلى سبي مشين على يد الأمم الوثنية والتي كانت تعمل كأداة من الله لعقابهم .

ومع أن سدوم (٦) كانت مضرب المثل على شرها بين العبرانيين إلا أن تلك المدينة الخاطئة قد دمرت في وقت قصير نسبياً وبذلك لم تقاسي آلاماً طويلة فيجب أن تتحمل أورشليم من أجل جريمتها النكراء لرفضها مراحم العهد عقاباً أشد. ومع ذلك فتلك التصورات تحمل معها قدراً كبيراً من الشجن الشعري والذي يجب أن ينسب بحذر لموقف الكاتب الموزع الفكر والممزق العواطف. وإنه لمن غير الثابت أن نزعم أن للخطية درجات لأن كل شر مكروه لدى الله بالرغم من أن الإنسان يعتبر بعض مظاهره غير ذات موضوع .

ومع ذلك فتوجد درجات من الإدانة كما أوضح التشريع العقابي للناموس . (عاموس ٣:٢، متى ٢١:٥، لوقا ٤٧:١٢ الخ). ولكن الأمة كانت بطيئة في قبول التزاماتها بهذا الصدد. ومرة أخرى بينما تم دمار أورشليم عام ٥٨٧ ق.م. بصورة شاملة على يد الأعداء الفاتحين إلا أنه ليس هناك دليل على أنه قد ارتكب

بشكل أشد عنفاً عما هو مألوف في ذلك العصر .

على أي حال فقد كان من الممكن تجنب قدر كبير من الألم والعذاب المرتبط بدمار أورشليم لو استسلمت المدينة للعدو، وهي خطوة كان قد أوصى بها إرميا. ولكن مرة أخرى نجد نفس الروح المتمردة العاصية التي كانت قد رفضت المراحم الإلهية، قد جلبت على نفسها ما تستحقه من شقاء بالإصرار على أن أورشليم يجب أن تدافع عن نفسها حتى النهاية .

وفي ختام عدد (٦) نجد القول «ولم تُلق عليها أيادٍ». إن أصل الفعل (hálŵ) غير أكيد وربما يكون مشتقاً من كلمة (hûl) أي (يدور حول نفسه) أو (يلوي) أو (يرتعش)، وهكذا يمكن أن تكون العبارة هكذا «ليست بها أيادٍ ترتعش» ليكون معنى العبارة أن سكان سدوم قد أخذوا على حين غرة عند الهجوم عليها ولذلك لم يكن لديهم الوقت الكافي حتى للخوف، ويبدو أن مثل تلك الحالة كانت هي القاعدة في حالات الدمار المماثل في العصور التالية .

وإذا كان الفعل من الأصل (hálah) أي «عليل» فقد تعني العبارة أن أهل سدوم كانوا قانعين بالحالة التي وصل إليها مجتمعهم ولم تكن لديهم فكرة عن الدمار الذي سوف يلحق به، ولذلك فالترجمة تظل محل نقاش حتى يعرف المزيد عن أصل الفعل .

والحالات المرعبة التي حدثت قبل سقوط أورشليم قد أثرت على النبلاء والفلاحين سواء بسواء .

وفي عدد (٧) نجد أن محنة الناس قد صيغت في مبالغة أدبية رشيقة، فهو يلقي بالضوء على الفوارق بين الظروف المعيشية لقطاعين من الشعب .

نذرها ترجمت نبلاؤها في ترجمات أخرى(*)، ولكن الكلمة يبدو أنها تعني شخصاً متميزاً بسبب مركزه، وهذا التميز لم يعد ينطبق على النبلاء الذين أضحوا فريسة للمجاعة جنباً إلى جنب مع بقية أفراد الشعب في المدينة المحاصرة. والكلمة (peninim) و(rubies) ترجمت إلى مرجان، ومعنى كلمة

(*) انظر كتاب الحياة (المحرر) .

(gizratam) «ولمعانهم» غير أكيد. ويبدو أن الكلمة مرتبطة بالفعل (gazar) أي «يقطع» ليوحي بفكرة «شكل الجسم» أو كما في الـ RSV «تناسق أجسامهم». والفكرة العامة المقصودة من سياق الكلام هي «المظهر» و«الياقوت» هو الحجر الشرقي المألوف (Lapis Lazuli).

ولا يمكن التعرف على الوجهاء في الشوارع لأن المجاعة قد حولت كل مواطني أورشليم إلى مستوى موحد من التهالك والضعف الجسدي (عدد ٨) فالهزال وسوء التغذية والتصاق الجلد بالعظم دليل على رؤية شاهد عيان. والوجوه الذابلة والشفاه الجافة كانت تفضل الموت السريع بالسيف على عذاب المجاعة البطيء، والأوبئة التي حكموا على أنفسهم بها. وهكذا كان بحث المواطنين عن انطعام يائساً (تثنية ٢٨:٥٣) لدرجة أن الأمهات المحبات العطوفات طبخن وأكلن أطفالهن (عدد ١٠) (اقرأ ٢:٢٠، إرميا ١٩:٩) إن هذا الرعب المهول لهذا الفعل المروع قد طبع نفسه بشدة على ذهن الكاتب، ولا شك أنه قد أصابه بالفزع بقية حياته .

إن انسكاب الغضب الإلهي كان يشكل العقاب المتنبأ به منذ زمن بعيد على الرفض المتعمد لشروط العهد. والدمار الناتج في يهوذا كان شاملاً في مداه، كما كان يمكن أن تكون البركة الإلهية هكذا لأمة مطيعة ومقدسة .

إن الشعب لم يأت إلى الله طلباً للحياة (يوحنا ٥:٤٠) ولذلك حل بهم الموت، و لم يضعوا ثقتهم في الله صخرهم بل في القوة المادية والمزعومة، والتي ظنوها لا تقهر، لأورشليم .

ومع أن جبل صهيون كان عزيز المنال وقد جعل من القيام بهجوم عسكري على المدينة أمراً صعباً ومكلفاً للغاية، إلا أن حقيقة أن أورشليم قد هزمت مرتين منذ أن استوطنها اليبوسيون لأول مرة لم تقنع الملوك الوثنيين بأن المدينة منيعة ويستحيل مهاجمتها (عدد ١٢). وما يريد الكاتب تصويره هنا هو الثقة الزائفة لمواطني أورشليم الذين تصوروا أن الأعداء اعتبروا المدينة محصنة ضد السقوط كما اعتبروها هم كذلك، وبذلك كرزوا نفس الخطأ الذي ارتكبه اليبوسيون في العصور الغابرة (صموئيل الثاني ٥:٦—٨)

وإذا كان الأمر كذلك، فنفس حقيقة أن اعداء يهوذا الوثنيين قد استخدمهم الله كأداة لعقاب شعبه العاصي الوثني كان يعني أنه ليس هناك أي عائق طبيعي هام يمكن أن يعوق تقدم الأعداء .

ب ــ الخطية ونتائجها (٤: ١٣ــ ٢٠)

للبحث عن أسباب للكارثة، فالكاتب لا يبحث فقط عن ك ش للفداء، فالتجارب المرتبطة بسقوط العاصمة وسبي شعب العهد كانت تتطلب أكثر من تفسير وشرح للظروف المحيطة بتلك التجارب .

فالإجابة على السؤال يجب أن تكون بالضرورة ميتافيزيقيا (من وراء الطبيعة) متضمناً أشد القوى تأثيراً في الروح البشرية .

«الأنبياء والكهنة» (عدد ١٣) والذين كانوا يجب أن يعلنوا مبادىء العهد للأمة كانوا فعلاً هم المسئولون عن استشراء الكثير من الشرور التي اتصفت بها حياة ما قبل السبي. ويوضح الكاتب فساد العصر بالإشارة إلى سفك الدم البريء (إرميا ٢٦: ٢٠ــ ٢٣). ولكن الموقف الآن قد تغير إلى الحد الذي عُرف فيه الكهنة الأشرار والأنبياء الكذبة على حقيقتهم، وقد عاملهم الجمهور الغاضب بالطريقة التي تناسب الدور الذي قاموا به في إشاعة الدمار والخراب في البلاد. وقد نُبذت قيادتهم وصاروا مكروهين الآن كالبرص، وهذا التشبيه يناسب المقام بمعنى أن البرص يستخدم أحياناً في الكتاب المقدس كإيضاح لمدى الدمار الذي تلحقه الخطية والموت بالإنسان .

وفي عدد (١٥) نجد أن خدام الله الكاذبين قد لقوا المعاملة التقليدية التي يلقاها البرص (لاويين ١٣: ٤٥) ، حيث أسرعوا خارج المدينة دون أن يلحظهم أحد. ومع أنهم حاولوا أن يستقروا في أماكن أخرى، فقد مُنعوا من القيام بذلك بفضل السكان المحليين والذين خافوا بلا شك منهم خوفاً لا أساس له معتقدين أنهم سيجلبون عليهم الكارثة أيضاً. وأقوال إرميا ضد هؤلاء المذنبين يجب دراستها جيداً (إرميا ٦: ١٣، ٨: ١٠، ٢٣: ١١و١٤) . وقد تدخل الله مباشرة ليشتت القادة الأشرار بين الأمم أيضاً، ومن أسباب غضبه عليهم أن

هؤلاء الأشرار قد قاوموا بشدة شهادة الكهنة الذين ظلوا أمناء للمثل العليا التي نادى بها العهد. ومع أن الشعب كان يتوقع عوناً مادياً على شكل حملة إنقاذ بقيادة المصريين (إرميا ٣٧: ٧) إلا أن إرميا كان قد عرف مقدماً أنه لا شيء يمكن أن ينقذ المملكة من الدمار القادم بقيادة الكلدانيين، والآن وقد جاء السبي فقد أدرك الشعب بنفسه أن رجاءهم في مدد خارجي كان لا يستند إلى أساس سليم، والإشارة إلى أن خطواتهم قد أصبحت مقيدة (عدد ١٨) إشارة واضحة على القيود الصارمة التي فرضها البابليون الغزاة على أولئك الذين سُمح لهم أن يبقوا في الأرض تحت حكم جدليا. لقد كان البابليون مصممين على القضاء على أي ثورات محتملة في يهوذا في المستقبل، وبعد أن أثار حكم جدليا فتناً أخرى انتهت باغتياله، أخليت الأرض من سكانها ثانية في عام ٥٨١ ق.م. ولو كان سفر المراثي قد كتب بعد عام ٥٨٧ ق.م. بفترة وجيزة لأحس الكاتب بأن نهاية الحياة في يهوذا كانت قاب قوسين أو أدنى .

وفي المبالغة الأدبية الرشيقة التي في عدد (١٩) (اقرأ صموئيل الثاني ١: ٢٣) تم تصوير قسوة البابليين الوحشية في تتبع الهاربين بأسلوب أخاذ، ولمنع أي اتصالات سياسية أخرى بين البقية الباقية في مملكة الجنوب والمصريين، أقام البابليون أكمنة في المناطق الصحراوية جنوب يهوذا .

و«مسيح الرب» (عدد ٢٠) هو الملك صدقيا الذي أسر أثناء هروبه في سهل أريحا وبعد أن أحضر أمام نبوخذنصر قلعت عيناه وسُجن (إرميا ٥٢: ٧ــ١١). فقد كان صدقيا إنساناً ضعيفاً ومخادعاً، وقد غض البصر عن الفساد الديني والانحطاط الأخلاقي في عصره ، وتجاهل النصيحة المقدمة له من إرميا (إرميا ٣٧: ٢) إلا في أوقات الأزمة الخطيرة (إرميا ٢١: ١ــ٧، ٣٧: ١٧ــ ٢١، ٣٨: ١٤ــ٢٨) وبسبب مسلكه هذا فقد انتقد انتقاداً مريراً في (حزقيال ٢١: ٢٥، ملوك الثاني ٢٤: ١٩) .

وبالرغم من طبيعته الضعيفة والمخادعة فقد كان لا يزال يلقب بهذا اللقب «مسيح الرب»، والإشارة هنا لمركزه وليس لقيادته الحقيقية للشعب .

جـ ـ العقاب المتنبأ به على أدوم (٤: ٢١و٢٢)

إن الأمر بالفرح (عدد (٢١) إشارة ساخرة للفرحة القصيرة الأمد والتي يتوقع الأدوميون أن يتمتعوا بها نتيجة للغزو الكلداني لعدوهم التقليدي. لقد كان الأدوميون الأعداء الألداء ليهوذا لعدة قرون وقد تفوه الأنبياء بإدانة أدوم بسبب هذه الروح العدائية (عاموس ٩: ١٢، عوبديا ١٠ـــ١٦، إرميا ٤٩: ٧ـــ٢٢، حزقيال ٢٥: ١٢ـــ١٤، ٣٥: ١٥) . لقد رفضت أدوم أن تنضم إلى أي تحالف مع يهوذا ومصر ضد البابليين. وبعد سقوط أورشليم في عام ٥٨٧ ق.م. أعطي نبوخذ نصر المناطق الريفية من يهوذا للأدوميين مكافأة لهم على حيادهم السياسي وكاعتراف منه بالمساعدة النشطة التي قدموها للوحدات العسكرية الكلدانية أثناء الأيام الأخيرة للحملة (حزقيال ٢٥: ١٢ـــ١٤، عوبديا ١١ـــ١٤) .

وفي السبعينية لا نجد كلمة (عوص) من هذا العدد، وكذلك في (إرميا ٢٥: ٢٠) وسواء كان هذا الإقليم هو نفس الإقليم المشار إليه كموطن أيوب أم لا فهذا ما لا يمكن الجزم به .

ويبدو أن (عوص) كانت قريبة لكل من البدو السبئيين من بلاد العرب والغزاة الكلدانيين من بلاد ما بين النهرين (أيوب ١: ١٥و١٧) ويبدو أنها كانت تقع في منطقة أدوم على وجه العموم . وسطوع نجم أدوم المؤقت سوف يخبو حين يلحقها الدمار والعقاب المتنبأ به عليها من الأنبياء، لأنه بينما ينجو الإسرائيليون من العقاب المستقبلي، فإن أدوم لا يزال عليها أن تشرب من كأس الغضب الإلهي. وعندما يحدث ذلك أخيراً فإن الإسرائيليين يمكنهم أن يفسروا ذلك بأنه دليل على بدء رد سبيهم وعودتهم إلى حظيرة الرضا الإلهي .

٥ ــ المرثاة الخامسة (٥:١ــ٢٢)

وإن كانت هذه المرثاة تحتوي على اثنى وعشرين عدداً إلا أنها لا تتبع الترتيب الأبجدي المتبع في المرثيات السابقة. ويحوي الأصحاح اعترافاً بالخطية وإقراراً بسلطان الله الدائم، وحيث أنها تعد صلاة أكثر منها رثاء فطبيعتها التلقائية والشخصية تجعلها أقل قابلية للترتيب الأبجدي المنتظم من المرثيات السابقة .

أ ــ طلب الرحمة (٥:١ــ١٠)

تبدأ الصلاة بتوجيه نظر الله للمصائب التي جاءت على يهوذا لتكون أساساً يستوجب العطف الإلهي. فالتراث العظيم للإسرائيليين (لاويين ٢٠:٢٤) قد دمر واحتلته قوات أجنبية (عدد ٢) وبعد سنة ٥٨٧ ق.م اخترق بعض الأدوميين قطاعات من جنوب يهوذا واستقروا جنوب حبرون ليأتي بعدهم آدوميون آخرون وجماعات عربية أخرى .

وقد كان الكلدانيون المنتصرون صارمين في حكمهم للأرض لدرجة أن أشد الحاجات الضرورية للحياة وهي مياه الشرب (عدد ٤) كان على أهل يهوذا التعساء الحظ والذين تركوا في المناطق الريفية أن يشتروها. يبرز عدد (٥) صعوبات معينة في الترجمة حيث تقدم الـ RSV والـ NEB فكرة «النير» اتباعاً لرأي سيماخوس Symmachus وهو بحسب التقليد يهودي عاش في القرن الثالث الميلادي واعتنق التعليم الأبيوني (Ebioniet teaching)، والذي قام بعمل طبعة يونانية للعهد القديم وقام أوريجانوس بضمها إلى طبعته اليونانية للعهد القديم (hexapla and Terapla) .

وفي الماسورية يمكن أن تكون الترجمة هكذا «نحن نطارد حتى أعناقنا» وبينما لا يمكن تأكيد المعنى هنا فقد يشير إلى الممارسات القديمة التي يقوم بها المنتصر في الوغي، واضعاً قدمه على رقبة عدو منبطح أرضاً، دليلاً على الإخضاع الكلي (اقرأ يشوع ١٠:٢٤، إشعياء ٥١:٢٣ الخ) .

ويوضح عدد (٦) المحنة القاسية للبقية التي تحت حكم جدليا والتي أصبحت

حرجة لدرجة أنهم يرحبون بالتحالف مع مصر أو أشور إذا كان في ذلك ما يضمن بقاءهم على قيد الحياة. و«أشور» هنا مجرد رمز لبابل (اقرأ إرميا ١٨:٢). والفكرة في عدد (٧) تتمشى مع الوصية الثانية (خروج ٢٠:٤ الخ) فاستمرار تعاقب الأجيال البشرية يحول بينها وبين العزلة الشخصية. وبالتالي فالأطفال يحصدون الثمار التي زرعها الآباء في حياتهم وما قاموا به من أنشطة (تثنية ٥:٩).

وكان إرميا قد سبق واستنكر الشكوى العامة بأن الأبناء يعاقبون على آثام والديهم (إرميا ٣١:٢٩ الخ) وفي تأييده للديانة الشخصية فقد أعد الطريق لإعلان العهد الجديد بدم المسيح.

إن المجتمع اليهودي بعد عام ٥٨٧ ق.م. كان قد أصبح ممزقاً لدرجة أن الفوارق الطبقية لم يعد لها معنى، وبالتالي فأي شخص كان يخطب ود البابليين المستعمرين كان يمكنه أن يمارس قدراً من السلطة المدنية. وكان التهديد الحقيقي في لقمة العيش ناجم من العصابات المغيرة (عدد ٩) سواء كانت من البابليين أو البدو العرب الذين كانوا يهاجمون القرويين المسالمين في محاولة للحصول على قدر قليل من الطعام من الحقول المجاورة.

ب ـ طبيعة الخطية (٥:١١ـ١٨)

يعلق الكاتب مرة أخرى على الجزاء المريع الذي جلبته الأمة على نفسها. لقد تم إذلال الرؤساء على يد «العبيد» الذين وصلوا لمراكز القوة، وذلك بتعليقهم في الهواء مع تقييد أيديهم، وحتى الشبان والأطفال قد أجبروا على القيام بالأعمال اليدوية الشاقة بسبب سوء حالة المجتمع الممزق الأوصال (١٣).

وليس واضحاً من النص إن كان ذلك جزءاً من السخرة المفروضة من قبل الغزاة أم لا، فقد كان مذلاً للشبان أن يطحنوا الحبوب لأن ذلك كان يعد من أعمال النساء (قضاة ٢١:١٦)، والمكان الذي كان يجلس فيه الشيوخ والقضاة في غابر الأيام لتنفيذ العدالة أصبح مهجوراً الآن (١٤)، لقد ضاعت

الكرامة الوطنية والامتيازات (١٦) بسبب الرفض المتعمد لالتزامات العهد . وتكمل هذه الصورة فكرة إذلال إسرائيل مؤيدة لسبب سقوطها بدقة تامة .

وإدراك أن الخطية لابد أن ينجم عنها العقاب قد دفع الكاتب أن يتوسط نيابة عن شعبه. وهناك صورة معبرة لمدى الدمار الذي لحق بجبل صهيون الذي كان مأهولاً بالسكان يوماً ما، نجدها في منظر «الثعالب» التي تطوف بالمكان .

جـ ـــ طلب رد السبي الإلهي (٥:١٩ــ٢٢)

إن دوام الله وعدم تغيره قد أمد الكاتب بالأساس الذي يقف عليه لكي يقدم طلبته إلى الله، ويولّد عنده الرجاء في المستقبل .

فحتى وإن كان أولاد الله قد عصوا وساروا وراء الأصنام فإن الله لا يزال أميناً (تيموثاوس الثانية ٢:١٣) ويمكن الاعتماد عليه ليغفر ذنب الخاطيء التائب .

يعبر عدد (٢١) عن شوق الكاتب لتجديد الأمة والمصالحة مع الله في ضوء اعتقاده بأن الله لا يزال لديه مقصد سامٍ لشعب العهد، وعدد (٢٢) يمكن أن يصبح هكذا «ما لم تكن قد رفضتنا تماماً» ويمكن أن يصاغ في صورة استفهامية هكذا : «أم هل كل الرفض رفضتنا؟» كما جاءت في العربية.

فأياً من هاتين الترجمتين تحمل فكرة أن الأمة لا تزال متروكة، ومع ذلك ففي ضوء المراحم الإلهية السابقة فالكاتب لا يمكنه أن يعتقد بأن الله قد رفض شعبه (رومية ١:١١). إن العديد من نبوات العهد القديم تختتم بعبارة سلبية أو غير مبشرة بالخير (اقرأ جامعة ١٤:١٢؛ إشعياء ٢٤:٦٦، ملاخي ٦:٤) كما هو الحال مع مراثي إرميا. وبالتالي ففي القراءة في مجمع اليهود أصبح من العادات المألوفة أن تختتم الفقرة بتكرار العدد السابق، وفي مثل هذه الأحوال فإن عدد (٢١) يقرأ ثانية بعد عدد (٢٢) .

هذا الكتـــاب :

الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق فى الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .



١٠١٠٩١٥٦